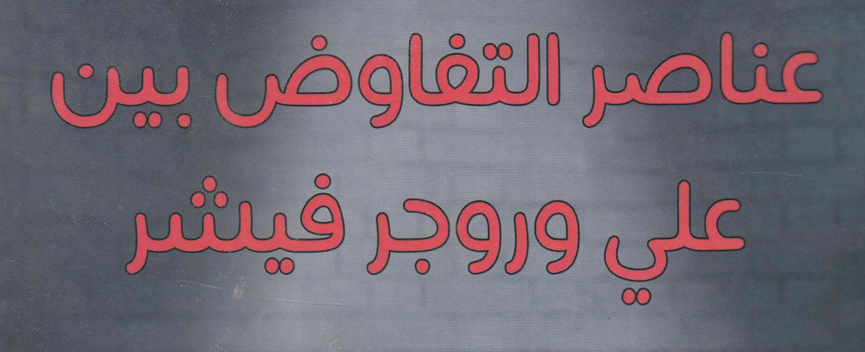


عناصر التفاوض بين علي وروجر فيشر

الدكتور صائب عريقات

دار النصر



عناصر التفاوض بين
علي وروجر فيشر

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

دار النصر
بيروت - لبنان

عناصر التفاوض بين علي وروجر فيشر

الدكتور صائب عريقات

دار النصر


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

شكر وتقدير

طوال سنوات وأنا أعمل لإنجاز هذا الكتاب، كانت زوجتي (نعمة) على المسافة ذاتها بين مُساندتي ودعمي وتشجيعي، وفي بعض الأحيان النهوض بي. وقفت على مسافة واحدة بين أحلامي وطموحاتي، وإخفاقاتي وتراجُعاتي، بين صحتي ومرضي، بين آمالي وآلامي، بين حُزني وفرحي، بين صبري واستعجالي، فلها كل الشكر والتقدير.

وجيهة خليل، كانت في كل يوم من أيام السنة تعمل بتواصل ودون انقطاع ليس فقط في طباعة وترتيب وتبويب وإخراج الكتاب، ولكن في كل لقاءاتي واتصالاتي ومحاضراتي التي كانت تمتد إلى ساعات طويلة حتى في أيام نهاية الأسبوع. فهي نعم المُساعد والمدير العام لمكتبي الذي يعمل ليلاً ونهاراً وعلى مدى أيام السنة، فلها أيضاً كل الشكر والتقدير.

للصديق والزميل الدكتور رامي الحمد الله رئيس جامعة النجاح، وللأستاذ الدكتور حكمت هلال عميد البحث العلمي في الجامعة، وللدكتور حسن المهندي مدير المعهد الدبلوماسي في وزارة الخارجية القطرية، لهم كل التقدير والاحترام على ما قدموه من رعاية وتشجيع للبحث العلمي.

للبنات د. سلام، د. دلال، وللأبناء علي ومحمد، وللأحفاد سينين، وسري، وسارة، وليث، وجود، أنتم الإضاءات التي أرى من خلالها في لحظات وساعات الظلمات.

إلى شُهداء فلسطين، إلى الجرحى الأبطال، إلى الأسرى، الوفاء

والمحبة والإخلاص لكم، فأنتم وبكل تواضع الطليعة التي تسبقنا، لتُمهد لنا طريق الخلاص والحرية والكرامة الوطنية.

د. صائب عريقات

تقديم

يسرني تقديم هذه الدراسة القيّمة، التي تُعدّ مرجعاً أصيلاً في مهارات التفاوض، وتشكل إحدى الثمرات العلمية لصديقي الدكتور صائب عريقات، وهو رجل غني عن التعريف، له دور كبير في مفاوضات السلام الفلسطينية الإسرائيلية، وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، فضلاً عن كونه أستاذاً مرموقاً للعلوم السياسية.

وضع المؤلف في دراسته هذه، بأسلوب متفرد، عصارة خبرته الطويلة، ومعرفته العميقة في مجال المفاوضات من خلال عمله رئيساً لدائرة شؤون المفاوضات في منظمة التحرير الفلسطينية منذ تأسيسها عام ٢٠٠٣، وشغله منصب كبير المفاوضين الفلسطينيين سنوات عديدة لانتزاع حقوق شعبه من المحتلين.

إن هذا الكتاب جهد أكاديمي جليل للتعريف بتراثنا وقيمنا ومبادئنا الإسلامية في مجال التفاوض من منظور شخصية فذّة في التاريخ الإسلامي، ألا وهو الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومنهجه، وهو محاولة لمد وبناء جسور مع هذا التاريخ للمشاركة الفاعلة والحيوية في تأصيل، وتأسيس إطار علمي شامل في دراسة عملية التفاوض. وفي هذا السياق يجري الدكتور عريقات مقارنة بين عناصر المفاوضات عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والعناصر الأساسية في التفاوض من المنظور الغربي، مركزاً على أحد أبرز المؤلفين في هذا

الحقل وهو روجر فيشر، الذي يمثل منهج مدرسة هارفرد ذات الأثر المهم في التعريف بعلم المفاوضات وترسيخه.

يؤسس المؤلف في المقدمة للإسهام الذي قدمه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب في علم التفاوض، مستصحباً ذكرى تجربته التفاوضية، وتأثيره عليه شخصياً (أي على المؤلف)، مشيراً إلى «ما قدمه في مجال الواقعية السياسية، والعلاقة بين الضعف والقوة، بين الظلم والعدالة، بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، هذا الإنسان العربي الذي حدد مفاهيم الدولة والعهود والمواثيق، وقال للمظلوم والضعيف: إن قوته تكون بالتمسك بحقوقه، وليس بالتنازل عنها».

لقد وُفق الدكتور صائب عريقات في مقاربة هذا الموضوع بالبحث والتحليل، ملتزماً بمنهج علمي يقوم على أسس العلم والعدل، وبذلك قدم خدمةً ذات فائدة كبيرة لموضوع التفاوض، وللكوادر الدبلوماسية العربية المسلمة، والدارسين، ومحبي المعرفة في موضوع المفاوضات كعلم.

إنّني سعيد بهذه التجربة البحثية المتميزة، التي قامت بها شخصية ذات تجربة ثرية في العمل العام. وجمعت بين أهمية الموضوع وتفرده، والتناول العلمي المنهجي، مما يضيف الكثير إلى مجال التفاوض والعمل الدبلوماسي.

ونختم بما قاله أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في العلم: «كل وعاء يضيق بما جُعل فيه إلّا وعاءُ العلم، فإنه يتّسع»، وهذا ما نرنو إليه في المعهد الدبلوماسي القطري لاستكشاف وتطوير كل ما يتعلق بالبحث والفكر والعلم الدبلوماسي.

والله ولي التوفيق

د. حسن بن إبراهيم المهندي

المُقدمة

لا يستطيع أيٌّ كان أن يقول إنه لا يوجد مراجع وكتابات حول سيرة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخلافته، وخلافاته ومفاوضاته وقراراته، المكتبة قديماً وحديثاً حافلة وعامرة بمؤلفات ودراسات وأبحاث لا حصر لها.

هدف هذا الكتاب ليس مُراجعة أحداث أو دراسة قرارات أو تحليل إجراءات قام بها الإمام علي رضي الله عنه أو لم يقم بها.

هذا الكتاب ليس بهدف إظهار وجهة نظر على أخرى. فمهما كان مصدر ما كُتب حول الإمام علي رضي الله عنه، لم أجد من يختلف في نسبه وإسلامه وشجاعته، وقوة حجّته وصواب مشورته وعبقرية رأيه.

لم يُشكك أحد أنّ الإمام علياً رضي الله عنه هو الذي نام في فراش النبي مُحمدﷺ ليلة الهجرة، وقد علم بمؤامرة قُريش على حياة الرسولﷺ. ولم يُناقش أي كان بأن الإمام علياً رضي الله عنه كان أول من دخل الإسلام من الصغار.

الذي يقرأ تاريخ الأمم للطبري، أو نهج البلاغة للشريف الرضي، أو ما كتبه الشيخ محمد عبده، أو عباس العقاد، أو عبده حسن الزيات، ومئات الدراسات والأبحاث التي كُتبت عن سيدنا الإمام علي رضي الله عنه، يعرف تمام المعرفة أنّ أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب، صاحب حكمة ومعرفة وعفة وسداد رأي وعبقرية قول، رجل اقتصاد

وسياسة، جمع ما بين حاجات الدنيا ومُتطلبات الآخرة. وحدد ركائز وأسس العلوم المُختلفة منها (النفس، والاقتصاد والسياسة، واتخاذ القرار، وإدارة الأزمات والمفاوضات، وأرسى أُسس ومبادئ السيادة قبل أن يُحددها جان بودان في كُتبه الجمهورية الستة بألف عام).

لقد حدد الإسلام علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقة الإنسان بغيره، فأثَّر ذلك على تفكير وإدراك الصحابة ومنهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

لقد أسس أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه نظرية الحق والدولة قبل توماس هوبز وكتاب ليفيثان (Levithan)، بمئات السنين.

أدرك كيف حدد الإسلام علاقة الإنسان بدولته وعلاقة الدولة بالدول الأخرى، وأسس للواقعية السياسية، قبل مئات السنين من نقولا ميكافيللي وكتابه الأمير.

أمّا معايير الخير وما يجب أن يكون، والأخلاق والفضيلة، فلقد حددها الإسلام والتزم بها أمير المؤمنين سيدنا علي قبل يوتوبيا توماس مور وقبل المدينة الفاضلة للفارابي، أيضاً بمئات السنين.

اجتمعت لسيدنا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الهداية والحكمة والمعرفة والشجاعة والجرأة والقوة الجسدية.

جمع سيدنا علي رضي الله عنه آداب الفروسية والنخوة، والشرف والحق، والسلام والحرب فكان يلتزم بالحكم الشرعي في كل فعل وقول.

هذا وغيره، فما الذي نُريده من هذا الكتاب: «توضيح هذه المزايا أو طرح المزيد من التحليل للدفاع عن سيدنا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه»؟

دائماً ستكون الحاجة إلى المزيد حول سيدنا علي رضي الله عنه،

فلو كتبنا كتاباً في كل دقيقة من ساعات وأيام وأشهر وسنين الزمن، لما أوفينا إمامنا وسيدنا وأميرنا علياً رضي الله عنه حقه.

في هذا الكتاب سنُحاول التركيز على السلوك التفاوضي لسيدنا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بصفته صحابياً يلتزم بالأحكام الشرعية كأسس في حياته وسلوكه وأفعاله. خاصة وأنه لم يكن قائداً مُتردداً إذ كان صاحب قرار ملتزماً بالحكم الشرعي، ولو لم يكن كذلك لما تصرف على النحو الذي تصرف عليه:

١ـ في عزل مُعاوية بن أبي سفيان عن ولاية الشام.

٢ـ في طلب تسليم قتلة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٣ـ في مُعاملة طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام، رضي الله عنهما.

٤ـ في قبول التحكيم.

هذه قضايا كانت ولا زالت وسوف تكون موضع خلاف واحتجاج، اختلاف واتفاق، قبول ورفض، مع تأكيدنا أنّ هناك أموراً وروايات قابلة للأخذ والرد إلّا أننا سنُركز على مواقف سيدنا علي رضي الله عنه التفاوضية انطلاقاً من فهمه للأحكام الشرعية سواء حين قوته أو حين ضعف سلطانه.

ما سنحاوله في هذا الكتاب هو تحديد عناصر المفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه باعتبارها كانت من بديهيات فهم الصحابة للأحكام الشرعية وعلي مثال على هؤلاء الصحابة الأجلّاء، ومقارنتها مع عناصر الفكر الغربي في المفاوضات والتي كُتبت بعد حوالي ١٣٠٠ عام من وفاة سيدنا الإمام علي رضي الله عنه.

في الفكر السياسي هناك من ربط الأخلاق والسياسة بفكر توماس

مور ومؤلفه اليوتوبيا، فهل كان الفكر السياسي عند سيدنا علي رضي الله عنه سابقاً لمور بمئات السنين؟

في الفكر السياسي أيضاً، هناك من اعتبر أنّ ميكافيللي مؤلف كتاب الأمير، كان صاحب الواقعية في السياسة، فكيف سبقه في ذلك سيدنا علي رضي الله عنه شأنه في ذلك شأن أبي بكر وعمر؟

في الدولة والسياسة هناك من يعتبر توماس هوبز وكتابه ليفيثان (Levithan)، أول من أسس لعلاقة الدولة بالناس، لكن الحقيقة العلمية تُملي علينا أن نُحدد ما جاء به فكر سيدنا علي رضي الله عنه.

سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثل أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم جميعاً)، حدد مفهوم السيادة بوضوح سبق به صاحب كتب الجمهورية الستة جان بودان، فلماذا لا ينسب تحديد مفهوم السيادة إلى الصحابة رضوان الله عليهم؟

ثمّ ماذا عن جان لوك والعقد الاجتماعي، ومونتيسكيو والفصل بين السلطات، والدساتير والحريات وفولتير وجان جاك روسو؟

نعم، في هذا الكتاب سنُبيّن وبموضوعية علمية، بأن سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بصفته من صحابة الرسول كان قد سبق كل هؤلاء في تحديد العقد بين السلطة والفرد، ومفهوم الدستور والحريات على أساس الدستور.

وسنُبيّن أيضاً ومن خلال حكم وأقوال أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه، أنّ عدد العناصر التي حددها للمفاوضات بلغت ١٢ عُنصراً أي بزيادة خمسة عناصر عن العناصر السبعة للمدرسة الغربية في المفاوضات، ولاسيما في كتب روجر فيشر.

سنُركز على خُطب ورسائل وأقوال سيدنا أمير المؤمنين علي رضي

الله عنه، حيث سنوضح تحديداته وتعريفاته من كل عناصره حول القضايا المتعلقة:

١ـ بالدولة.

٢ـ بالواقعية السياسية.

٣ـ بالسيادة.

٤ـ بصناعة القرار وبعلم النفس.

٥ـ بالعقود بين الناس والحكام، وللدساتير.

قد يرى البعض أنّ هذه حالة تعصّب من كاتب عربي مُسلم، لتاريخه ودينه وحضارته وتراثه، وهذا لا يُعيب، لكن الحقيقة أنها مُحاولة من كاتب فلسطيني عربي مُسلم، كان له من ممارسة المفاوضات حصة أكثر من غيره من أبناء جيله وزمانه.

عاش في عصر انحطاط للأمتين العربية والإسلامية، عاش سقوط عواصم العرب والمسلمين، بدءاً من القدس، فبيروت وكابول وبغداد.

عاش حروب دول العرب الداخلية في ليبيا واليمن وسوريا والعراق ولبنان وفلسطين، حين انقسمت غزّة المحتلة من إسرائيل عن باقي الأراضي وبما فيها القدس المحتلة أيضاً من إسرائيل.

شاهد ثورات تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا، ورصد قرارات الجامعة العربية الجريئة بحق ليبيا وتونس ومصر واليمن، وسجل التردد والتخبط فيما يتعلق بسوريا.

الكاتب عاصر وشارك في مفاوضات العرب مع إسرائيل، وكونه صاحب درجة دكتوراه في دراسات السلام من جامعات الغرب، كانت تُحركه على الدوام العناصر السبعة لروجر فيشر وما درسه وتعلمه وكتب

عن عناصر الصراع والحل والمفاوضات وخلق الأرضية المشتركة، وحالة الربح المشتركة.

كان يعرف على الدوام أنّ سلوك العرب التفاوضي لا يمكن أن يرتكز إلى سلوك الغرب، فعندما نتحدث عن السلوك التفاوضي الأمريكي أو الصيني أو الفرنسي أو الألماني أو البريطاني أو النيجيري أو البرازيلي أو الياباني أو الكندي أو الهندي أو الباكستاني أو غيره من السلوك التفاوضي للأمم والشعوب، فإننا نتحدث عن تاريخ وجغرافيا وحضارة ومعتقدات وحروب واتصالات وتجارة وعلوم ومصالح شكلت جميعها، ما يمكننا التعارف عليه باصطلاح السلوك التفاوضي لهذا الشعب أو ذاك.

كُنت دائماً أتعلم المزيد عن ديننا العظيم وتراثنا وحضارتنا، وآدابنا وعلومنا وفتوحاتنا وإنجازاتنا في شتى الميادين، فلا زلتُ أبحث عن عناصر السلوك التفاوضي لنا كعرب بشكل عام وكفلسطينيين بشكل خاص.

لعشر سنوات أو أكثر، قرأت كل يوم، جالست الفارابي وابن المقفع وأبا حامد الغزالي والشريف الرضي والطبري والبخاري، كنت أسألهم في مختلف جلساتنا بعد منتصف الليل وحتى ساعات الفجر في مدينة أريحا في أيام شتائها الهادئة وأيام صيفها الحارة: لو كنتم مكاني فكيف ستعدون أنفسكم لمفاوضات إسرائيل وأمريكا وهذه الدولة أو تلك في أوروبا وغيرها؟ كيف ستتعاملون مع واقع علاقات دول العرب مع واشنطن؟

القوة العظمى، روما الجديدة، التي عادت إلى الحياة كقوة عظمى وحيدة في العالم، لاسيما وأنّ انحيازها لإسرائيل كان موضع تنافس بين سياسييها ودبلوماسيّيها؟

كنت أستحضر في بعض الأحيان نيقولا ميكافيللي وتوماس هوبز، وجان بودان، ومونتيسكيو وفولتير وغيرهم وأطرح عليهم الأسئلة ذاتها، لم

تكن إجابتهم مُختلفة عن المفكرين العرب والمسلمين، فالضعف ظاهرة يسهل تشخيصها شرقاً وغرباً، وعندما لا تتقن الأمم الحديث بلغة المصالح، فإنها عادة ما تتأثر بالأحداث دون القُدرة في التأثير عليها.

كنت أسمع من يهاجم المفاوضات أو بل ومن وصلت به الأمور إلى حدّ اتهامنا بالخيانة، ولم تترك عبارة من عبارات الشتم والقدح والذم والتشكيك إلا ووجهت لنا كفلسطينيين نقوم بإجراء مفاوضات مع إسرائيل التي تحتل أراضينا مُنذُ عقود طويلة. بل أكثر من ذلك كان هُناك من يُزوّر ويتآمر ويطرح أحياناً أنصاف الحقائق وأحياناً أخرى أكاذيب محضة أو شائعات، لا لشيء إلا لإضعافنا على ضعفنا، لماذا؟ إما لتقديم أوراق اعتمادٍ للقوى العظمى أو لتوجيه العيون والآذان والأفواه العربية بعيداً عن تقصير صُناع القرار في الدول العربية وعجزهم عن التعامل مع واشنطن بلغة المصالح.

عجبت لدول عربية وإسلامية ملكت وتملك وسوف تملك حوالي ٤٠٪ من الطاقة التي تحتاجها الدول الصناعية والتي تُعتبر حليفة لإسرائيل، ومع ذلك تبقى القدس الشريف والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة تحت الاحتلال لحوالي نصف قرن من الزمن وسألتُ كيف يستقيم ذلك؟ لا أُريدُ أن أستمر في الخوض في هذه الأمور فهي ليست موضوع هذا الكتاب، ولكن لا أستطيع إلّا أن أذكر هذه الحقائق التي كانت ليلة بعد ليلة ويوماً بعد يوم تقودني إلى التعرف على ما قدمه إنسان عربي واحد لعلم المفاوضات بشتى أنواعه، وما قدمه في مجال الواقعية السياسية والعلاقة بين القوة والضعف، بين الظلم والعدالة، بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، هذا الإنسان العربي الذي حدّد مفاهيم الدولة والعهود والمواثيق وقال للمظلوم والضعيف: إن قوته تكون بالتمسك بحقوقه، وليس بالتنازل عنها.

إنه أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

لقد لجأت إليه وإلى أقواله وخطاباته ورسائله في كل يوم من أيام المفاوضات على اختلاف أنواعها وتعددها. كُنت أقرأ وأكتب أسأل وأجيب، لم أعتقد أنني سأنشر ذلك كله في كتاب في يوم من الأيام، فهذه المسائل كانت من خصوصياتي، ولكن إن كنت قد استفدت وتعلمت وفاوضت وصمدت وصبرت وتحملت وابتسمت وبكيت وصمت وصرخت وفوق كل هذا وذاك ثبتُّ وثابرت ولم أهن وإن حزنتُ كل ذلك لأن هذا الإنسان العربي الذي ظُلم، عرف معنى الظُّلم، شاهد الضعف فلم يهزمه، كان معي في كل خطوة من خطواتي وكل لحظة من لحظاتي، كان يقف ما بين عقلي ولساني، كان جسري في التواصل والتفاوض، في الأخذ والعطاء.

فعلى الرغم من كل الضعف العربي والانحطاط وعدم استخدام لغة المصالح والاحتلال والحروب الداخلية والانقسامات والانقلابات والانشقاقات، كان أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، معي، كان قوتي وعزّتي وعلمي وفخري وصبري ونضالي ومقاومتي واستمراري وبقائي والهادي والممسك بيدي حتى القدس الشريف.

على ذلك أردت لسيدنا علي رضي الله عنه الذي لم يعرف عبادة الأصنام، وحبيب رسول الله محمدﷺ، والمسلم في علمه وعمله وعبادته وعقله وقلبه وشجاعته وجرأته وسلامه وحربه، أن يكون معكم فهذا سيجعل الحياة أفضل.

وإنه من الجدير ذكره أنّ هناك أموراً كثيرة، مثل عناصر التفاوض، كانت من البديهيات التي فهمها ومارسها الصحابة ومنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أخذت دهوراً طويلة عند غيرهم لفهم أجزاء منها، ومن الغريب أن المُسلمين اليوم قد فقدوا ذلك مع أنّهم الأولى بفهمها ومُمارستها وتوسيع آفاقها.

الفصل الأول

الجزء الأول: العناصر التفاوضية السبعة في المدارس الغربية

الجزء الثاني: العناصر التفاوضية في مدرسة الرسول العظيم ﷺ

الجزء الأول
العناصر التفاوضية السبعة في المدارس الغربية

أولاً: مراجعة ما كتبه روجر فيشر حول المفاوضات وتحديداً العناصر السبعة

من خلال مراجعة ما كتبه روجر فيشر حول المفاوضات وتحديداً العناصر السبعة[١] تتمثل هذه العناصر لأي مفاوضات بالتالي:

١ـ المصالح (Interests)

٢ـ الخيارات (Options)

٣ـ الشرعية (Legitimacy)

٤ـ العلاقة (Relationship)

---

(١) الكتب التي نتحدث عنها:

a. Fisher, Roger, Ury. William, Patton Bruce, (1991).

b. Getting to Yes: Negotiatin Agreement without giving in, "2nd eition". Penguin Books. New York.

c. Fisher, Roger, brown Scot, (1998), Getting together: Building Relation ships as negotiate. Penguin Bokks. New York.

d. Fisher, Roger, Alan, Sharp, (1998), Getting it done: How to lead when you are nto in charge. Harper Business Books.

e. Fisher, Roger, Kopelman, Elizabeth, Andrea, Schneider, Kupfer, May (1994), Beyound Machiavelli: coping with conflict. Harvard University Press. Cambridge.

٥ـ الاتصال (Communication)

٦ـ الالتزام (Commitment)

٧ـ البدائل (Alternatives)

وسألت هل النتائج السلبية المُترتبة على عدم الاتفاق يُمكن استخدامها لتقريب الأطراف بعضها من بعض؟

العناصر السبعة في فكر روجر فيشر، وجامعة هارفرد، وكل كليات دراسات السلام في الدول الغربية، حاضرة، ولا يمكن التقليل من أهميتها في أي مفاوضات مهما كان نوعها.

السؤال هل يمكن اعتبار هذه العناصر اكتشافاً جديداً قام به روجر فيشر وجامعة هارفارد؟

إن كل من يدرس في الجامعات الغربية، وكل من يقرأ ويسمع ويُشاهد ويبحث ويُناقش أثناء دراسته يعتقد أنّ العناصر السبعة تُعتبر اكتشافاً جديداً تمّ في نهاية القرن العشرين، وهو ما يُستخدم حالياً في كل جامعات العالم عند طرح أي مساق في المفاوضات أو الصراع والحل، أو إدارة الأزمات أو غيرها من مساقات تتعلق بالتواصل الإنساني.

العناصر السبعة التي تتمثّل بالمصالح والشرعية والاتصال، والعلاقات والالتزام، والخيارات، والبدائل. قام فيشر بترتيبها وتصنيفها وتبويبها وتحليلها لعناصرها الأولى. ووضعها كقواعد وركائز للمفاوضات، وهذا ليس بالأمر الذي نستهينُ به أو نُقلل من أهميته، بل على العكس، لقد قام فيشر بإرساء قواعد متينة لأي مفاوضات.

هل كان هناك من وضع هذه العناصر وغيرها قبل روجر فيشر؟ نعم.

فبعد دراسة مُطولة ولعدة سنوات، وإن كانت المُقارنة لا تستقيم بين

إنسان مثلنا جميعاً كروجر فيشر، وبين الخليفة الراشدي الرابع أمير المؤمنين سيدنا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. إلّا أنّه وبغرض الموضوعية العلمية وجدتُ لزاماً أن أُبيّن لكل الدارسين أن سيدنا علياً رضي الله عنه كان قد أرسى ١٢ عنصراً، أي العناصر السبعة، يُضاف لها خمسة عناصر سنُحددها جميعاً في سياق هذا البحث.

قبل الخوض في تحديد عناصر سيدنا علي رضي الله عنه، كُنتُ وفي كتابي الحياة مفاوضات[١] ، قد قدمتُ بتحليل للعناصر السبعة، إضافة إلى شرح مُفصل حول آليات تطبيقها. وقد وجدت من الأهمية بمكان استعراض ذلك، حتى تكون المُقارنة بين عناصر المدرسة الغربية في المُفاوضات وعناصر سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ثانياً: قواعد التدريب على المفاوضات:

قد استخدمتُ في كتاب (الحياة مُفاوضات) ورشة عمل عقدتها دائرة شؤون المفاوضات في مُنظمة التحرير الفلسطينية في شهر أغسطس عام ٢٠٠٠، تحت عنوان (ورشة عمل لتدريب المفاوضات Negotiations Training Workshop)، تحت إشراف البروفيسور (جون ميري John Murray) الذي كان يعمل مُستشاراً لوحدة دعم المُفاوضات التابعة لدائرة شؤون المفاوضات (N.S.U. (Negotiations support unit، والسيد تيري بارنيت (Terry Barnett)، أحد الذين أسّسوا برنامج إدارة الأزمات ومجموعة إدارة الأزمات المُنبثقة عن مشروع مفاوضات هارفارد[٢].

---

(١) عريقات، د. صائب، (٢٠٠٨)، الحياة مفاوضات. جامعة النجاح الوطنية نابلس. فلسطين.

(٢) حصلتُ على إذن من البروفيسور جون ميري والسيد تيري بارنيت لاستخدام كافة=

وركزت ورشة العمل على ثلاثة مواضيع:

١ـ القيادة (Leadership).

٢ـ المُفاوضات (Negotiations).

٣ـ مهارات التواصل (Communication Skills).

لقد قُمتُ باختصار دقيق للمواد التي تمّ استخدامها في ورشة العمل، وذلك نظراً لأهميتها الفائقة في مُحاولة فهم السلوك التفاوضي الأمريكي، حيث قُدّم في ورشة العمل المذكورة خُلاصة لعقود طويلة من العمل في مراكز إدارة الأزمات، وحل الصراعات والتدريب للمفاوضات في الولايات المتحدة الأمريكية، بما فيها مشروع جامعة هارفارد للمفاوضات.

ثالثاً: أسئلة فيشر وميري حول العناصر السبعة:

في الكراس الذي تمّ توزيعه في ورشة العمل باللغة الإنجليزية كان عنوان المادة الأولى (العناصر السبعة[١] The Seven Elements):

وهي العناصر أو المكوّنات لأي مُفاوضات كما حددها روجر فيشر، ولقد مررنا عليها سابقاً وسنكررها الآن:

١ـ المصالح Interests

تحت هذا العنوان يطرح روجر فيشر سؤالاً من شقين:

أ ـ هل فهمت الأطراف مصالحها بوضوح؟.

= المواد والوسائل التي استُخدمت في هذه الورشة، وذلك للتدليل على كيفية وماهية قواعد التدريب للمهارات التفاوضية المستخدمة في أمريكا.

(١) للمزيد من المعلومات انظر:

Roger, Fisher, Elizabeth, Kopelman, Adrea, Schneider, (1996), Beyond Machiavelli, Tools for coping with conflict, Penguin group. New YorkÁ PpÁ 74 - 85.

ب ـ هل فهمت الأطراف أولويات وقيود بعضها البعض؟.

أما جون ميري وتيري بارنيت فطرحا تحت عنوان المصالح: إنّ «المصالح ليست مواقف، ومواقف الأطراف ليست مطالب، إنّ تحديد المواقف هو السبب وراء المطالب والحاجات، والاهتمامات والرغبات والآمال والمخاوف، وكلما جاءت الاتفاقات مُلبية لمصالح الأطراف، كان الاتفاق أفضل».

٢ـ الخيارات Options

سؤالان يطرحهما روجر فيشر تحت هذا العنوان:

أ ـ هل تمّ إعداد ما يكفي من الخيارات؟

ب ـ هل عملية خلق الخيارات منفصلة عن عملية صناعة الالتزامات؟[١]

أما جون ميري وتيري بارنيت، فلقد أوردا تحت عنوان الخيارات في كراسهما: «الخيارات هي المساحة الكاملة للإمكانيات المتاحة للأطراف للتوصل إلى اتفاق، يمكن طرح الخيارات على مائدة المفاوضات، والاتفاقية ستكون أفضل إذا ما كانت نتاج ما هو أفضل لمجموعة من الخيارات، لاسيما إذا ما استغلت كافة إمكانيات المكاسب المُشتركة للأطراف»[٢].

---

(١) ميري، جون، وبارنيت، تيري، (٢٠٠٧)، ورشة تدريب المفاوضات. كراس غير منشور. وزع في ورشة العمل التي عقدتها دائرة شؤون المفاوضات. رام الله، فلسطين.

(٢) فيشر، روجر، مصدر سبق ذكره، ص ٧٥٠.

٣ـ الشرعية Legitimacy

مثال: لو تمّ مقارنتها مع الشرعية عند الرسول صلّى الله عليه وسلّم وعند علي رضي الله عنه هل يوجد قاسم مشترك أخذاً بالاعتبار أنّ الإسلام هو دين عالمي شامل؟.

سؤالان أيضاً يطرحهما روجر فيشر تحت هذا العنوان:

أ ـ هل تمّ استخدام كافة السوابق وكافة المعايير الخارجية العادلة؟

ب ـ هل يمكن إيجاد المبادئ التي يمكن أن تكون مقنعة للطرف الآخر ولنا؟[(١)]

أمّا ميري وبارنيت فلقد كتبا تحت عنوان الشرعية: «الشرعية تُشير إلى عدالة الاتفاق، وتبدي كافة الأطراف ارتياحها لاتفاق يكون مستنداً على معالم طريق خارجية، ومعايير ومبادئ خارج إرادة الأطراف، مثل هذه المعايير الخارجية العادلة ستشمل: القوانين، والأنظمة، والمعايير الصناعية والإجراءات المعمول بها مثل التبادلية والسوابق»[(٢)].

٤ـ العلاقة Relationship

ثلاثة أسئلة يطرحها روجر فيشر حول العلاقة:

أ ـ ما هي إمكانية الأطراف للعمل معاً؟

ب ـ هل هناك علاقة عمل بين المفاوضين من مختلف الأطراف؟

---

(١) ميري، جون، وبارنيت، تيري. مصدر سبق ذكره.

(٢) المصدر نفسه.

ت ـ هل تهتم الأطراف بما فيه الكفاية لطبيعة العلاقات التي تريدها في المستقبل؟[١]

جون ميري وتيري بارنيت يطرحان تحت عنوان العلاقة: «أهم المفاوضات هي التي تحدث بين أفراد أو مؤسسات جرت بينهم مفاوضات سابقاً، عموماً فإنّ علاقات العمل المستثنية بين الأفراد أو المؤسسات التي تقوم بالمفاوضات تؤهل كل الأطراف للتعامل مع الخلافات بطريقة خلّاقة، أي الانتقال (من مرحلة إلى أخرى) يجب أن يحسن إمكانية الأطراف للعمل بشكل مُشترك»[٢].

٥ـ الاتصال Communication

سؤالان يطرحهما روجر فيشر مرة أخرى تحت عنوان الاتصال:

أ ـ هل طريقة اتصال الأطراف تُساعد أو تعطل قدرة الأطراف على التعامل بشكل بنّاء مع الصراع؟

ب ـ هل الآليات المعمول بها لتحديد ما تمّ الاتفاق عليه تؤدي الغرض الذي أوجدت لتحقيقه؟[٣]

أمّا ميري وبارنيت فيوردان في كرّاسهما تحت عنوان الاتصال: «إنّ ماهية الاتصال في المفاوضات تعتمد على الفهم المشترك بين الجانبين وعلى متانة العملية، في المستوى الممتاز من الاتصال تفهم الرسائل التي يرسلها طرف للطرف الآخر بدقّة كبيرة، أي أنّ كل طرف يفهم الطرف الآخر حتى وإن اختلفا».

---

(١) فيشر، روجر، مصدر سبق ذكره. ص ٧٥.

(٢) ميري، جون وبارنيت، تيري، مصدر سبق ذكره.

(٣) فيشر، روجر. مصدر سبق ذكره.

٦ـ الالتزام Commitment

يطرح فيشر ثلاثة أسئلة عند الحديث عن الالتزام:

أ ـ هل تمّ صياغة الالتزامات بدقة؟

ب ـ هل يعرف كل طرف ما الذي يريد الطرف الآخر الموافقة عليه؟

ت ـ إذا ما قال الطرف الآخر نعم، فهل هناك وضوح حول ما يتوجب القيام به في صباح اليوم التالي؟

جون ميري وتيري بارنيت قالا تحت هذا العنوان:

«الالتزامات المكتوبة والشفوية هي عبارة عن كل ما سينفذه أو ما سيقوم به كل طرف، والالتزامات إما أن يكون قد تمّ تحديدها خلال المفاوضات، أو أن يكون قد تمّ الاتفاق عليها في نهاية المفاوضات. عموماً فإنّ أفضل الاتفاقات هي تلك التي تُحدّد الالتزامات بدقة ووضوح، بحيث تكون صياغتها واضحة وعملية ومفهومة بسهولة من كل الأطراف التي ستقوم بتنفيذها».[١]

٧ـ البدائل Alternatives

يطرح فيشر تحت هذا العنوان:

أ ـ هل يفهم كل طرف أفضل بدائله في حال عدم التوصل إلى اتفاق؟

ب ـ هل النتائج السلبية المترتبة على عدم الاتفاق يمكن استخدامها لتقريب الأطراف لبعضها البعض؟[٢]

---

(١) ميري، جون وبارنيت، تيري، مصدر سبق ذكره.

(٢) فيشر، روجر، مصدر سبقه ذكره.

جون ميري وتيري وبارنيت يطرحان تحت هذا العنوان في كرّاسهما:

«البدائل هي المخارج المُمكنة لكل طرف في حال عدم التوصل إلى اتفاق، وعموماً يجب على كل طرف عدم القبول باتفاق يكون أسوأ مما لديه من خيارات في حال عدم التوصل إلى اتفاق»(١).

رابعاً: العناصر السبعة في كرّاس ميري وبارنيت:

جوي ميري وتيري بارنيت طرحا في كرّاسهما ما يلي حول العناصر السبعة:

العنصر الأول: البدائل Working Assumption - Alternatives

تطوير أفضل البدائل لاتفاق لا يتم عبر المفاوضات يوفر لك الحماية من النتائج الضارة ويُساعدك للتفاوض على اتفاق أفضل، ولفهم أفضل لا بدّ من تحديد عناصر فرضية العمل في المفاوضات على أساس البدائل:

١ـ المُشكلة Problem

التوصل إلى اتفاق ستندم عليه لاحقاً، وعندئذٍ ستشعر أنّه تمّ الضغط عليك لتوقيع الاتفاق، أو أنك ستتمنى لو أنك لم تتسرع بقبول العرض الذي قُدم لك، ومن المؤسف أنّك لم تتمكن من تحقيق اتفاق أفضل لمجرد أنّ الطرف الآخر بدا قوياً بالنسبة لك، وأنه عرض مواقفه بشكل مُقنع وأنت تسرّعت بالقبول.

ينبغي للباحث أن يحوّل صيغة ما جاء في برامج دورة التدريب إلى صيغة كتاب علمي بحثي، ضع هذه الاعتبارات في فرضية عملك، وتذكر أنّ المفاوضات ليست حرباً ويجب ألا يُجبرك أي طرف على توقيع اتفاق،

---

(١) ميري، جون وبارنيت، تيري، مصدر سبق ذكره.

فأنت تتفاوض، ولا تقوم بتوقيع وثيقة استسلام، وتذكر دائماً «عدم التسرّع وضرورة التريّث».

٢ـ القضية Cause

المفاوضون عادة يقومون بالموافقة على أساس ما لديهم على الطاولة من تقييمات واحتمالات وإمكانيات، وقد يطرحون عليك عرضاً ويهددون بالانسحاب من المفاوضات إن لم توافق.

المسألة الآن لها علاقة بالقضية التي أنت بصددها، فهل الموافقة ستحل المُشكلة؟ أم أنّها ستؤدي إلى المزيد من التعقيدات؟ أم أنّ الموافقة ستؤجل الأزمة إلى حين؟ تذكر أنّ بإمكانك أيضاً التهديد بالانسحاب أو حتى الانسحاب، كرد على تهديد من الطرف الآخر بالانسحاب.

وعليك أن تُدرك تبعات الانسحاب، وتبعات الاستمرار، وتبعات الموافقة أو عدمها على ما جئت أساساً بهدف تحقيقه (القضية).

إنّ حكمك سيتطلب تقديراً دقيقاً للموقف، ولكافة مكونات القضية، وانعكاس القرار على كافة الأمور.

٣ـ الطريقة Approach

عليك أن تستخدم طريقة التحليل الدقيق لخياراتك وخياراتهم إن لم تتمكن من التوصل إلى اتفاق، واسأل نفسك ما الذي سأقوم بعمله إذا ما فشلنا في التوصل إلى اتفاق؟ ما الذي سيقومون به إذا ما فشلنا في التوصل إلى اتفاق؟ عليك أن تُقارن بين نتائج وتبعات الاتفاق المعروض عليك، وبين خياراتك خارج إطار الاتفاق، والطرف الآخر سيقدم خياراته (أفضل البدائل في حالة عدم التوصل إلى اتفاق) ـ BATNA ـ وستجد أنه في حال اتخاذ قرارك النهائي بعدم الاتفاق فإنك ستطرح مصالحك بشكل حازم وقوي وواضح.

٤ـ اتجاهك أو دليلك Guide Lines

أ ـ حاول تحسين بدائلك في حال عدم التوصل إلى اتفاق، وضع كل ما لديك من طاقات وإمكانات لتحسين البدائل التي تملكها في حال عدم التوصل إلى اتفاق. فلا جدوى من اتفاق تكون بدائل عدم توقيعه بالنسبة لك أفضل من توقيعه.

ب ـ فكّر بطرق لإضعاف بدائل الطرف الآخر في حال عدم التوصل إلى اتفاق، وهذا يتطلب قيامك بعملية تحليل دقيقة لبدائل الطرف الآخر. وبإمكانك الآن أن تذكرها لهم وتُبين أن تقديرهم لم يستند إلى الدقّة، ولكنك في هذه الحالة تُخاطر بتدمير العلاقات بينكما ولفترة طويلة.

ت ـ إذا ما كان لديك بدائل قوية في حال عدم التوصل إلى اتفاق، وكانت لديهم بدائل قوية أيضاً، فعليكما أن تُفكرا بجدية في جدوى المفاوضات(١).

لنُعطِ مثالاً على ذلك (محمد وحسن: فاتورة المياه، فاتورة الكهرباء).

ورث محمد وحسن عن والديهما بيتاً مكوّناً من شقتين في بلدتهما، للشقتين ساعة كهرباء واحدة، وساعة مياه واحدة، وقبل وفاته أوصى الأب أن تسجّل ساعة المياه باسم محمّد وساعة الكهرباء باسم حسن.

اتّفق محمد وحسن قبل زواجهما ونظراً للتقارب في أسعار تكاليف المياه والكهرباء على أن يقوما باقتسام تكلفة المياه والكهرباء بالتساوي بينهما.

---

(١) ميري، جون وبارنيت، تيري، مصدر سبق ذكره.

في مطلع كل شهر كان الأخوان يجلسان ويجمعان قيمة فاتورة الكهرباء وفاتورة المياه ويقسمان المبلغ الإجمالي بينهما. مرّت سنوات وتزوّج الاثنان واستمرّا في جمع قيمة الفاتورتين ثمّ اقتسام المبلغ الإجمالي.

ونتيجة لارتفاع أسعار الوقود اضطرّت شركة الكهرباء لرفع أسعار الكهرباء بنسبة ٥٠٪. وعندما جاء الوقت لاحتساب الحصّة الشهريّة لكل من محمد وحسن، قال محمد الذي سُجلت ساعة المياه باسمه لأخيه حسن «ساعة الكهرباء مُسجلة باسمك، فهل من المعقول أن أدفع مثلك تماماً بعد ارتفاع الأسعار؟» فأجاب حسن «ماذا لو ارتفعت أسعار المياه هل كنت سأطرح عليك السؤال نفسه؟» احتدّ النقاش بينهما، وخرجت الأمور عن السيطرة مما أدى إلى خروج حسن من الاجتماع غاضباً.

فكّر محمد بما حدث واستنتج أنّ عدم دفع الفواتير في موعدها سيؤدي إلى فرض غرامات في المرحلة الأولى، ثم قطع المياه والكهرباء عن المنزل. لكنه قال لنفسه: لابدّ أنّ حسناً سيُفكر في الأمر ذاته، وقد يعود إلى رشده قبل أن تتأزّم الأمور.

ثمّ استدرك مُفكراً، ماذا لو اعتقد حسن أنّني فكرت بذلك، وربما يعتقد أنّني سأبادر لقبول ما طرحه.

في الوقت نفسه كان حسن يُفكّر أيضاً في الأمور نفسها، وفي عواقب المسألة، وآثار ما طرحه أخوه محمد حول وجوب أن يقوم بدفع حصة أكبر من فاتورة الكهرباء؛ لأنها مسجلة باسمه علماً أنّهما يستهلكان تقريباً الكمية نفسها من (الكيلو واط).

هناك أمور أخرى فكّر بها محمد وحسن:

أ ـ أثر الخلاف بينهما على العلاقة بين عائلتيهما؟

ب ـ كيف سينظر الجيران إلى هذا الخلاف؟

ت ـ ماذا لو انتشر الخبر في كلّ أرجاء الحارة ومن ثمّ البلدة؟

ث ـ كيف سيؤثر ذلك عليهما في أماكن العمل؟

ج ـ كيف سيتصرف أولادهما في المدرسة مع زملائهم؟

ح ـ استغلال الآخرين ممن يضمرون لها الكراهية الموقف والسعي للفساد.

الحسابات تتشعّب وتتوسّع، فهناك الغرامة وقطع التيّار الكهربائي والمياه في حالة عدم دفع الفاتورة، واستمرار الخلاف سيعني أيضاً الإضرار بالعلاقات العائلية بينهما، وسيسيء إلى سمعتهما عند الجيران وأبناء الحارة وربما البلدة، وقد يكون للخلاف انعكاسات سلبية في أماكن العمل.

لاحظ كيف فكّر حسن ومحمد بالآثار المترتبة على مواقفهما تجاه مصالحهما. فحسابات المصالح تأتي أولاً عند هذه النقطة فكّر محمد وحسن بخياراتهما، إمّا استمرار الخلاف وعدم التراجع (ما يُسمى بالعامية «ركوب الرأس»؛ لأنّ كل واحد منهما قد يعتقد أنّ التراجع سيعني الضعف.

في حالة استمرار الخلاف فإنّ الأضرار بمصالحهما سيكون كبيراً، وعلى هذا الأساس سيحاولان مُعاودة الاتصال، إمّا أن يقوم أحدهما بمعاودة الاتصال بالآخر، أو إرسال زوجة أحدهما لزوجة الآخر، أو إدخال طرف ثالث كقريب أو جار لهما، أو شخص صديق عزيز عليهما.

إنك تُدرك أنّ المرحلة الأولى هي التفكير في كيفية إعادة الاتصال؟

تفكير محمد وحسن بإعادة الاتصال جاء على أساس حسابات

الإضرار بمصالحهما؛ إذ إنهما أدركا أنّ استمرار الخلاف سيعني معادلة خسارتهما بشكل متكافئ (خسارة- خسارة). لاحظ كيف تمّت الحسابات وفقاً للمصالح وليس المواقف، ولكن ماذا عن خياراتهما المتعلقة بكيفية حلّ المُشكلة؟

١- التصالح وإبقاء الأوضاع بينهما على ما هي عليه، أي استمرار تقاسمهما للفاتورتين (الخيار الأفضل لعدم التوصل إلى اتفاق) - BATNA -

٢- بعد مُعاودة الاتصال قد يتّفقان على تركيب ساعة جديدة للمياه باسم حسن، وساعة جديدة للكهرباء باسم محمد، لكن هذا الخيار يعني أن يدفعا التكاليف الباهظة لشركة المياه وشركة الكهرباء.

٣- أن يتّفقا على أن يدفع حسن فاتورة المياه في نهاية الشهر، وأن يدفع محمد فاتورة الكهرباء. وفي الشهر الثاني يدفع حسن فاتورة الكهرباء، في حين يدفع محمد فاتورة المياه، وهكذا في كل شهر.

٤- إذا ما كان هناك تفاوت كبير في الدخل الشهري بينهما، فلقد يقوم الطرف الثالث باحتساب نسبة المُشاركة في دفع الفواتير بينهما استناداً لنسبة الدخل لكل منهما.

٥- قد يتّفقان على أن يقوم حسن بدفع فاتورة المياه وفاتورة الكهرباء مرة، على أن يدفعهما محمد في المرة القادمة وهكذا.

٦- قد يقوم الطرف الثالث بدراسة لاستهلاك شقّتيهما من الكهرباء والمياه، وفقاً لما يملكان في الشقتين؛ أي عدد مُكيّفات الهواء والتدفئة، والثلاجات، والإضاءة الداخلية والخارجية، والغسالات،

والنشّافات، وعدد أفراد كل أسرة ونسبة ذلك لاستهلاك المياه والكهرباء، ثم يقوم الطرف الثالث بتحديد نسبة مُشاركة كل منهما، لاسيما إذا ما كانت أسرة أحدهما مكونة من تسعة أفراد، وأسرة الثاني مكوّنة من ثلاثة على سبيل المثال.

وبطبيعة الحال سيقوم حسن ومحمد بدراسة دقيقة لحسابات كل خيار، وسيصلان إلى نتيجة بأن بدائلهما خارج إطار أي اتفاق جديد أفضل من التوصل إلى اتفاق؛ أي أنّ المُصالحة بينهما ستتمّ على أساس إبقاء الأوضاع على ما هي عليه.

حاولنا من خلال حسن ومحمد أن نُحدد:

١ـ المشكلة (المواقف).

٢ـ الأضرار المُترتبة على استمرار الخلاف (المصالح).

٣ـ طرق إعادة الاتصالات.

٤ـ الخيارات لحل المُشكلة وإمكانية التوصل إلى اتفاق جديد.

٥ـ البدائل.

مصالحهما كانت أفضل منها في حالة التوصل إلى اتفاق جديد، أي البدائل كانت أفضل لهما دون الاتفاق، فاختار إبقاء الأوضاع على ما هي عليه من خلال BATNA.

العنصر الثاني: المصالح Interests

الفرضية: ركز على المصالح وليس المواقف؛ لأن ذلك سيزيد من فرصك للتوصل إلى اتفاق جيد. جون ميري وتيري بارنيت يُحددان عناصر فرضية العمل وفقاً للمصالح:

١ـ المُشكلة Problem

الناس يُركزون على المواقف وليس المصالح. في بداية المفاوضات يقوم كل طرف بتقديم الحلول التي يراها مُناسبة، ويدافع كل طرف عن مواقفه، ويهاجم مواطف الطرف الآخر.

والهدف من ذلك، يكمن في الاعتقاد أنّ هذه الطريقة ستقود إلى الربح عبر التوصل إلى اتفاق يكون قريباً لمواقفنا.

حتى إن تمكنتم من ذلك، تذكروا بأن هذا النوع من الربح سيؤدي إلى إضرار بالعلاقة مع الطرف الآخر، لأنّ الاتفاق سيكون غير متوازن.

٢ـ القضية Cause

الناس يعتقدون أنّ المفاوضات عبارة عن معركة حول المواقف المُختلفة، وفي الحقيقة المواقف تؤدي إلى صراعات حولها شخصان يسعيان للزواج من الفتاة نفسها.

زميلان يسعيان عند مديرهما للحصول على رتبة أفضل، وهما في الوظيفة نفسها.

المفاوضات، في الأساس، ليست معركة حول المواقف، إذ إنّ معارك المواقف قد تكون مدخلاً للمفاوضات، أو السبب لإجراء مفاوضات.

حاجاتك، وتطلعاتك، وطموحاتك، ورغباتك ومخاوفك (مصالحك) وهي ما يدفعك للتفاوض، وهي أهم بكثير من المواقف.

٣ـ الطريقة Approach

ركّز على المصالح وليس على المواقف، واعرف مصالحك، وحاول معرفة مصالح الطرف الآخر. واحصر العوامل المُشتركة بين مصالحك ومصالحهم.

الشخصان اللذان يريدان الزواج من الفتاة نفسها قد يتّفقان على سؤال الفتاة من تريد، فلقد تُقرر أنها لا تريد أيّاً منهما، والزميلان في العمل قد يحتكمان للقوانين والأنظمة المعمول بها للحصول على الترقيات، ومن السهل أن تتضمن المصالح المُشتركة في إطار صفقة من شأنها حل المشاكل الناتجة عن المواقف.

٤ـ الاتجاهات، الدليل Guide Lines

عندما تحضر، استخدم المصالح لتحليل الخيارات، وادرس اتجاهات تفكيرهم لكيفية حصولك على ما تريد حسب وجهة نظرهم.

أ ـ ادرس كيفية تلبية مطالبهم بشأن مصالحهم، وكيفية تحقيق رضاهم.

ب ـ ركّز النقاش على المصالح، وليس المواقف، ولا ضير من نقاشها بوضوح.

ت ـ استخدم كفاءتك بالقيادة وبادر بالحديث عن مصالحك دون تردد، وإذا لم تكن مستعداً للحديث بصراحة عن مخاوفك وتطلعاتك، ورغباتك، طموحاتك (مصالحك) فكيف تتوقع منهم أن يتّحدثوا عن مصالحهم؟

ث ـ إذا استمروا في الحديث عن مواقفهم بعد حديثك عن مصالحك، اسألهم بصراحة: لماذا تقومون بذلك؟ وما هي النتيجة التي تسعون لتحقيقها؟

العنصر الثالث: الخيارات Options

فرضية العمل ذات العلاقة بالخيارات عندهما:

«طرح الخيارات التي تُحقق الكسب المتبادل ستؤدي إلى اتفاق أفضل للجانبين»[(١)].

١ـ المشكلة Problem

كيف يُنفذ الجانبان الاتفاق؟ إنّك تفترض أنه لمجرد قبول الزميلين في العمل الاحتكام للأنظمة والقوانين للحصول على الترقية، فإنّ المُشكلة قد حُلّت، في الحقيقة، إذا اعتقدت ذلك فإنك قد تزيد من التعقيدات.

عليك مُتابعة التنفيذ من خلال معرفة القوانين والأنظمة وكيفية الاحتكام إليها، والاتفاق على ذلك.

٢ـ القضية Cause

في الكثير من الأحيان يعتمد الناس الخيار الأول الذين يعتقدون عند سماعه أنّه جيد، تراهم لا يهتمون في التفكير في خيارات أخرى أو حتى الاستماع لها.

ويتردد الناس عادة في طرح خيارات جديدة؛ لأنهم يعتقدون أنها قد تكون جيدة، أو أنّها قد تعكس سطحية تفكيرهم مما يُعرضهم للسخرية.

استمع، وابحث دائماً عن أكبر قدر من الخيارات فهذا سيُساعد قضيتك بشكل كبير.

٣ـ الطريقة Approach

أ ـ حضِّر للمفاوضات بالتفكير بعدد من الخيارات، واحرص دائماً ألا تُغلق لائحة الخيارات، فيمكن أن تُفكر بطرق جديدة للحل وللخيارات أثناء المفاوضات.

---

(١) ميري، جون وبارنيت، تيري، مصدر سبق ذكره.

ب ـ فكّر بطرق لإيجاد حلول تؤمن للآخرين مصالحهم، وليس تلك التي تُعزّز مواقفهم.

ت ـ تذكّر أنّ محاولتك لتأمين مصالح الطرف الآخر الشرعية تُشكل طريقة لتأمين مصالحك، وإذا لم تؤمّن مصالحهم من خلال طروحاتك، فلن يقولوا (نعم).

ث ـ افصل عملية خلق الخيارات عن عملية صُنع القرارات.

ج ـ وعندما تحضر للمفاوضات أو أثناء حدوثها اعقد اجتماعات للتفكير وللعصف الفكري، بعيداً عن اللوم أو الالتزام بموقف محدد، كأن تضع قاعدة للجلسة بعدم السماح بتوجيه اللوم أو طلب الالتزامات.

٤ـ الاتجاهات، الدليل Guide Lines

أ ـ شجّع طرق الأفكار الخلّاقة (Creative ideas)

ب ـ شجّع طرح عدة خيارات.

ت ـ شجع طرح الأفكار وكيفية تطويرها.

ث ـ **طبيعة القوانين**: حتى لو تطلّب ذلك تذكير الذين يُشاركون في جلسة للعصف الفكري بوضع يافطة على جدر الغرفة: (لا لوم، لا التزامات، لا اتهامات). أي أنّ ما تقولونه أو تقترحونه لن يُحسب عليكم أو يستخدم ضدكم، وأنّه يمكن الحفاظ على سرية كل ما يُطرح.

العنصر الرابع: الشرعية Legitimacy

سيكون أساس المعايير الشرعية أسهل وأسرع حلاً للمشاكل من معايير الإرادة الذاتية.

١ــ المُشكلة Problem

هناك دائماً صراع بين الإرادة الذاتية لكل طرف، ويمكن أن يعتقد طرف ما لأنه يمتلك القوة أنّ بإمكانه فرض إرادته من خلال فرض اتفاق، لكن من الأفضل للطرف القوي أن يتوصل إلى اتفاق من خلال معايير الشرعية.

أي أن يُبيّن للطرف الآخر أنّه لا يُحاول فرض الحلول، أو حلّ المُشكلة وفقاً لإرادته الذاتية، وإنما من خلال المعايير العادلة والملائمة، وعلى أساس لا علاقة له بإرادة وقوة هذا الطرف أو ذاك.

٢ــ القضية Cause

الناس يحبون أن يتم التعامل معهم بعدالة.

الدول العُظمى التي تُحاول التوصل إلى اتفاق لمنع انتشار الأسلحة النووية، والشركات العملاقة التي تُحاول التوصل إلى عقود شراء وتوزيع، ولا أحد يريد أن يتم التعامل معه بطريقة غير عادلة.

على المفاوض ألّا يُفكر أن كل ما يطرحه عادل، وأنّ كل ما يطرحه الطرف الآخر غير عادل، إذ لن يدخل أحد في مفاوضات لتحديد ما هو عادل وما هو غير عادل.

٣ــ الطريقة Approach

استخدم الشرعية بحزم وبمرونة، وتذكر أنّها السيف والدرع.

وبعد أن تُحدد عدداً من الخيارات للتعامل مع المُشكلة، تذكر أنّ عليك أن تُحدد طريقة اختيارك من بينها.

المعيار: العدالة، والتوازن، أو قد تلجأ لطلب المُساعدة من طرف حيادي.

لا شكّ أنك ستستخدم معايير وسوابق اعتمد عليها سابقاً، كالقانون الدولي مثلاً، وفكرة اقتسام لتبادل الرئاسة على مجلس بلدي.

يجب ألّا يشعر طرف بأنه ظُلم؛ لأنّ الطرف الآخر أقوى منه، والطريقة يجب أن تكون معايير الشرعية.

٤ـ الاتجاهات، الدليل Guide Lines

في التحضير، احرص على أن تطرح بداية المفاوضات من أفكار، ستكون على استعداد لطرحها أمام لجنة تحكيم مُحايدة.

إنك تُريد أن تبدأ المفاوضات بطرح أفكار سيُفكر الطرف الآخر فيها بشكل عميق.

لا تخضع للضغط، وإذا ما حاول الطرف الآخر الضغط بطرق غير شرعية، وقبلت ما يريدون ووافقت عليه، فأنت ستُثبت لهم أنّ طريق الضغط هو أفضل الطرق للتعامل.

اجعل من ركائز الشرعية إطاراً لكل مسألة، بدلاً من أن تقول لهم من البداية: ما الذي تريدونه؟ قل لهم: إذا ما وافقت على تخفيض السعر ١٠٪ هل ستوافقون؟

كن حريصاً على دراسة منطقهم، وإذا ما أردت تغيير قاعدة المفاوضات من المواقف إلى الشرعية اسألهم: «ما هو الدافع لديكم وراء عرضكم؟ ولماذا تريدون أن يكون السعر الذي تقبلون به ١٠٠ دولار؟ وإذا ما كنتم في مكاني فهل ستقبلون بهذا السعر؟»

العُنصر الخامس: الالتزام Commitment

فرضية العمل: إنّ عدم الخوض في الالتزامات حول المضمون إلى

نهاية العملية سيُمكنك من تحسين المفاوضات، وبالتالي التوصل إلى اتفاق أفضل. قد تكون الفرضية عكسية.

١ــ المشكلة Problem

المفاوضون ينشغلون أثناء المفاوضات بالالتزامات.

كل طرف يتمسك بموقف ويتردد باتخاذ القرارات، وكل طرف يطرح مواقف عالية السقف في بداية المفاوضات، اعتقاداً منه أنّ هذا يُمثّل الطريقة المُثلى لتفادي التنازلات.

والمُشكلة الناتجة عن ذلك ستؤدي إلى التساؤل: هل المفاوضات مُجدية؟

كل طرف سيُقدّم المواقف التي يعتقد أنها ستُساعده في تصليب أرضيته التفاوضية، وهذا سيقود إلى إهمال البحث عن الأرضية المشتركة لصناعة الاتفاق الذي يأخذ بعين الاعتبار مصالح كل طرف.

٢ــ القضية Cause

المفاوضون يركزون على الالتزام كما قلنا: لأنّ الجميع يفترض أنّ هدف المفاوضات هو التوصل إلى الالتزامات.

وعليك الإدراك أنّ التركيز يجب أن يكون على نوعية الالتزام، ولا يمكن الحكم على النوعية في بداية المفاوضات، فهناك قضايا كثيرة ستُطرح، وستظهر مسائل جديدة تتطلب التزامات جديدة، والالتزامات السابقة لأوانها في الغالب لن تكون مُناسبة.

٣ــ الطريقة Approach

فيما يتعلق بالمضمون حاول تأجيل الالتزامات إلى نهاية المفاوضات، والوقت المناسب لطرح الالتزامات هو عندما تكون المصالح قد فهمت

بعمق من الجانبين، وعندما تحضر للاجتماع ادرس جيداً إن كانت الأطراف قد وصلت بالفعل إلى مرحلة الالتزامات.

٤ـ الاتجاهات، الدليل Guide Lines

على صعيد الالتزامات فكّر بما يلي:

أ ـ وضّح لكل أعضاء الفريق أنك تُفكر بالالتزامات، وأنّك تُريد أن تطرحها، كذلك الحال احرص على أن يعلم الطرف الآخر أنك تنوي مُناقشة الالتزامات والموافقة على ما يخصّك منها.

ب ـ الاجتماعات ستستمر بوتيرة أفضل عندما يعرف كل طرف ما يريد الوصول إليه، وعندما تكون هناك فرصة اختبر فرضياتك حول نوعية الالتزامات التي تسعى للحصول عليها.

ت ـ قم بصياغة الالتزامات قبل الدخول إلى الاجتماع المُخصّص لذلك، وسيكون من المُلائم أن تطرح الالتزامات مكتوبة على الطاولة عندما يحين الوقت لاتخاذ القرارات.

ث ـ وممّا لا شكّ فيه أنّ الطرف الآخر سيكون قد أعدّ أفكاراً مكتوبة حول الالتزامات، وسيقوم بطرحها أيضاً، وهنا تبدأ عملية تحديد ما عليك من التزامات وما عليهم.

ج ـ التزم مع الطرف الآخر بهدف التوصل إلى الالتزامات، وابدأ استعدادك لذلك.

ح ـ تأكّد أنّ كل طرف يعرف بأنّ الالتزامات التي يتم نقاشها لن تكون ملزمة إلّا عندما يتمّ الاتفاق بشكل نهائي.

العنصر السادس: الاتصال Communication

فرضية العمل: سيكون من الأفضل لكل طرف على مائدة

المفاوضات إقامة الاتصالات والمحافظة عليها.

١ـ المُشكلة Problem

المفاوضات غالباً ما يحكمها سوء التفاهم: يقول جون ميري وتيري بارنيت في كرّاسهما: «غالباً ما يكون الاتصال في المفاوضات عبارة عن مُحاولة إرسال رسالة دخانية أثناء مرور عاصفة»(١).

الاتصال هو بمثابة سريان الدم في شرايين المفاوضات، وعندما يتجلّط الدم يُصاب الإنسان بذبحة صدرية، وسوء الاتصال يؤدي إلى تعطيل المفاوضات.

٢ـ القضية Cause

عندما تقوم بالاتصال، احرص على طرح ما تُفكر به، وكن واضحاً ومُحدّداً ولا تترك مجالاً لسوء الفهم، فإذا لم يفهم الطرف الآخر ما تريد، فالنتيجة ستكون الغموض والبلبلة.

عندما لا يفهم الطرف الآخر مشاكلك وكيفية تحديدك لمصالحك لن يتمكن من مساعدتك.

٣ـ الطريقة Approach

باختصار- اتصال مُتبادل. الجميع يسمع والجميع يتحدث، كل طرف يعرف أنّه يُرسل ويستقبل. لا نستطيع القول إنّ الرسالة وصلت دون أن يفهمها الطرف الآخر.

سيكون اقتراحك أقوى عندما تضمنه ما سمعته من الطرف الآخر حول مصالحه، وفي هذه الحال سيأخذ اقتراحك على محمل الجد، لأنك

---

(١) ميري، جون وبارنيت، تيري، مصدر سبق ذكره.

أبرزت له أنك تأخذ مصالحه المشروعة بعين الاعتبار.

٤ـ الاتجاهات، الدليل Guide Lines

بخصوص الاتصال ركّز على ما يلي:

أ ـ واصل الاتصال في حال وجود خلافات.

ب ـ احرص على التشاور قبل اتخاذ القرار، وعندما تتشاور مع الطرف الآخر من خلال الاتصالات، هذا لا يعني أنك تتخلى عن حقّك في اتخاذ القرار، إنّك ببساطة تتشاور حتى تتمكن من اتخاذ القرار الصحيح.

ت ـ يجب أن يكون لديك هدف معين، وقبل الحديث حضّر نفسك جيداً، واعرف تماماً ما هي الرسالة التي تريد إيصالها من خلال حديثك.

ث ـ ابقِ على قنوات اتصال خاصة. ففي بعض الأحيان لا تريد أن تعرض اقتراحك على جميع أعضاء فريق الطرف الآخر، وقد يكون من المُناسب أن تطرحه على رئيس فريق الطرف الآخر بجلسة بينكما. اسأله: «هل تعتقد أنكم ستوافقون على هذا الاقتراح عندما أطرحه على مائدة المفاوضات؟».

ج ـ تحدّث عن نفسك، عن فريقك، وليس عنهم، ولا تتحدث معهم حول ما تعتقد أنهم يفكرون به، أو ما تعتقد أنه من دوافعهم ومصالحهم.

العنصر السابع: علاقة العمل Working Relationship

المادة الثامنة من كرّاس جون ميري وتيري بارنيت هي العنصر السابع المُتمثل بعلاقة العمل.

فرضية العمل: الفصل بين المفاوضين (الأشخاص)، وبين المشاكل موضوع المفاوضات، هذا الفصل سيُساعدك في إقامة علاقات عمل جيدة.

١ــ المُشكلة Problem

طبيعة العلاقات التي تُقيمها مع المفاوضين من الطرف الآخر، ستُقرر مدى استفادتك في الوصول إلى حلّ للمشاكل.

كيف تطرح مواقفك؟ مدى مصداقيتك. مدى تحملك؟ مدى جدّيتك؟ مدى حرصك على أن يعرف الطرف الآخر أنك لا تحاول خداعه؟

عندما تتحقق لك علاقات عمل قوية ستتمكن من التعامل مع كافة المشاكل التي ستطفو على السطح مهما كان نوعها وحجمها.

٢ــ القضية Cause

يجب عدم الخلط بين المضمون وعلاقات العمل، إنّك تمثل طرفاً له مصالح، وهم أيضاً يُمثّلون طرفاً له مصالح؛ لذلك احرص على إقامة علاقات عمل قائمة على النديّة والاحترام المُتبادل، فلو لم تكن هناك مشاكل لما كانت هناك مفاوضات.

وعدم احترامك لأفراد الفريق الآخر ولمشاعرهم أو لمعتقداتهم ورموزهم، وتصرفك بغضب وعدوانية، لن يمكنك من بناء علاقات عمل جيدة.

تذكر أنّ احترامك لهم واستماعك لما يطرحونه دون استخفاف أو سخرية لا يعني أنك وافقت على ما يطرحون، إنك فقط تستمع لهم باحترام، ودون مُحاولة إيذاء مشاعرهم بأي شكل من الأشكال.

٣ـ الطريقة Approach

أ ـ افصل بين المسائل المُتعلقة بالعلاقات والمسائل المُتعلقة بالمضمون، ولا تخلط بينهما، ولا تحاول الربط بين استعدادك لإقامة علاقات معهم مُقابل موافقتهم على ما تطرح فيما يتعلق بالمضمون.

ب ـ لا تضع أي شروط لبناء علاقات عمل إيجابية، حتى لو حاول الطرف الآخر وضع شروط لذلك، وتجنب القيام بذلك. هذا لا يعني أنك ضعيف أو أنّك قبلت بما يطرحون، إنك تُريد بناء العلاقات للاستفادة منها عند حاجتك لإرساء قواعد الأرضية المُشتركة.

٤ـ الاتجاهات، الدليل Guide Lines

أ ـ كن منطقياً، حتى وإن كان الطرف الآخر عاطفياً في طروحاته، واحرص على أن تكون طروحاتك منطقية.

ب ـ كن متفهماً، حتى وإن كانوا لا يحاولون فهمك، واحرص على أن تفهمهم جيداً.

ت ـ كن شخصاً يُمكن الاعتماد عليه، وإذا ما حاول الطرف الآخر خداعك، لن تستفيد شيئاً من تبادل الخداع معهم، تصرف بطريقة تدل على أنّك شخص يُمكن الاعتماد عليه.

ث ـ لتكن مؤثراً، احرص على أن تُبدي قدراً كبيراً في محاولة فهم ما يطرحونه، حتى وإن حاولوا الضغط عليك، لفرض آرائهم. ولا تحاول القيام بالشيء ذاته، بل احرص على أن تُحاول إقناعهم.

لتكن مستقبلاً جيداً لما يطرحونه، وابدِ تفهمّك لهم، وهذا لا يعني أنك توافق على ما يطرحونه. وتذكر أنك تُحاول البحث عن أرضية

مُشتركة الهدف منها هو التوصل إلى اتفاق على أساس مُعادلة يربح فيها كل طرف[١].

(١) قدمنا اختصاراً «للعناصر السبعة» كما طرحها جون ميري وتيري بارنيت في كراسهما. لكن الضرورة اقتضت إضافة مواد وأمثلة وأفكاراً كثيرة من واقعنا العربي. لم يكن ذلك بهدف تغيير ما طرحه الكراس من أفكار. لكن لتعزيز الفهم عند القارئ العربي.

الجزء الثاني

أولاً: العناصر التفاوضية في مدرسة الرسول العظيمﷺ:

تمثلت قواعد وأصول المفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه بآيات القرآن الكريم وأحاديث رسول اللهﷺ، وكيف لا وهو يسمع ويقرأ قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣].

ومن قوله تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾[٤].

لقد تتلمذ سيدنا علي رضي الله عنه مُنذُ طفولته في مدرسة الرسول العظيم مُحمدﷺ. فالإمام علي لم يعبد الأصنام، وكان من أول

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٢) سورة النمل، الآية ١٢٦.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٤) سورة غافر، الآية ٥٦.

من استجاب لدعوة الرسول العظيم مُحمدﷺ. كان عمره عشر سنوات، فهو أول غُلام في الأرض يُعلن أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله.

عندما هاجر النبي مُحمدﷺ، ترك الأموال التي استأمنه عليها الناس عند سيدنا علي رضي الله عنه ليردها إلى أصحابها. إضافة إلى ذلك فلقد ترك علياً رضي الله عنه في فراشه. فجاء إليه الكُفّار لقتله شاهرين سيوفهم مُستعدين للقتل وإراقة الدماء، إلّا أنّ سيدنا علياً رضي الله عنه بقي ثابتاً، لم يضطرب ولم يهرب، وبعد ذلك لحق النبيﷺ في المدينة، فاستحقّ قول الرسولﷺ: «أنّ علي بن أبي طالب يُحبّ الله ورسوله، وإنّ الله ورسوله يُحبان علي بن أبي طالب». ثمّ ألم يُعطه النبي مُحمدﷺ الراية ليذهب إلى يهود خيبر في حصارهم؟

لقد تتلمذ سيدنا علي رضي الله عنه في مدرسة الرسولﷺ. فعندما بدأت الدعوة إلى الإسلام، لم يكن النبيّﷺ صاحب مال أو قوة أو منصب. وكانت مصالح قُريش تتناقض مع دعوة النبيﷺ. الذي كان يحاول أن يشُق طريقه بالحوار، وثبات الحجّة، وقوة المنطق بعيداً عن منطق القوة المُتسلّط.

كل ذلك كان من نقاط الارتكاز التي تعلمها سيدنا علي رضي الله عنه وغيره من الصحابة من رسول اللهﷺ.

تعلّم سيدنا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، أن لا يُجادل من أجل الغلبة التي تسعى لتضخيم الذات والأنا.

تعامل الإمام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه مع هذه المسائل في كتابه (إحياء علوم الدين). وأنصح كل من يُريد معرفة التفصيل عن

آفات وأضرار هذا النوع من الجدل والنقاش والمُناظرة أن يقرأ كتاب الإمام أبي حامد الغزالي الذي جاء في مُقدمته:

«إنّ المُناظرة الموضوعة لقصد الغلبة كالإفحام، وإظهار الفضل والشرف، والتشدق عن الناس، وقصد المُباهاة والمُجاراة، واستمالة وجوه الناس، هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدوّ الله إبليس»[١].

لقد تعلم سيدنا علي رضي الله عنه وغيره من الصحابة، أنّ المفاوضات ليست مُباراة أو مُبارزة، وليس للحصول على نتيجة طرف يخسر وآخر يربح، وأنّ المفاوضات لا تقوم على أساس اللعبة الصفرية (Zero sum game) وإنما بصفتها أحكاماً شرعية.

لقد عرف سيدنا علي رضي الله عنه، بأنّ الرسول العظيمﷺ كان يبدأ وينتهي بالدعوة إلى الإسلام بالحسنى، مع أنّ زمن بعثتهﷺ كان شاهداً على العادات الفاسدة التي شملت الخلاعة وتعاطي الربا، ومعاقرة الخمر والفجور والظلم والقسوة والرذيلة والخيانة. زمنٌ كان فيه الذئب راعياً والعدو قاضياً والجاهلُ مُعلماً.

كان سيدنا علي رضي الله عنه يقول: إنّ أول ما أنزل به سيدنا جبريل عليه السلام، للرسول العظيمﷺ:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٢].

---

(١) لمزيد من المعلومات: انظر: الإمام الغزالي، أبو حامد، (١٩٩٢)، إحياء علوم الدين، دار الهادي، بيروت، «الجزء الأول»، الطبعة الأولى، ص ٦٨.

(٢) سورة العلق، الآيات ١ ـ ٥.

لقد بدأت النبوّة بـ(اقْرَأْ)، وبذلك دلالات وأسس للدين الإسلامي العظيم الذي دخله الإمام علي رضي الله عنه غُلاماً.

لقد عايش سيدنا علي رضي الله عنه، كيف تعاملت قُريش مع الرسول الكريمﷺ، وكيف تعامل معهم.

لا بدّ أنهُ تابع باهتمام ما تحدّث به عُتبة بن ربيعة للرسولﷺ، حيث كان السلوك التفاوضي لكُفار قُريش وطريقة المُساومة لنزع الشرعية عن الرسولﷺ.

ثانياً: السلوك التفاوضي لكُفّار قُريش

١ـ مثال عُتبة بن ربيعة:

تمثّل سلوك كُفار قُريش في بداية دعوة الرسول العظيمﷺ بالبطش والعُنف بكافة المُستضعفين الذين استجابوا لدعوة الله عزّ وجل. ووظفوا أساليب السخرية والتهكّم، وعندما فشلت هذه السلوكيات قرّر كُفار قُريش تجربة سلوكٍ تفاوضيٍ آخر يجمع بين الترغيب والترهيب.

كُفار قُريش كانوا يعرفون أنّ حمزة بن عبد المطّلب، وعمر بن الخطاب، رضي الله عنهما قد دخلا الإسلام وأعلنا إسلامهما، وأنّ ذلك سيقود إلى إحداث تغييرات في موازين السياسة والتحالفات والقوى في مكة وما حولها.

عقد كُفار قُريش اجتماعاً على مستوى زعماء مكة، حيث تقدّم عُتبة ابن ربيعة وقال:

«يا معشر قُريش، ألا أقوم إلى مُحمد فأكلمه، وأعرض عليه أموراً لعلّه يقبل بعضها فنُعطيه أيّها شاء ويكفّ عنّا؟». فقالوا له: يا أبا الوليد قم إليه فكلمه. فقام إليه عُتبة، حتى جلس إلى رسول اللهﷺ وقال له:

«يا بن أخي، إنك منّا حيث قد علمت من السلطة (أي المكانة) في العشيرة والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمرٍ عظيم فرّقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لتنظر فيها لعلك تقبل منها بعضاً، فقال له رسول اللهﷺ: قل»[١].

من الطبيعي أن يكون سيدنا علي رضي الله عنه قد لاحظ سلوك عُتبة بن ربيعة، في رفع قدر الرسولﷺ بقصد إحراجه وتحميله مسؤوليات جسام، في حال رفض العرض. وهو سلوك تفاوضي يتعلق بالإملاءات وليس المفاوضات، أي إنّنا نُقرّ بمكانتك وعلوّ شأنك، ولكن استمرارك بما تقوم به نعتبره جريمة كُبرى، تُفرقنا وتسفهنا وتُكفرنا.

ثم يُضيف عُتبة بن ربيعة للرسولﷺ:

«إن كُنتَ تُريد بهذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كُنتَ تُريد شرفاً سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك، وإن كُنتَ تُريدُ مُلكاً ملكناك علينا. وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ»[٢].

لقد سمع سيدنا علي رضي الله عنه عروض كُفار قُريش والتي تشمل:

أ ـ أنهم على استعداد لتوفير الأموال للرسول مُحمدﷺ، بحيث يُصبح أكثر أهل مكة مالاً.

---

(١) لمزيد من المعلومات انظر: السرجاني، د. راغب، نيسان (٢٠١٠)، موقف عُتبة بن ربيعة مع رسول الله، موقع قصة الإسلام .Islam story.com

(٢) المصدر نفسه.

ب ـ وإن كان الرسول مُحمدﷺ يُريد المنزلة الأعلى، كان له ذلك، سودناك علينا، «ولا نقطع أمراً من دونك».

ت ـ وإن كان الرسول مُحمدﷺ يُريدُ مُلكاً فله ذلك: «إن تُرد به مُلكاً ملكناك علينا».

أمّا في حالة رفض الرسولﷺ المال والمنزلة والملك، فإنه لا شك، مجنون، بحاجة إلى علاج، وهو عرض خطير يدخل في إطار التهديد والوعيد.

إنّ قول كُفار قريش للرسول مُحمدﷺ إنهم على استعداد لجعله الأكثر مالاً ومنزلة وملكاً أيضاً، قد يُعتبر بنظرهم تنازلاً عظيماً لم يحدث في تاريخ مكة. ومُقابل هذا التنازل الكبير من قبل كُفار قُريش، فإنّ على الرسولﷺ ترك الدعوة والإعلان أنه نبيٌّ مزعوم يسعى للمنزلة والمال، أي أنّ كُفار قُريش حدّدوا سقفهم التفاوضي وما يسعون له من الرسول الكريمﷺ، يتمثل بالتنازل عن شرعيته، وعن نبوّته وعن رسالته.

لا بدّ أن سيدنا علياً رضي الله عنه قد استوعب معنى أنّ الرسول مُحمداًﷺ لم يقاطع عتبة بن ربيعة، بل لقد سأله:

«أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع منّي».

لم يغضب الرسولﷺ، لم يفقد أعصابه، لم يهاجم عُتبة بن ربيعة، لم يطرده، لم يُعنّفه، بل إنّ الرسولﷺ وبكل أدب سأله إن كان قد أنهى كلامه، حيث قال له باحترام شديد: أفرغت يا أبا الوليد؟ لم يقل له الرسولﷺ: يا عُتبة، بل قال له: يا أبا الوليد، ثم أضاف فاسمع منّي، أي كما سمعت منك، أريدك أن تسمع ما أقوله، أي أنّ الرسولﷺ عامله باحترام كبير، على الرغم من أنّ مضمون رسالته كان تهديداً ووعيداً،

وعروضاً لشراء الذمم، والضمائر، والتخلي عن الشرعية والتنازل عن الدعوة.

أدرك سيدنا علي رضي الله عنه أنّ الرسولﷺ، سياسي مُحنّك وحكيم وبارع يحاور ويفاوض، ولكنه يقوم بذلك وفقاً للشرعية التي حدّدها وسنّها عندما قال لعُتبة بن ربيعة: «فاسمع منّي يا أبا الوليد ثم قال: ﴿حم، تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾. واستمرّ الرسولﷺ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[(١)].

(يمكن أن يساهم هذا في بيان الفرق بين مفهوم الشرعية بين الغرب والإسلام)

لقد فشلت المفاوضات لأن منظومة مصالح كُفار قُريش وظّفت معاييرها (المال، والمنزلة، والملك، والنساء) كنقاط ارتكاز لخلق أرضية مشتركة مع الرسولﷺ مشترطة أن يقدم تنازله عن شرعيته في المقابل.

السلوك التفاوضي لكُفار قُريش استند إلى فرضيتهم بأنّ الرسولﷺ كانت تُحركه المصالح الذاتية وأنه كان يوظّف موضوع الرسالة السماويّة لتحقيق أغراضه، اعتقد كُفار قُريش أن فرضيتهم هي الحقيقة، وهنا كان الخطأ الاستراتيجي لهم.

لقد أدرك عُتبة بن ربيعة أن فرضيتهُ ومعه زعماء كُفار قُريش كانت

---

(١) سورة فصلت، الآيات من ١ ـ ٥ والآية ١٢.

مستندة إلى باطل، فالرسولﷺ، كان مستنداً إلى شرعية إلهية تهدف إلى خلاص وهناء البشر، من خلال الابتعاد عن المنكر والاقتراب من المعروف.

لذلك عندما عاد عُتبة بن ربيعة إلى مجلس كُفار قُريش، وكان قد استمع جيداً إلى قراءة الرسولﷺ لسورة فصلت، قال لهم: «إني سمعتُ قولاً ما سمعتُ بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قُريش أطيعوني وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه»، فردّوا عليه: «سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه»[(١)].

المفاوضات كانت مُستحيلة النجاح، فالحل السلمي الذي سعى له كُفار قريش، كان يستند إلى مُقايضة المال والمنزلة والملك وغيرها، بالشرعية التي بُعث الرسولﷺ بها. هذه المفاوضات، وما جاء بعدها من عروض للرسول مُحمدﷺ، حيثُ حاول كُفار قريش بعد ذلك أن يقوموا بتوظيف اقتسام الشرعية مع سيدنا محمدﷺ، حيث قالوا: نتفق على عبادة آلهتنا وأن تعبد إلهك. فردّ عليهم الرسولﷺ:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ❖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ❖ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❖ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ❖ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❖ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[(٢)].

إنّ العناصر السبعة تحققت في سلوك كُفار قُريش التفاوضي، حيث تضمّن عناصر:

١ـ المصلحة.

---

(١) السرجاني، د. راغب. مصدر سبق ذكره.

(٢) سورة الكافرون، الآيات: ١ ـ ٦.

٢ـ الخيارات.

٣ـ الاتصال.

٤ـ الشرعية.

٥ـ العلاقة.

٦ـ الالتزام.

٧ـ البدائل.

١ـ فالمصلحة بالنسبة لكُفار قُريش تعني تنازل الرسول مُحمدﷺ عن دعوته، وافترضوا أن مصلحته ترتبط بالمال والمنزلة والمُلك.

٢ـ الخيارات لكُفار قُريش بتحميل الرسولﷺ مسؤولية الخلافات والانقسام الحاصل في مكة، وأنه في حال رفض المال والمنزلة والمُلك، فسيتم اتهامه بالجنون (عرض الطبيب).

٣ـ طريقة وآليات اتصال كُفار قُريش، اعتمدت ما هو معمول به من سلوك، فكان الاتصال عبر شخص يتم الإجماع عليه، ويكون عادة ذا شأن ومكانة وطلاقة لسان وخلق وذكاء (عُتبة بن ربيعة).

٤ـ الشرعية بالنسبة لكُفار قُريش، هي استمرار الحال على ما هو عليه (عبادة الأصنام)، وبعد ذلك عرض اقتسام الشرعية، عبادة الأصنام وعبادة إله مُحمدﷺ.

٥ـ العلاقة بين مجتمع مكة كانت مُتداخلة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً. فدخول سيدنا عُمر بن الخطاب وسيدنا حمزة بن عبد المطّلب رضي الله عنهما الإسلام، ومكانة آل عبد المُطّلب، حتّمت

على كُفار قُريش الاتصال والتصرف بلغة بناء الأرضية المُشتركة. وعندما فشل كل ذلك، بدأ الحديث عن قتل الرسولﷺ، فكان الرد من آل عبد المُطّلب الاجتماع ـ الانتصار لابنهم مُحمدﷺ وتوفير الحماية له.

٦ـ أمّا الالتزام بالنسبة لكُفار قُريش، فلقد تمّ عرضها بدقة مُتناهية. فالأرضية المُشتركة تعني بالنسبة لهم: تنازل الرسولﷺ عن دعوته، أو قبول عبادة الأصنام مع ما جاء به، في المُقابل يكون الرسول مُحمدﷺ (الأكثر مالاً، ومنزلة، ومُلكاً).

في حال الرفض فالرسولﷺ يتحمل مسؤولية التبعات والنتائج الوخيمة، ويُعتبر مجنوناً (عرض العلاج من خلال الطبيب للتشكيك برسالة الرسولﷺ).

٧ـ البدائل بالنسبة لكُفار قُريش، كانت واضحة، ففي حال فشل المُفاوضات وما حملته من عروض، سيتم اللجوء إلى السيف والقتل. فهم يُدركون أنّ الرسولﷺ، لا يسعى لتقريب وجهات النظر، أو القبول بأرضية مُشتركة، وإنما بتثبيت وترسيخ رسالته.

ومن الطبيعي أنّ سيدنا علياً رضي الله عنه، وباقي الصحابة، كان يعرف تمام المعرفة بحتمية فشل المُفاوضات بين كُفار قُريش وسيدنا مُحمدﷺ، الذي لا يُمكن أن يُساوم على شرعيته كرسول الله.

مع ذلك لم يدخل الرسولﷺ مع عُتبة:

١ـ في معارك جانبية.

٢ـ لم يُقاطعه، حيثُ استمع إلى كل ما قاله.

٣ـ لم يُحاول الإساءة إليه، وخاطبه بأبي الوليد.

٤ـ لم يُناقشه في عروض قُريش، وإنما رد بلغة القرآن الكريم الحاسمة (الشرعية). «وهذا أساس النظرية التفاوضية».

٥ـ فبيّن الرسولﷺ أنّ دين الإسلام لا يقوم على أساس المال والمنزلة والمُلك وإنما أساس الخلق، وأنّ الغاية فيه لا تبرّر الوسيلة. فالغاية عند الرسولﷺ تكمن في تبليغ رسالة التوحيد ووسيلته هي الوحي.

٦ـ عروض قُريش كانت ابتلاء للرسولﷺ على شكل إغراء وإغواء، وما لا شكّ فيه فإنّ سيدنا علياً رضي الله عنه قد أدرك ذلك.

بعد العرض الأول لقُريش، أرسلت وفداً[١] يعرض على الرسولﷺ: «نعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت بالأمر».

أدرك سيدنا علي رضي الله عنه أنّ ردّ الرسولﷺ جاء من القرآن الكريم أيضاً حيث قرأ سورة الكافرون.

بعد ذلك كانت المرحلة الثالثة من مُفاوضات كُفار قُريش، إذ أرسلوا وفداً ثالثاً مكوّناً هذه المرّة من عبد الله بن أمية والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص والعاص بن عامر، حيث كان العرض هذه المرة بأن يتنازل الرسولﷺ عن بعض ما جاء في القرآن، حيث طلبوا أن يلغي من كتاب الله ما يغيظهم من سبّ آلهتهم والتعرض لها.

---

(١) وفد قُريش شُكل من الأسود بن عبد المطّلب، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل.

وأجابهم الرسول العظيمﷺ من القرآن: ﴿وَإِذا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1].

بعد ذلك لجأ كُفّار قُريش إلى سلوك التعجيز، حيث طلبوا من الرسولﷺ أن يُفجر الينابيع، وأن يصنع جنات من نخيل وعنب وأن يُسقط السماء، وأن يكون له بيت من زخرف وذهب، وأن يرقى إلى السماء، وأن يُسيّر الجبال وأن يشقّ الأرض ويخرج آباءهم، وأن يأتي بالله والملائكة، وأن يأتي لكل واحد منهم كتاباً من السماء[2].

لقد شاهد سيدنا علي رضي الله عنه، ما تعرّض له الرسولﷺ ومن قبل دعوته ودخل الإسلام من أذى شمل الاتهامات الباطلة، والمُلاحقة، والتعذيب والحصار والمُقاطعة والاستهزاء والسخرية. إضافة إلى المُفاوضات والمساومات، حيث استند الرسولﷺ في نهاية المطاف إلى قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّه واللّه خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[3].

---

(١) سورة يونس، الآية ١٥.

ولمزيد من المعلومات انظر: مُفاوضات قُريش مع النبيﷺ (٢٠٠٨)، Muntaddah shbab.net

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٣٠.

٢ـ صلح الحديبية:

هذه المرة، أوكل الرسول مُحمدﷺ إلى سيدنا علي رضي الله عنه كتابة الاتفاق، إذ نادى عليه وقال له «اكتب يا علي»[١]:

«بسم الله الرحمن الرحيم: فقال مُفاوض قُريش سُهيل بن عمرو: والله ما ندري ما الرحمن: اكتب ما كُنت تكتبه من قبل: اكتب باسمك اللهمّ: فرفض سيدنا علي رضي الله عنه أن يمسحها، فمحاها رسول الله. ثم قال لسيدنا علي رضي الله عنه اكتب: هذا ما صالح عليه مُحمد رسول الله سُهيل بن عمرو، الذي ردّ قائلاً:

لو شهدتُ أنك رسول الله لما أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال الرسولﷺ لسيدنا علي رضي الله عنه أن يمسحها، فرفض سيدنا علي رضي الله عنه، فمحاها رسول اللهﷺ وقال:

اكتب هذا ما صالح عليه مُحمد بن عبد الله سُهيل بن عمرو، واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن الناس ويكفُّ بعضهم عن بعض، على أنّه من أتى مُحمداً من قُريش بغير إذن وليّه ردّه، ومن أتى قُريش من أصحاب مُحمد لم ترده. وأنّ بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا أسلال ولا أغلال[٢]، وأنه من أحبّ أن يدخل في عقد مُحمد وعهده

---

(١) الطبري، أبو جعفر بن جرير، (١٩٩٥)، تاريخ الطبري، الأمم والممالك. «المجلد الثاني». دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٦٣٤ـ ٦٣٥.

(٢) العيبة: ما يجعل الثياب مكفوفة أي مشدودة ممنوعة. أي أمراً مطوياً في الصدور السليمة. وبذلك إشارة للحفاظ على العهد.
الأسلال: السرقة من السلة.
الأغلال: الخيانة.

دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، يرجع محمد عامه هذا بأصحابه، ويدخل مكّة العام القابل بأصحابه فيقيم بها ثلاثة، ولا يحملون معهم إلا سلاح المُسافر، السيوف في القرب».

قبيلة خزاعة أعلنت فوراً أنها في عهد رسول اللهﷺ، وقبيلة بني بكر أعلنت أنها في عهد قُريش.

وتمّ تبادل النسخ (الاتفاق)، أي أنّ الرسول مُحمداًﷺ قد أخذ نُسخة من الاتفاق، وأخذ سُهيل بن عمرو نسخة أخرى.

لقد كتب سيدنا علي رضي الله عنه بنود الاتفاق، ولاحظنا أنّه رفض أن يمحو عبارة (بسم الله الرحمن الرحيم)، ورفض أن يمحو عبارة (رسول اللهﷺ)، وممّا لا شكّ فيه أنه درس بنود الاتفاق والتي تمثّلت:

١ـ وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ويكفّ بعضهم عن بعض.

٢ـ من أحبّ أن يدخل في عهد مُحمدﷺ، وعقده فعل، ومن أحب أن يدخل في عهد قُريش وعقدها فعل.

٣ـ من أتى مُحمداًﷺ بغير إذن وليّه ردّه، ومن أتى قُريشاً من أصحاب مُحمدﷺ لم ترده.

٤ـ يرجع مُحمدﷺ عامه هذا بأصحابه، ويدخل مكة العام القابل مع أصحابه، ويُقيم فيها ثلاثة، ولا يحملون معهم إلا سلاح المُسافر.

٥ـ قبل ذلك كما قُلنا رفض سيدنا علي رضي الله عنه طلب الرسولﷺ بمحو عبارة « بسم الله الرحمن الرحيم»، وعبارة «رسول اللهﷺ».

والحقيقة أنّ الرسول مُحمداًﷺ، ومن خلال اتفاق الحُديبية، الذي اصطلح على تسميته (صُلح الحُديبية)، ركّز على المضمون وليس على الشكل، فليس هُناك فرق أن تقول بسم الله الرحمن الرحيم أو باسمك اللهم، فهو بالنسبة للرسولﷺ ولأصحابه من المسلمين الله عزّ وجل.

أمّا القول بشطب (رسول الله)، فهو يُعلمنا جميعاً أن مُحمد بن عبد الله رسول اللهﷺ حقيقة واقعة سواء اعترف بها الغير أم أنكرها، وليس إنكارها يغيّر من هذه الحقيقة. أمّا بالنسبة للكفار فهو مُحمد بن عبدالله، السؤال ألم يكن مُجرد موافقة قُريش على التفاوض والتوصل إلى اتفاق مع الرسولﷺ، بمثابة إقرار بالندّيّة، وبشرعية الرسولﷺ ورسالته، والإقرار بتعاظم مكانة الإسلام؟ بحيثُ لم تعد قُريش تستطيع أن تمنع الناس من اعتناق دين الإسلام (من أحبّ أن يدخل في عقد مُحمد وعهده فعل)، بذلك لم يعد الرسولﷺ (خارجاً عن أهله أو مجنوناً)، كما كانت تُروّج قُريش بل هو صاحب رسالة، من أحبّ أن يدخل في عهده وعقده فعل، وهذا كان بمثابة بداية الانهيار الحقيقي لقُريش ونظامها.

لا بدّ أنّ سيدنا علياً رضي الله عنه قد أدرك أنّ المُفاوضات لا بدّ أن تستند إلى الشرعية، وبهذا المجال فإنّ إقرار قريش بحق الناس بالدخول إلى الدين الجديد يُعتبر فتحاً مهّد لفتح مكة.

لقد شرّع صُلحُ الحُديبية دعوة الرسولﷺ من قبل قُريش، وبذلك خلق مجالاً جديداً ورحيباً لنشر الدعوة.

لقد حصل الرسولﷺ على صلح بمدى زمني عشر سنين. فإذا ما أخلّت قُريش بالاتفاق، فسوف يُحاربها، وإذا لم تُخل كانت الأجواء السلمية مُناسبة لنشر الدعوة.

وهذا ما حدث عندما أخلّت قُريش الاتفاق، عبر اعتداء بني بكر على بني خزاعة، والذي اعتبره الرسولﷺ نقضاً لاتفاق الحُديبية.

وحول التزام الرسولﷺ (يرد من يأتيه من دون إذن وليّه، ومن أتى قريشاً من أصحاب مُحمد لم ترده)، فهذه رسالة التزام المُسلمين بالعهود والمواثيق، وأنّ عدم قُدرة من يُريد دخول الإسلام على دخول المدينة لا يعني عودتهم إلى قُريش، بل على بقائهم خارج المدينة وخارج مكة، وهذا بالفعل شكّل كابوساً لقُريش، حيث قام عدد من هؤلاء بمُهاجمة قوافل قُريش وتجارتها، وعلى صعيد من يرتدّ عن دين الله ويعود إلى قُريش فهذا أمر مُستحيل لا يُمكن حدوثه لمن دخل الدين الإسلامي عن إيمان واحتساب.

أمّا العودة في العام القابل، فمدّة عام في مُقابل حقن الدماء كان ثمناً يُمكن دفعه.

عرف سيدنا علي رضي الله حجم المُعارضة بين أصحاب رسول اللهﷺ لاتفاق الحُديبية، وكان منهم، حيث رفض أن يمحو عبارة «بسم الله الرحمن الرحيم، أو عبارة رسول اللهﷺ». وسمع ما قاله سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (فعلام نُعطي الدنية في ديننا).

لقد شاهد سيدنا علي رضي الله عنه أصحاب رسول اللهﷺ وهم يرفضون أمره بالنحر والحلق بعد التوصل إلى اتفاق الحُديبية. وكيف أنّ زوجته (أم سلمة) أمّ المؤمنين هند بنت أبي أمية قد قالت له: «ما شأنك يا رسول الله؟ فذكر لها ما لقي من الناس، وقال لها: هلك المسلمون، أمرتهم أن ينحروا ثم يحلقوا فلم يفعلوا. فقالت: يا رسول الله لا تلمهم قد دخلهم أمرٌ عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقّة في

أمر الصُّلح، ورجوعهم بغير فتح مكة. ثم أشارت إليه أن يخرج، ولا يكلم الناس، وينحر ويحلق رأسه، ففعل ذلك. ولمّا رآه الناس نحر وحلق، قاموا ونحروا وحلقوا»[١].

لقد عرف سيدنا علي رضي الله عنه وهو الذي كان بين المُعارضين مع سيدنا عمر رضي الله عنه، إلّا أنهما كانا من الذين وقّعوا كشهود على الاتفاق. وتعلّم سيدنا علي رضي الله عنه أنّ المعارضة لا تعني التمرّد وإنما تعني الحق في إبداء الرأي حتى ولو كان مُخالفاً، لرأي الرسولﷺ ما لم يتعلق الأمر بالتشريع، وكيف أنّ أمّ المؤمنين أم سلمة كانت صاحبة المشورة لاسترضاء الناس. ولكن حين أدرك الصحابة ومنهم علي أنّ المسألة أمر شرعي لم يسعهم إلّا طاعة الأمر الشرعي.

نعم تبيّن لسيدنا علي رضي الله عنه قيمة المرأة صاحبة المشورة للرسولﷺ، مكانة المرأة في الإسلام، وتبيّن له أنّ المُعارضة لا تعني التمرد. وتعرّف على أنّ أيّ مفاوضات يجب أن تُركّز على مسائل المضمون وليس قضايا الشكل.

لقد عرف سيدنا علي رضي الله عنه أنّ الاستراتيجية تعني العمل أو الفعل الذي سنعيش مع نتائجه في كل يوم من أيام حياتنا القادمة.

وبالفعل فإنّه ونتيجة لصُلح الحُديبية تم:

١ـ اعتراف قُريش بكيان الدولة الإسلامية، فالاتفاقات تكون بين أنداد، وهذا ترك أثره في كل قبائل العرب.

---

(١) للمزيد انظر: الصيخان، رياض محسن، (٢٠١١)، المرأة والولاية العامة، بين الفقه الإسلامي والقوانين العربية، مدارك، بيروت، ص ٢٨٢ـ ٢٨٣.

٢ـ إعطاء الهُدنة فُرصة لنشر الإسلام.

٣ـ أمن المُسلمون جانب قُريش، فتفرغوا للاستعداد لمزيد من الجهاد (غزوة خيبر بعد صُلح الحُديبية).

٤ـ إدراك خلفاء قُريش من القبائل لحقيقة رسالة الإسلام، وكذلك الكثير من الذين دخلوا الإسلام بعد صُلح الحُديبية (خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص).

٥ـ بدأ الرسولﷺ بالتجهيز لغزوة مؤتة، أي نشر رسالة الإسلام خارج حدود الجزيرة العربية. وكذلك إرسال رسائل من الرسولﷺ إلى ملوك الروم والفرس والأقباط يدعوهم إلى الإسلام.

٦ـ صُلح الحُديبية كان المُقدمة لفتح مكة.

٧ـ فوق كل ذلك فلقد أرسى (صُلح الحُديبية)، بداية اعتراف قُريش بأنّ الرسول مُحمداًﷺ وأصحابه باتوا قوّة مُكافئة، لهم شرعيتهم والحق في نشر دعوتهم.

٨ـ ثبت أنّ الاتفاقات توقع إما لتُبدّل أو لتُعدّل أو لتُلغى، وذلك حسب مصلحة وقوة كل طرف. فبعد سنتين من (صُلح الحُديبية)، حصل غدر من بني بكر حيثُ أغاروا على بني خزاعة، حيثُ كانت النتيجة أن تجهّز الرسولﷺ وتحرّك وأصحابه إلى مكة، حيث تمّ «الفتح» ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

لقد كانت العناصر السبعة: المصلحة والشرعية والاتصال، والخيارات، والالتزام والبدائل والعلاقات، حاضرة في صُلح الحُديبية كما أوضحنا أعلاه.

٣ـ رسائل الرسولﷺ

كانت مُفاوضات وصُلح الحُديبية درساً في التفاوض، وكذلك كان الحال في مُفاوضات قُريش مع الرسولﷺ من خلال عُتبة بن ربيعة. فكانت الدروس والعبر لسيدنا علي رضي الله عنه وكافة أصحاب رسول اللهﷺ.

وعند الخوض في عناصر المُفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه، وجدنا من الضرورة استخدام مثال رسائل الرسولﷺ كمثال أيضاً في بناء عناصر المُفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه.

أ ـ رسالة الرسولﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من مُحمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، سلامٌ عليك، أحمد الله الذي لا إله إلا هو الملكُ القُدّوسُ، السلامُ، المؤمنُ، المُهيمنُ، وأشهد أن عيسى ابن مريم من روح الله وكلمته، ألقاها على مريم البتول، الطيبة، الحصينة، فحملت بعيسى، حملتهُ من روحه ونفخه كما خلق الله آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله أدعوك وجنودك إلى الله عزّ وجل، وقد بلغتُ ونصحتُ فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتّبع الهدى»[(١)].

كان لِزاماً على الرسول مُحمدﷺ وباعتباره صاحب الدعوة الإسلامية العالمية، حيثُ الرسالة لكل الناس، أن يُحيط علماً بما يجري

---

(١) حول الرسائل: انظر: أنبياء الله: تعريف وتاريخ، (٢٠١٢)، www.moqatel.com.

حوله من الدول المُجاورة، ومعرفة أحوالها وأخبارها واقتصادها وتجارتها وحربها وسلامها، فلا بدّ من دعوتها إلى الإسلام.

وسائل الاتصالات الخارجية آنذاك، كانت صعبة وعسيرة، فلم يكن هُناك سوى إرسال المبعوثين والموفدين والمندوبين وهم يحملون رسائل شفوية أو خطية فكانت أول رسائل سيدنا مُحمدﷺ إلى ملك الحبشة، إذ بعث له برسالة خطية حملها عمرو بن أمية الضمري[١].

ب ـ رسالة الرسول مُحمدﷺ إلى المقوقس حاكم مصر:

بسم الله الرحمن الرحيم

من مُحمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط:

سلامٌ على من اتّبع الهدى. أمّا بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم كل القبط ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ الله وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ الله فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٢].

ت ـ رسالة الرسولﷺ إلى كسرى ملك الفرس:

بسم الله الرحمن الرحيم

من مُحمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس، سلامٌ على من اتّبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له

---

(١) انظر: دعوة الملوك إلى الإسلام (٢٠١٢)، Forum. roro44.com.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

وأنّ مُحمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأُنذر من كان حياً ويحقُّ القول على الكافرين، اسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثمُ المجوس»[(١)].

ث ـ رسالة الرسولﷺ إلى هرقل ملك الروم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من مُحمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلامٌ على من اتّبع الهُدى. أمّا بعد فإنني أدعوك بدعاية الإسلام، اسلم تسلم، واسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن تولّيت فعليك إثم الأريسيين»[(٢)].

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّه وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّه فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[(٣)].

ج ـ رسالة الرسولﷺ إلى أمير البحرين:

بسم الله الرحمن الرحيم

من مُحمد رسول الله إلى المُنذر بن ساوى، سلامٌ عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهدُ أنّ مُحمداً عبده ورسوله، أمّا بعد فإني أُذكرك الله عزّ وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من

---

(١) أنبياء الله: تعريف وتاريخ. وقد حمل رسالة المقوقس حاطب بن أبي بلتعة. وحمل رسالة كسرى عبدالله بن حذافة. فيما حمل دحية بن خليفة الكلبي رسالة الرسول ﷺ إلى هرقل. مصدر سبق ذكره.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

يُطع رُسُلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وأنّ رُسُلي قد تلوا عليك خبراً، وأني قد شفعتُك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم، وأنك مهما تُصلح فلم نعزلك من عملك، ومن أقام يهودية أو مجوسية فعليه الجزية»[١].

لم تقتصر مراسلات الرسولﷺ على الدول المُجاورة، فكانت له مُراسلات مع النصارى (أسقف نجران). وكانت للرسولﷺ اتصالات مع اليهود، وجدنا أن لا نخوض فيها، إذ إننا نستخدم بعض الأمثلة حول اتصالات ومفاوضات ورسائل الرسول العظيم مُحمدﷺ.

المُهم من كل ذلك أنّ سيدنا علياً رضي الله عنه كان يتعلم من كل حركة ومن كل كلمة ومن كل عمل يقوم به الرسول العظيمﷺ، حيث عرف قيمة الكلمة، وكيفية التواصل، وأسلوب المُخاطبة. لقد فهم معنى المُناغمة والحكمة في الرسالة التي أُرسلت إلى الملك النجاشي وحدّد عناصر القوة في الرسائل التي بعثها الرسولﷺ إلى ملك الروم هرقل، وملك الفرس كسرى، وملك القبط المقوقس.

حيثُ وردت في هذه الرسائل عبارات: «السلام على من اتّبع الهدى، أدعوك بدعاية الله، فإني رسول إلى الناس كافة، اسلم تسلم، فإن أبيت عليك إثمُ قومك».

كانت الدعوة بالتي هي أحسن، فالدعوة لله عزّ وجل والرسول لكافة البشر، والسلامة في الإسلام، وعواقب العصيان والرفض ستكون وخيمة.

مرة أخرى تُميز الرسائل بين الشكل والمضمون، بين ما يُقال وكيف يُقال، ولكن الدعوة لله عزّ وجل هي نقطة الارتكاز، فلا مُفاوضات في

---

(١) صحيح البخاري. مصدر سبق ذكره.

مضمون ذلك، ولكن المفاوضات تتم حول السُّبل إلى ذلك، والنتائج والتبعات.

رسائل الرسولﷺ ارتكزت على كافة العناصر السبعة:

١ـ **المصلحة**: وتستخدم الرسائل عبارة (اسلم تسلم)، (ويؤتك الله أجرك مرتين). والمصلحة هي ليست ذاتية إنما هي للبشرية ولمن أسلم.

٢ـ **البدائل**: تؤكد الرسائل، بأن البديل عن الإسلام، يتمثل بعواقب وخيمة ستتحملها كل الشعوب نتيجة لقرار الحاكم: (فإن أبيت فعليك إثمُ المجوس، والأريسيين، أو القبط وغيرهم). وهناك بديل الجزية أيضاً باستثناء مشركي العرب الذين لم يجعل لهم عن الإسلام بدائل.

٣ـ **الخيارات**: يدعو الرسول مُحمدﷺ بدعاية الله (أدعوك بدعاية الله). وهناك خيار الهداية والأجر، وفي حال الرفض هناك الإثم والعواقب الوخيمة والحرب فيما بعد.

٤ـ **الشرعية**: كافة رسائل الرسول مُحمدﷺ استندت إلى ركيزة الدعوة لله عزّ وجل، فلا مُفاوضات ولا مُساومات حول هذا المبدأ، أما السُّبل والطُّرق والنتائج والتبعات فيمكن أن تجري مُفاوضات عليها وبشأنها.

٥ـ **الاتصال**: حدّدت رسائل الرسولﷺ قيمة الكلمة وكيفية الاتصال. وما تقول وكيف تقول. الدعوة بالحُسنى والموعظة الحسنى، والمُناغمة والحكمة، ففي الرسائل عبارات (السلام على من اتّبع الهُدى، أدعوك بدعاية الله، اسلم تسلم، من ينصح فإنه ينصح

لنفسه، مُحمدﷺ (عبد الله مثل كل البشر)، فهو يقول من (مُحمد عبد الله ورسوله).

٦ـ **العلاقات**: وتُحددها الرسائل بما جاء بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[(١)].

٧ـ **الالتزام**: كل رسائل الرسولﷺ ارتكزت إلى قاعدة الالتزام بالحقوق والواجبات يوفرها قبول دعوة الرسولﷺ للملوك والشعوب للدخول في دين الإسلام.

٤ـ مثال: التعامل عند «فتح مكة»:

مثل «فتح مكة» انهيار نظام كُفار قُريش وعبادة الأوثان، وترسيخ دين الله والحق، دين الإسلام. عبر التاريخ ولدت الأنظمة وحملت في طياتها عوامل انهيارها، فانهارت إمبراطوريات وممالك وإمارات ودول ومدن. كانت الحروب والدماء هي طابع انهيار الأنظمة وتكريس الأنظمة الجديدة.

الاستثناء عبر التاريخ كان انهيار نظام قُريش و«فتح مكة». فلم تُستخدم السيوف ولم تُحرق البيوت ولم تُسب النساء ولم تُرق الدماء، ولم يؤخذ أسرى.

أراد الله عزّ وجل أن يكون «فتح مكة» ترسيخاً للرحمة والأخلاق وسمو العفو، ونُصرة المظلوم والانتصار للبر والإحسان والوفاء.

تلك هي المبادئ والأسس والركائز التي تربى عليها سيدنا علي رضي الله عنه وكافة صحابة رسول اللهﷺ.

ثم يُسجل يوم «فتح مكة» هدم أو إحراق بيت أو متجر، أو إفساد

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

زرع، أو سرقة أو هتك عرض أو القتل ظُلماً، أو إلحاق الأذى بالناس وكرامتهم.

ثالثاً: العناصر السبعة في «فتح مكة»

أ ـ **الالتزام:** كان الأساس هو نُصرة المظلوم، فلما غدرت قبيلة بني بكر بني خزاعة، كان لا بدّ للرسولﷺ أن يُنفذ التزاماته التي ترتبت عليه في صلح الحديبية.

إنها الالتزام في أبهى صورة والالتزام نقطة ارتكاز أساسية في دين الإسلام.

ب ـ **العلاقات:** لقد حاول أبو سفيان بن حرب تجديد الصُّلح مع الرسولﷺ بعد اعتداء بني بكر على بني خزاعة، ولكنه عاد من مكة، وأخذ ينادي بكلمات أعطاها له الرسولﷺ:

«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دِخل المسجد فهو آمن».

وكان أبو سفيان يُضيف من عنده: «يا معشر قُريش، هذا مُحمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به».

أي أنّه كان يُدرك أن لا قُدرة لقُريش على الحرب، والدليل على إدراك ذلك، أنّ كل من قتل في ذلك اليوم كانوا ١٢ فرداً»[(١)].

أراد الرسولﷺ حقن الدماء، وهو في موقع القوة، لأنّ القوة تعني المسؤولية، كان يعرف أنّ أبا سفيان رجل يُحبُّ الاعتزاز بنفسه والفخر

---

(١) للمزيد حول «فتح مكة» انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، (٢٠٠٧)، الجامع المسند. الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه. دار السلام للنشر والتوزيع. القاهرة.

بها، لذلك سمح له بالقول: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»، أراد الرسولﷺ أن يجعل من فتح مكة جسراً للعلاقات مع أهل مكة، كل قبائل العرب وكل الدول والمجتمعات.

ت ـ **الشرعية**: ردّ الرسولﷺ وهو يطوف بالكعبة وبعد أن طهّرها من الأصنام ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[١].

لقد خاطب الرسولﷺ أهل قُريش فقال:

«يا معشر قُريش، ما ترون أني فاعلٌ بكم»؟ قالوا: خيراً أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، فقال: «أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفرُ الله لكم وهو أرحم الراحمين، اذهبوا، فأنتم الطُّلقاء»[٢].

إنها شرعية الله سُبحانه وتعالى (يغفرُ الله لكم، وهو أرحم الراحمين) وبالتالي فإنّ قرار الرسولﷺ استناداً إلى هذه الشرعية تمثل بقوله: «اذهبوا فأنتم الطُّلقاء».

إنّ الله غفور رحيم، والقرار من سيدنا مُحمدﷺ يتمثل بتنفيذ أحكام الشرعية.

ث ـ **الاتصال**: سعد بن عبادة أحد قادة الأنصار وفي نشوة النصر رفع صوته قائلاً: «اليوم يوم الملحمة! اليوم تُستحل الكعبة. فردّ الرسولﷺ: «كذب سعد، ولكن هذا يوم يُعظّمُ الله فيه الكعبة ويوم تُكسى فيه الكعبة».

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٨١.

(٢) صحيح البخاري. مصدر سبق ذكره.

وأمر الرسولﷺ أن تؤخذ راية الأنصار من سعد بن عبادة وأن تُعطى لابنه قيس بن سعد[١].

لم يكن الرسولﷺ يُريد الاتصال عبر المُظاهرات والشعارات وتسجيل النقاط وتوجيه أصابع الاتهام والهجاء. فدين الإسلام هو دين مكارم الأخلاق، ودين التواصل بالحُسنى، ودين يكره اللعان الطعان.

لقد أصدر الرسولﷺ عفواً عاماً. وأمر بالاتصال والتواصل بالحُسنى والتواضع.

لم يتسامح مع الأصنام التي دُمّرت جميعها. ولكنه تسامح مع الناس حتى من أساء إليه وحاربه وأحزنه، فالرسولﷺ ليس مُجرّد فاتح أو قائد انتصر في حرب، إنه رسول الله، لذلك فإنه يُتوّج نصره بالعفو والرحمة وحُسن الاتصال.

لقد أمر الرسولﷺ عُثمان بن طلحة (وهو من حجبة البيت)، أن يأتيه بالمفتاح، فجاء به، ففتح البيت، ودخل الرسولﷺ، ثم خرج فدعا عُثمان بن طلحة ودفع إليه بالمفتاح، وقال له: «خُذوها خالدة مُخلّدة»[٢].

بهذه الطريقة تواصل الرسولﷺ، فكانت عناصر الالتزام والشرعية والعلاقات والمصلحة والخيارات والبدائل تُحتّم أن يكون تعامله وتواصله مع الناس يوم «فتح مكة» بهذا الاتصال المُستند إلى الحفاظ على مكانة الناس وكرامتها. إذ قرّر الرسولﷺ عندما دفع المُفتاح إلى عُثمان بن

---

(١) صحيح البخاري. مصدر سبق ذكره ص ٣٩، ٤٤.

(٢) فتح مكة، (٢٠١٢)، www.Islam-online.net.

طلحة وقرأ من كتاب الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ اللّٰه يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[١].

ج ـ **المصلحة:** لقد تصرّف الرسولﷺ في يوم «فتح مكة» وما بعده على أنّه نبيٌّ مُرسل وليس قائداً مُنتصراً. لقد أبدى الرحمة، والشفقة.

كانت المصلحة العُليا عند الرسول الكريمﷺ أن يُظهر للبشر كافة، طبيعة الدين الإسلامي. لذلك تمّ العفو العام، وصدرت الأوامر بعدم القتل أو هدم البيوت أو السلب أو النهب، أو إهانة الناس، وكذلك وجوب المُحافظة على كرامتهم ومكانتهم.

ح ـ **الخيارات:** كان باستطاعة الرسولﷺ وهو نبيُّ الله ورسوله، وفاتح مكة أن يختار وضع مفتاح الكعبة في بني هاشم، إلّا أنّه اختار أن يُبقيه مع عُثمان بن طلحة.

كان بإمكان الرسولﷺ وبعد أن رُفض طلبه في تجديد الصُّلح بعد خيانة بني بكر واعتدائهم على بني خزاعة، أن يُهمل أبا سفيان، أو أن يُعامله مُعاملة من غدر أو من هُزم، إلّا أنّه اختار أن يسمح له بالقول لأهل مكة: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[٢].

كان بمقدور الرسولﷺ أن يُقيم المحاكم ويُعاقب الكُفار والمُشركين على ما سبق من أعمالهم، إلّا أنّه اختار أن يُصدر عفواً عاماً.

كُفار قُريش، لم يكن لديهم أي خيار، وكما قال أبو سفيان لهم: «يا معشر قُريش، هذا مُحمد قد جاءكم ما لا قبل لكم به». وهذا يعني

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٧.

(٢) حديث صحيح، أخرجه مسلم في الجهاد (٤٨/ ١٧٨٠).

انعدام الخيارات لدى قُريش، في حين كان الرسولﷺ يملك كل الخيارات. فقد اختار العفو والرحمة والمصالحة والتسامح واحترام مكانة كافة الناس وكرامتهم.

خ ـ **البدائل:** لم يُفكّر الرسول مُحمدﷺ، عندما نقضت قُريش صُلح الحُديبية في بديل لتجديد الصُّلح كما عرض أبو سفيان.

لم يكن للرسولﷺ بدائل سوى تكريس دين الله ودين الحق، ودين الإسلام، إذ خطب في الناس وهم يدخلون في دين الله أفواجاً:

«لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كلُّ مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء. الناس من آدم وآدم من تراب، وتلا قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١].

لا بديل عن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله، فهذه نُقطة الارتكاز للشرعية في الدين الإسلامي، كل مأثرة أو دم أو مال فهو تحت قدمي هاتين، إلّا سدانة البيت وسقاية الحاج».

فلا بديل عن سدانة البيت العتيق ورعاية شؤون الحجاج.

انتهى عهد تمجيد الآباء، وجاء البديل المُتمثل بالتقوى، فلا فرق بين إنسان وآخر إلّا بالتقوى.

---

(١) فتح مكة، www.Islam-online.net، مصدر سبق ذكره.

لقد شاهد سيدنا الإمام علي رضي الله، وعاش مع كل ساعة من ساعات «فتح مكة»، كذلك الحال مع رسائل الرسولﷺ ومع صُلح الحُديبية ومع اتصالات ولقاءات ومفاوضات كُفار قُريش مع الرسول العظيمﷺ.

وقد يُطرح سؤال: لماذا تمّ اختيار عُتبة بن ربيعة، وصُلح الحُديبية، والرسائل، وفتح مكة؟، فهناك الكثير حول مُفاوضات واتصالات وتواصل الرسولﷺ ببساطة نقول حاولنا استخدام جزء يسير جداً من مدرسة الرسولﷺ، فاخترنا فصلاً في بداية الدعوة، وكيف سلكت قُريش مُفاوضات نزع الشرعية من دعوة الرسولﷺ.

صُلح الحُديبية، يُمثل مرحلة ما بعد الهجرة وبداية إقرار قُريش بشرعية دعوة الرسولﷺ.

تمّ اختيار رسائل رسول اللهﷺ، للدلالة على حرصه على العلاقات الدولية، واهتمامه بنشر دين الإسلام خارج حدود الجزيرة العربية.

أما «فتح مكة»، فمثل مرحلة انهيار نظام الكُفر في قُريش وترسيخ دين الحق، دين الإسلام.

وبطبيعة الحال، فإننا نحاول من خلال هذه الأمثلة، أن نرى مدى تأثير كل ذلك وغيره في تطوير عناصر المُفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه.

الفصل الثاني

عناصر المفاوضات عند سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه

عناصر المفاوضات عند علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه

أولاً: المسائل الخلافية في خلافة سيدنا علي رضي الله عنه:

بعد وفاة الرسول ﷺ، قام سيدنا علي رضي اللّه عنه بتغسيل وتجهيز جثمانه للدفن، فيما كان الأنصار يجتمعون في سقيفة بني ساعدة ويتشاورون لترشيح سعد بن عبادة ليكون خليفة للمُسلمين.

من هُنا كانت بداية الخلافات حول الخلافة، ومع كل مبايعة كانت تدب الخلافات، إلا أن سيدنا علياً رضي اللّه عنه بايع الخُلفاء الراشدين، أبا بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي اللّه عنهم.

بعد وفاة سيدنا أبي بكر رضي اللّه عنه تزوّج سيدنا علي رضي اللّه عنه أرملته أسماء بنت عميس، وكفل ابنها محمد بن أبي بكر، وأصبح في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه قاضياً على المدينة. وكان سيدنا عُمر رضي اللّه عنه يستشيره في القضايا والأمور السياسية والفقهية. فيروي الطبري أن استخدام التقويم الهجري تمّ بناءً على اقتراح قدّمه سيدنا علي وغيره من الصحابة لسيدنا عمر رضي اللّه عنهما[١].

---

(١) للمزيد من المعلومات انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (١٩٩٥)، تاريخ الطبري. =

وكذلك كان حال سيدنا علي رضي الله عنه في عهد خلافة سيدنا عُثمان بن عفان رضي الله عنه. إذ كان مُستشاراً أميناً ووساطة خير وفقيهاً وقاضياً.

لما قُتل سيدنا عُثمان رضي الله عنه. بويع سيدنا علي رضي الله عنه للخلافة بالمدينة المنورة. كانت حدود الدولة الإسلامية تمتد من مصر غرباً إلى المرتفعات الإيرانية شرقاً إضافة إلى شبه الجزيرة العربية.

كانت الأوضاع الداخلية للدولة الإسلامية صعبة للغاية. كان قتلة سيدنا عُثمان رضي الله عنه ومن ورائهم قوة لا يُستهان بها. وعندما طلب طلحة بن عبدالله والزبير بن العوام رضي الله عنهما من سيدنا علي رضي الله عنه القصاص من قتلة سيدنا عُثمان رضي الله عنه قال لهما:

«يا إخوتاه إني لستُ أجهلُ ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ أي يُسيطرون علينا»[١].

يتّضح من ذلك أن سيدنا علياً رضي الله عنه لم يكن أقل من غيره حريصاً على القصاص من قتلة سيدنا عُثمان رضي الله عنه لكن لم تكن هُناك قُدرة للقيام بذلك. لذلك اختار سيدنا علي رضي الله عنه التريُّث حتى تستتبّ الأمور، ويتمكن من بناء القوة للقصاص وتنفيذ الحكم الشرعي عليهم.

في الوقت نفسه نصح سيدنا علي رضي الله عنه بالتريُّث وعدم

= تاريخ الأمم والملوك. «المجلد الثاني». دار الكتب العلمية، بيروت. مجلد ٢. ص ٤٧٥ و٤٧٦.

(١) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، (٢٠١٢)، علي بن أبي طالب رضي الله عنه. Multimania. Fr

الاستعجال في تغيير الولاة، وتحديداً عدم عزل مُعاوية بن أبي سفيان، عن ولاية الشام، إذ إنه سوف يرفض قرار العزل وسوف يُسبب مشاكل لا حصر لها، إلا أنّ سيدنا علياً رضي الله عنه اتّخذ قراراً بعزل ولاة سيدنا عُثمان رضي الله عنه بما فيهم مُعاوية.

السؤال الذي يستحق الوقوف عنده:

لماذا اختار سيدنا علي رضي الله عنه التريُّث في إقامة القصاص على قتلة سيدنا عُثمان رضي الله، وعدم التريُّث في عزل الولاة؟

علماً بأن المنطق وراء التريّث في حالة إقامة القصاص على قتلة سيدنا عُثمان رضي الله عنه تمثل بعدم القُدرة. والمنطق ذاته كان يُحتّم على سيدنا علي رضي الله عنه التريُّث في عدم عزل الولاة، ولاسيما وأنه كان يعلم أن أوامره لن تنفذ، أي بسبب عدم توفر القوة اللازمة لذلك.

هذا الكتاب لا يبحث في الفتنة ولا في خلافة سيدنا علي رضي الله عنه، أو الخلاف مع مُعاوية بن أبي سفيان، أو التحكيم، ولكن للوصول إلى عناصر المُفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه، لا بدّ وأن نُذكر ببعض المسائل الهامة:

١ـ تنفيذ القصاص على قتلة سيدنا عُثمان رضي الله عنه، حيثُ اختار سيدنا علي رضي الله عنه التريُّث حتى يبني القوة اللازمة لتنفيذ ذلك.

٢ـ طلب معاوية بن أبي سفيان من سيدنا علي رضي الله عنه بإقامة القصاص على قتلة سيدنا عُثمان رضي الله عنه، وعدم مبايعته إلّا بعد إقامة القصاص. مع أن العقوبة لا تُطلب إلّا من ولي الأمر المُعترف له بإقامة الحدود.

٣ـ وكذلك المطالبة بإقامة القصاص دون تعريف أو تحديد القتلة.

٤ـ عزل الولاة، وتعيين ولاة جُدد علماً، أنّ سيدنا علياً رضي الله عنه قد نُصح بعدم القيام بذلك وتحديداً عدم عزل عنه، لأنه لن يُنفذ الأمر، ومع ذلك اختار سيدنا علي رضي الله عنه اتخاذ القرار.

٥ـ قبول التحكيم.

هذه المسائل كانت محور رسائل سيدنا علي رضي الله عنه وخطاباته وأحاديثه وحكمه، ومن خلالها سنُحاول تحديد عناصر المُفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه. إنني أعرف تمام المعرفة حجم وعُمق الخلافات القائمة إلى يومنا هذا حول هذه المسائل، وسأحاول قدر الإمكان أن لا أكون طرفاً فيها. فما نحنُ بصدد دراسته لا يهدف إلى تعميق الخلاف بين هذه الجماعة أو تلك. فهدف الكتاب هو تبيان حقيقة تحديد عناصر المُفاوضات والسيادة والدولة من قبل سيدنا علي رضي الله عنه قبل مئات السنين من قيام المُفكرين الغربيين بذلك.

من البداية أعرف أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد قال:

«لا يجوز لعن أحد من أصحاب النبيﷺ، ولا سبّه، ومن لعن أحداً منهم كمعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ونحوهما، ومن هو أفضل منهما، كأبي موسى الأشعري، وأبي هُريرة وغيرهما، أو من أفضل من هؤلاء كطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام وعُثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، أو أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، أو عائشة أم المؤمنين، وغير هؤلاء من أصحاب النبيﷺ، فإنّه مُستحق للعقوبة البليغة باتفاق أئمة الدين»[١].

---

(١) انظر: الشيخ عباد، عبد المحسن، (٢٠١١)، كلام ابن تيمية في حرب بين معاوية وعلي وحكمهما ـ معاوية بين المتعسفين والمنصفين. Islam web.

وأدرك تماماً أنّ شيخ الإسلام ابن تيمية قد أنهى الجدل في هذه القضايا بقوله:

«مُعاوية لم يدّع الخلافة، ولم يُبايع له فيها حين قاتل علياً، ولم يُقاتل علي أنه خليفة ولا يرى هو وأصحابه، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرّون له بذلك، وكان هو يُقرّ بذلك لمن يسأله، إذ لا يكون للمُسلمين إلا خليفة واحد، وأنهم خارجون عن طاعته، ومُمتنعون عن هذا الواجب، لأنّ عُثمان قُتل مظلوماً، وقتلته في عسكر علي»[١].

إنني أعرف تمام المعرفة أنّ الأمور قد حُسمت عند بعض العلماء باعتبار لعن معاوية بن أبي سفيان، طعناً في سُنّة رسول الله، بل وفي القرآن. إذ يقول د. راغب السرجاني:

«إنّ هذا الدين جاءنا عن طريق الصحابة رضي الله عنهم، فالقرآن نزل على الرسولﷺ، وأنبأ به الصحابة فكتبوه، وحفظوه، وبلّغوه لنا، والسنّة المطهّرة لم يكتبها الرسول صلّى الله عليه وسلم بخط يده، بل نقلها الصحابة رضي الله عنهم عنهﷺ، فالطعن في أحد هؤلاء الصحابة إنما هو طعن في السنّة، بل في القرآن الذي أتى من قبل هذ الصحابي مُبلغاً عن رسول اللهﷺ»[٢].

من الناحية الأخرى، هناك من طعن بمعاوية بن أبي سفيان، كُثر، ولم يكن هؤلاء من المُفكرين الشيعة حصراً. فكتاب خالد محمد خالد

---

(١) انظر: الشيخ عباد، عبد المحسن، (٢٠١١)، كلام ابن تيمية في حرب بين معاوية وعلي وحكمهما- معاوية بين المتعسفين والمنصفين. Islam web.

(٢) لمزيد من المعلومات انظر: السرجاني، د. راغب، (٢٠٠٦)، لماذا ندرس الفتنة الكبرى؟ Islam story.com

(خُلفاء الرسول)، وما جاء فيه من طعن لمعاوية ومن كان معه ضد سيدنا علي رضي الله عنه، يُمثّل انعكاساً للطعن[١].

وهناك آراء تحاول جعل الصراع قديماً متأصلاً بين علي وعائشة، لكنه لا يوجد ما يدلل على صحتها ونحن لسنا ملزمين بها، وهي تخالف شخصية علي المعروفة وشخصية عائشة وفقهها وعلمها ولا يؤيدها العقل السليم.

وأُعيدُ وأكرّر أنّ هذه المسائل ليست موضوع هذا الكتاب، وما دفعني للإشارة إلى هذه الخلافات الفكرية القائمة حالياً بين المُسلمين حول قضايا سيدنا علي رضي الله عنه وبين معاوية بن أبي سفيان، كان حديثاً جرى بيني وبين الأستاذ الوزير محمد الهباش وزير الأوقاف الفلسطيني.

حين ناقشت معالي الوزير محمود الهباش بموضوع هذا الكتاب نصحني إن ذكرتُ اسم معاوية أو أي من الصحابة الذين وقفوا في مواجهة سيدنا علي رضي الله عنه، أن أُضيف عبارة (رضي الله عنه) لأي من أسماء هؤلاء الصحابة بمن فيهم معاوية.

إنّ ما حدث عندما رفض معاوية بن أبي سفيان مُبايعة سيدنا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، هو من اجتهاده مع أننا لا نقف مع هذا الاجتهاد.

فالله عزّ وجل يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّه جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٢].

لقد أمر الله عزّ وجل بالاعتصام بحبله، والجميع هُنا تعني الجماعة،

---

(١) خالد، محمد خالد، (١٩٧٠)، خلفاء الرسول. دار المقطم للنشر والتوزيع. القاهرة.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

ونهى عن الفُرقة. والرسولﷺ قال في هذا المجال: «من رأى من أميره شيئاً فكرههُ فليصبر، فإنه ليس أحد يُفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتةً جاهلية»[١].

وقال الرسولﷺ: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية»[٢].

كان معاوية بن أبي سفيان يعتبر نفسه ولياً لدم سيدنا عُثمان رضي اللّه عنه، وأنه لا يجوز أن يُقصّر بهذا الأمر وكان يستخدم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾[٣].

يحقُّ لولي المقتول أن يعفو، ويحقّ له أن يطلب من الأمير (الحاكم) القصاص. إذ كان لا بدّ لمعاوية أن «يُبايع سيدنا علياً رضي اللّه عنه»، لا أن «يمتنع عن البيعة، ويُطالب بالقصاص ثم يقوم بالمُبايعة بعد ذلك».

مرة أخرى هذا ليس موضوع كتابنا، ولكن أوردنا ذلك، حتى نقول مرة أخرى، لن يكون هذا الكتاب حول الفتنة الكبرى لأنّ موضوع هذا الكتاب يتمثل بتبيان عناصر المفاوضات عند سيدنا علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه.

ثانياً: تحديد عناصر المفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه

لسنوات وتحديداً (تسع سنوات)، وأنا أبحث وأفكر عن أسس ركائز

---

(١) حديث متّفق عليه. رواه ابن عباس.

(٢) حديث متّفق عليه. رواه أبو هريرة.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٣٣.

السلوك التفاوضي عند العرب. وجدت أن سيدنا علياً رضي الله عنه كان ونتيجة لتجاربه العظيمة عندما دخل الإسلام غُلاماً، وكان في مدرسة الرسولﷺ، ومُستشاراً للخُلفاء أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ثم أميراً للمؤمنين في ظروف عصيبة، عصفت بالدولة الإسلامية ووحدتها، قد حدد مجموعة من العناصر التفاوضية (١٢) عنصراً، أي بزيادة خمسة عناصر، عن ما حددته مدارس المفاوضات الغربية.

سوف نقوم بتحديد هذه العناصر مع تثبيت شرعيتها، وبعد ذلك سوف نقوم بدراسة صناعة القرار وإدارة الأزمة والمفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه من خلال تطبيقات وفقاً لهذه العناصر، وسوف نبدأ أولاً بالعناصر السبعة في المدرسة الغربية، والتي كان سيدنا علي رضي الله عنه قد حدّدها بدقّة مُتناهية.

١ـ عنصر المصلحة:

عند سيدنا علي رضي الله عنه، فإنّ مصلحة الأفراد والجماعات والدولة، وعلاقة الإنسان بنفسه وعلاقته بغيره ومن ثم علاقة الإنسان بربه تستند إلى المصلحة المستندة إلى العدل بصفته حكماً شرعياً من أحكام الشريعة الإسلامية التي قررت بدورها ما هو مصلحة وما هو ليس بمصلحة للعباد. إذ يقول سيدنا علي رضي الله عنه في رسالته لمالك بن الحارث الأشتر عندما ولّاه مصر، بأنّ العدل حياة، وأن إقامته تُعتبر العمل الأساسي للحكومات.

(لن تُقدس أمة لا يؤخذ للضعيف حقّه من القوي)[١].

ونقل عنه رضي الله عنه قوله:

---

(١) الرضي، الشريف، نهج البلاغة، ص ١٨.

«لأنسبنّ إلى الإسلام بنسبة لم ينسبها أحد قبلي، الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل الصالح»[١].

وقال رضي الله عنه في الذين اعتزلوا القتال معه، وخانوا مصالحهم:

«خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل».

ويقول أيضاً في تحديد عُنصر المصلحة:

«قرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان، والفرصة تمر مرّ السحاب، فانتهز فرص الخير»[٢].

أي أنّ من تهيّب أمراً خاب من إدراكه، ومن أفرط به الخجل من طلب شيء حُرم منه والمصلحة هُنا تكمن في انتهاز فرص الخير وعدم التردد في الالتزام بالأحكام الشرعية.

وقال رضي الله عنه:

«من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دُنياه، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ»[٣].

وقوله أيضاً في تحديد مفهوم المصلحة:

«اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية، لا عقل رواية، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل»[٤].

---

(١) نهج البلاغة. مصدر سابق، ص ١٥٧.

(٢) نهج البلاغة. مصدر سبق ذكره. ص.ص ٤٨٩ـ ٥١١.

(٣) نهج البلاغة. ص ١٧٢.

(٤) المصدر نفسه.

ومن قوله رضي الله عنه وهو يُشير إلى المصالح: «استنزلوا الرزق بالصدقة».

وقوله أيضاً:

«الناس أعداء ما جهلوا»[١].

ومما قاله رضي الله عنه في المصلحة:

«من صارع الحق صرعه»، باعتبار الحق مطلباً شرعياً.

وقوله أيضاً:

«المنية ولا الدنية، والتقلل ولا التوسل، ومن لم يُعطَ قاعداً لم يُعطَ قائماً، والدهر يومان، يوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر وإذا كان عليك فاصبر»[٢].

أي أنّ الموت أفضل من التذلل والنفاق، والاكتفاء بالقليل أفضل من التوسل من الناس.

وقوله رضي الله عنه:

«ما أعال من اقتصد»[٣]. أي ما جار عن الحق من أخذ بالاقتصاد.

وقوله رضي الله عنه:

«من الخرق المُعالجة قبل الإمكان، والأناة بعد الفُرصة»[٤]. أي لا تستعجل قبل أن تتمكن ولا تُمهل إن تمكنت.

---

(١) نهج البلاغة. ص ١٧٩.

(٢) خطب الإمام علي. ج٤. ص ٣٩٥.

(٣) المصدر السابق. «الجزء الرابع». ص ص ٥٣٩ـ ٦٢٠.

(٤) موسوعة أحاديث أهل البيت. الشيخ هادي النجفي. ج٨. ص ٢٨٩.

وكذلك قوله:

«لا تسأل عما لم يكن ففي الذي كان لك شُغل»[(١)]. أي لا تتمنى من الأمور ما لا تستطيعه، ويكفيك من قريبها ما يُشغلك.

إنّ سيدنا الإمام علياً رضي الله عنه، يؤكد على وجوب التركيز على المصالح، وليس المواقف، وأن يكون الارتكاز بالنظر إلى المصلحة ببعد نظر، باعتبار أنّ المصلحة في اتّباع الحق الذي تقرره الشريعة.

فعلى الإنسان أن لا يستعجل في تنفيذ أمر ما قبل أن يتمكن منه، وأن لا ينتظر أو يتمهّل إذا ما كانت له الإمكانية على القيام بالشيء.

كذلك فإنّ بناء الأرضية المُشتركة لا تتم عبر الأمنيات، فعليك أن تُحاول الحصول على ما لا تستطيعه، فأشغل نفسك بالحصول على ما تستطيعه، وعلى هذا الأساس يكون بناء الأرضية المُشتركة.

إن فُرص التوصل إلى اتفاق جيد تكمن عند سيدنا علي رضي الله عنه في تحديد المصالح، وليس لك وحدك بل للطرف الآخر.

المهم يتمثل بالإدراك أنّ المصلحة تعني اليقين، وهنا يصنع الإمام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه نقطة ارتكاز للمصالح، حين يقول: إنّ الإسلام يعني التسليم، والتسليم يعني اليقين الذي يعني التصديق الذي يعني الإقرار وهو الأداء.

إنها منظومة المصالح تقوم على اليقين والتصديق والإقرار والأداء، وهي أسس ومرتكزات العمل الصالح للجميع، والالتزام بالأحكام الشرعية هي أسس وركائز الأرضية المُشتركة في تحديد عُنصر المصلحة عند سيدنا علي رضي الله عنه.

---

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت. الشيخ هادي النجفي. ج٨. ص ٢٨٩.

٢ـ عُنصر العلاقات:

قبل مئات السنين من كتابة روجر فيشر عن عُنصر المصلحة، لاحظنا كيف قام سيدنا علي رضي الله عنه بتحديد هذا العُنصر، أي مُعادلة اربح ـ اربح، علاقة المسلم بالمسلم والمثال علي رضي الله عنه ومعاوية وعلاقة أربخ واخسر، والمثال الرسول عليه السلام مع قريش أو علي مع المسلم، وليس اخسر ـ اخسر، أو اخسر ـ اربح.

وعند التطرق إلى علاقات الناس ببعضها البعض عند سيدنا علي رضي الله عنه سنجد أن تحديد هذا العُنصر من عناصر المفاوضات والتواصل بين الناس، قد جاء على أكمل وجه مُتناسقاً مع فهم دقيق بأنه مهما اختلفت الأزمان والأحوال، فإنّ مصالح الناس تبقى العقل الذي يُفكرون به ويتخذون قراراتهم على أساسه بناء على الأحكام الشرعية.

يقول سيدنا علي رضي الله عنه في تحديد عُنصر العلاقات:

«خالطوا الناس مُخالطة إن مُتم معها بكوا عليكم، وإن عشتم حنّوا إليكم»[١].

«مُخالطة الناس، تعني الفهم الدقيق لمصالحهم ومُعاملتهم بندّية وكرامة واحترام.

وكذلك إصراره رضي الله عنه على حفظ أسرار الناس، فهو يقول في هذا المجال:

«من كتم سرّه كانت الخيرة بيده»[٢].

---

(١) نهج البلاغة. ص ١٦٦.

(٢) هذا قول منسوب لكثير من الصحابة وما بعدهم أيضاً.

ويقول: «صدر العاقل صندوق سرّه»[١].

ويُضيف: «الرأي بتحصين الأسرار»[٢].

وكذلك قوله رضي الله عنه:

«من حذّرك كمن بشّرك»[٣].

وأيضاً: «الغيبة جُهد العاجز». أي لا تذكر الغائب بما يكره، فهذا سلاح العاجز للانتقام.

ويقول رضي الله عنه:

«إذا حُيّيت بتحية فحيّ بأحسن منها، وإذا أسدت إليك يد فكافئها بما يربي عليها والفضل مع ذلك للبادئ». أي كُن من يُبادر إلى فعل الخير وبناء العلاقات على أسس الاحترام والندية والفهم الدقيق لمصالح الآخرين.

ومن أقوال سيدنا علي رضي الله عنه في تحديد أسس عُنصر العلاقات في المفاوضات والتواصل بين البشر:

«يا بني احفظ عني أربعاً، وأربعاً لا يضرّك ما عملت معهن، إنّ أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحُمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الحسب حُسن الخُلق»[٤].

ويُضيف في المقال نفسه:

---

(١) نهج البلاغة. الحكم. الحكمة ٦.

(٢) نهج البلاغة. خطب الإمام علي. ج٤. ص ١٤.

(٣) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٠.

(٤) نهج البلاغة. انترنت، ص ١٦٨.

«يا بني إياك ومصادقة الأحمق فإنه يُريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومُصادقة البخيل فإنه يعتمد عليك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومُصادقة الفاجر فإنه يبيعُك بالتفاهة، وإياك ومُصادقة الكذاب، فإنه كالسراب».

عند سيدنا علي رضي الله عنه العقل وحُسن الخُلق والصدق والكرم هي الأسس التي تُستخدم لإرساء العلاقات الناجحة بين الناس ويُحذر سيدنا علي رضي الله عنه من حتى مُصادقة الأحمق، والكذاب، والفاجر، والبخيل.

وقوله أيضاً:

«الصبرُ من الإيمان كالرأس في الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه»[١].

العلاقات عند سيدنا علي رضي الله عنه تستند إلى الصبر على الناس وتفهّم أحوالهم وتصرفاتهم وإعطائهم الفرصة والحفاظ على أسرارهم، وحماية أملاكهم، والمُبادرة لفعل الخير مع الناس. وهذا مما تعلّمه علي رضي الله عنه من صحبته مع رسول اللهﷺ كما بيّناه سابقاً.

ومما قاله رضي الله عنه في أشد وأحلك ظروفه:

«يأتي على الناس زمان لا يُقرب فيه إلا الماحل، ولا يُظرف فيه إلا الفاجر، ولا يُضعف فيه إلا المُنصف، يعدون الصدقة فيه غرماً، وصلة الرحم منّاً، والعبادة استطالة على الناس، فعند ذلك يكون السُّلطان بمشورة الإماء وأمارة الصبيان، وتدبير الخصيان»[٢].

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧١.

(٢) المصدر السابق. وردت هذه الأقوال في «الجزء الرابع» من كتاب نهج البلاغة. لاحظ نهج نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٣.

في عُنصر العلاقات يُحدد سيدنا علي رضي الله عنه:

وجوب التركيز على المشاكل وليس على الأشخاص، ويؤكد على وجوب إقامة العلاقات الجيدة التي تقوم على الصدق والأمانة والاحترام وحفظ الأسرار والصبر والتعقل والبصيرة والندية والاحترام المُتبادل.

فهذه العلاقات سوف تقرر مدى الاستفادة للتوصل إلى الأرضية المُشتركة وحل المشاكل.

كيف تطرح مواقفك؟ مدى جدّيتك؟ مدى مصداقيتك؟ مدى حرصك على مصالح الطرف الآخر؟ وأن يعرف هذا الطرف أنّك لا تُحاول خداعه. فأنت تُحاول الوصول إلى علاقات عمل قائمة على الفهم الدقيق للمصالح المُشتركة.

وهنا يجب أن لا يتم الخلط بين المضمون وعلاقات العمل، فالطرف الذي تُفاوضه يُمثل مصالحه، تماماً كما تُمثل أنت مصالح الجهة التي تُمثلها وتُفاوض باسمها.

علاقات العمل بالنسبة لسيدنا علي رضي الله عنه تقوم على النديّة، الاحترام المُتبادل، حفظ الأسرار، الصبر، الخُلق الحميد، وهذا لا يعني التنازل عن مصالحك أو تنازل الطرف الآخر عن مصالحه، فلو لم تكن هناك مشاكل لما جرت المُفاوضات.

إن مُحاولتك خداع الآخرين وعدم مُراعاة مشاعرهم أو مُعتقداتهم أو رموزهم وتصرفك بعدوانية وغضب، يقول الإمام علي رضي الله عنه: لم يُمكنك من بناء علاقات عمل قادرة على إيجاد الأرضية المُشتركة والحلول، علاوة على ذلك أن ذلك مُخالف لأحكام الشرعية التي قررتها أفعال الرسولﷺ أثناء التفاوض والتي وعاها علي من صحبته له.

فيجب عليك إضافةً إلى مراعاة مشاعرهم وفهم مصالحهم، أن تستمع إلى ما يطرحونه دون استخفاف أو سُخرية، وهذا لا يعني أنك يجب أن توافق على ما يقولون وما يطرحونه، فقط استمع لهم باحترام، ولا تستفز مشاعرهم بأي شكل من الأشكال.

لا تُحاول، كما يقول الإمام علي رضي الله عنه، الربط بين استعدادك للاستماع وموافقتهم على ما تطرح، أنت هُنا تستمع بشكل جيد، وتتعامل باحترام حتى تتم مُعاملتك بالمثل.

يجب أن لا تضع الشروط لبناء علاقات عمل إيجابية، يقول سيدنا علي رضي الله عنه، فالأسس بالنسبة له:

(العقل وحسن الخُلق والصدق والصبر وحفظ الأسرار والمبادرة لعمل الخير). هذه هي أسس بناء العلاقات عند سيدنا علي رضي الله عنه.

وهي أكثر وأشمل وأسمى بكثير من أسس عُنصر العلاقات الذي حدده روجر فيشر كأحد عناصر المُفاوضات السبعة.

أما عندما تكون أسس العلاقات بين الناس، وبين الناس والحُكام قائمة على أسس تقريب الجاهل واستظراف الفاجر، وإضعاف المُنصف، وعندما تُعتبر الصدقة غرامة، وصلة الرحم منّة، والعبادة استطالة على الناس، فإنّ سيدنا علياً رضي الله عنه يقول:

«الحُكام وصنّاع القرار سيكونون تحت إمارة الصبيان، وتدبير الخصيان ومشورة الإماء».

وكل هذه تكون الأوبئة المُدمرة للعدالة وللمصالح وللعلاقات الإنسانية.

٣ــ عُنصر البدائل:

إنّ تطوير البدائل لاتفاق قد تندم عليه لاحقاً، لأنه تمّ نتيجة للضغط

عليك، أو استعجالك أو سوء تقديرك من شأنه أن يوفّر لك الحماية من النتائج الضارة ويُساعدك على التفاوض بشكل أفضل.

كان هذا الأساس لعُنصر البدائل عند روجر فيشر وعند مدارس المفاوضات الغربية.

كان سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قد بحث مطولاً في هذا العنصر، ولاسيما في تجربته من عزل الولاة والتحكيم، كما سوف نرى لاحقاً.

فعند الإمام علي رضي الله عنه يُشكل عُنصر البدائل نُقطة ارتكاز لا بدّ منها عند إجراء أي مُفاوضات، لاسيما وإن كانت المُتغيرات سريعة والظروف تزداد صعوبة.

يقول سيدنا علي رضي الله عنه:

«إضاعة الفُرصة غصة».

ويقول أيضاً:

«لا ينالُ العبدُ نعمة إلا بفراق أخرى»[1].

ويقول رضي الله عنه:

«صواب الرأي بالدول يُقبل بإقبالها، ويذهب بذهابها»[2].

والمعنى أنّ علوّ الدولة يعطي العقل مكانة لائقة، وانحدار الدول يوقع العقل في الحيرة والارتباك.

وقال رضي الله عنه:

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨٠.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٩١.

«لك أن تُشير عليَّ وأرى فإن عصيتك فأطعني».

وقال رضي اللّه عنه:

«آه من قلّة الزاد وطول الطرق وبعد السفر»[١]. أي تحضير الذات للآخرة، والاستعداد الجيد هو أحد أهم مقوّمات المُفاوض الجيد.

وقوله أيضاً:

«إذا أضرت النوافل بالفرائض فارفضوها»[٢].

وهذا قول صريح على وجوب رفض أي اتفاق من شأنه أن يُلحق الضرر بالمصالح والثوابت. وإذا ما عُرض اتفاق تكون أضراره على المصالح كبيرة فيجب رفضه والبحث عن بدائل.

إذا كان الاتفاق الذي يتم التفاوض عليه سيقود إلى وضع أسوأ، فيجب تجنّب الاتفاق والبحث عن بدائل، فسيدنا علي رضي اللّه عنه يقول:

«ليست الروية كالمُعاينة مع الإبصار، فقد تُكذّب العيون أهلها ولا يغش العقلُ من استنصحه»[٣].

الرؤية الصحيحة عند سيدنا علي رضي اللّه عنه، ليست رؤية البصر، والعلم ليس قاصراً على المحسوس والملموس، فإنّ البصر قد يغش، وإنما البصر بصر العقل فهو الذي لا يُكذّب ناصحه.

يجب التأني وعدم الاستعجال واتخاذ القرارات المُتسرعة، ويجب دراسة كل نقطة وكل بند من نقاط أو بنود أي اتفاق لمعرفة آثارها

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧١.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨٨.

(٣) المصدر نفسه.

وانعكاساتها. فقد تكون حسب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، الأمور العظيمة صغيرة وهي بعيدة، والأمور الصغيرة كبيرة لأنها قريبة. فلا بدّ من دراسة الانعكاسات المُستقبلية لكل أمر قد نوافق عليه. إذ لا بدّ من معرفة آثاره وتأثيراته علينا وعلى مصالحنا، فإن كان الاتفاق يخدم هذه المصالح تم، وإن كان لا يخدمها فإنّ علينا البحث عن البدائل.

ويقول سيدنا علي رضي الله عنه، في عُنصر البدائل، وفي وصفه العاقل:

«هو الذي يضع الشيء مواضعه (فقيل صف لنا الجاهل)، فقال: لقد فعلتُ»[١].

ويعني أنّ الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه فكان ترك صفته، صفةً له إذا كان على عكس وصف العاقل.

فلا بدّ من التفكير الجاد والعميق، حول كل القضايا موضع البحث والمفاوضات ويجب أن لا يخرج الشيء عن مواضعه، فالدقة في هذا المجال تعني إما الاتفاق أو البحث عن البدائل.

٤ـ عُنصر الاتصال:

على صعيد الاتصال كعنصر رئيس للمُفاوضات، فإنّ سيدنا علياً رضي الله عنه أدرك تماماً أهمية إقامة الاتصالات والحفاظ عليها بين الأطراف على مائدة المُفاوضات.

الاتصال وطريقته والأسلوب هي بمثابة شريان الدم في شرايين المُفاوضات، وعندما يتجلط الدم يُصاب الإنسان بذبحة صدرية، وسوء الاتصال يؤدي إلى تعطيل المُفاوضات.

---

(١) المصدر السابق. هذه الأقوال مُقتبسة من «الجزء الرابع» من نهج البلاغة.

فسيدنا علي رضي الله عنه وإدراكاً منه لذلك قال حول عُنصر الاتصال:

«البشاشة حبالة المودة»[١].

وقال: «أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان».

وقال أيضاً: «ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات اللسان، وصفحات وجهه»[٢].

وقال رضي الله عنه: «عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردد شرّه بالإنعام عليه»[٣].

وقال أيضاً: «يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فاحبب لغيرك ما تُحبُّ لنفسك، واكره له ما تكره لها»[٤].

وقال رضي الله عنه: «ما أكثر العبر وما أقل الاعتبار».

وقال أيضاً: «من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها ظلم ولا يستطيع من الله من خاصم»[٥]. أي احذر الميل عن العدل إلى الظلم واحذر استخدام الشدة من غير وجه حق.

وقال رضي الله عنه: «لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه»[٦]. فالعاقل لا يُطلق لسانه إلا بعد التشاور والتفكير، والأحمق

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٦٦.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٦٧.

(٣) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٨.

(٤) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٣٨.

(٥) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨٩.

(٦) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٦٨.

يتسرع بالكلام دون تفكير أو مُشاورة.

وقال أيضاً: «قيمة كل امرئٍ ما يُحسنه»[١].

وقال رضي الله عنه: «من ترك قول «لا أدري» أُصيبت مقاتله»[٢].

أي أنّ من قال فيما لا يعلم عرف بجهله، ومن عرف الناس جهله كرهوه، وفي هذا هلاك له.

ومن أقواله: «مثل الدُّنيا كمثل الحيّة، ليّن مسُّها، والسمُّ الناقع في جوفها، يهوى إليها الغرُّ الجاهلُ ويحذرها ذو اللب العاقل»[٣].

إنّ سيدنا علياً رضي الله عنه يُعرّفنا ويقدّم لنا مبادئ في الاتصال قبل مئات السنين مما طرحته المدارس الغربية. فلُغة الجسد (Body Language)، أصبحت مادة تُدرس في الجامعات مُنذُ عشرات السنين فقط، في حين أنّ سيدنا علياً رضي الله عنه كان قد اعتبرها إحدى أهم ركائز معرفة نوايا النوايا عند حدوث الاتصال معهم إذ قال:

«ما أضمر أحد شيئاً، إلا ظهر في فلتات اللسان، وصفحات وجهه».

اليوم عندما نذهب إلى المُفاوضات يتم تكليف شخص في الوفد للكتابة الحرفية لما يقوله الجانب الآخر. وشخص آخر لمُراقبة لُغة الجسد عند أعضاء الوفد عندهم. وذلك للتعرف على شخصياتهم وكما نفعل ذلك، فهم أيضاً يقومون بذات الشيء.

لقد درستُ ذلك أثناء تحضيري للدكتوراه في كلية دراسات السلام

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) هذه الأقوال مقتبسة من خالد، محمد خالد، (٢٠٠٥)، في رحاب علي المقطم للنشر والتوزيع. القاهرة. ومن الرضي، الشريف. نهج البلاغة مصدر سبق ذكره.

في جامعة براد فورد البريطانية. وتعلمتُ أيضاً التواصل من خلال الابتسامة، وذلك حتى أكسب ثقة الآخرين، وأعرب لهم عن احترامي لهم.

مدرسة سيدنا علي رضي الله عنه في عُنصر الاتصال والأسلوب وصلت إلى درجة من التطور قبل مئات السنين من المدارس الغربية، إذ يقول سيدنا علي رضي الله عنه كما أسلفنا:

«البشاشة حبالة المودة». أي الابتسامة تولد المحبة وتصل سريعاً إلى القلوب، وهي ركن أساسي من أركان عُنصر الاتصال، وهي أيضاً تتعلق بلُغة الجسد. ثم ينصح أن نقوم بمراقبة فلتات اللسان، لأنها في الكثير من الأحيان تكشف عن نوايا وخطط وتكتيكات ومناورات، بل في بعض الأحيان استراتيجيات الطرف الآخر.

وكما نُراقب فلتات لسانهم وصفحات وجوههم، فهم يقومون بذات الشيء. لذلك علينا أن لا نقع في أخطاء فلتات اللسان، إذ لا يُسمح في المُفاوضات بما يُسمى زلة لسان، فكل شيء محسوب عليك. وكذلك بالنسبة للغة الجسد، ويتم التدريب على عدم اللعب بالشعر مثلاً لأنها تُعتبر انعكاساً للتوتر وضعف الشخصية وعدم وضع اليد أو الأصابع أو إصبع أو أكثر على الوجه أو الفم أو العين أو الجبين، لأنّ لكل منها دلالة على الشخصية.

ها هو الإمام علي رضي الله عنه يُعلّمنا كل ذلك، وأكثر حين يقول:

«قيمة كل امرئٍ ما يُحسنه»، كما أسلفنا.

وهي دعوة إلى التخصص، والمهارة والاحتراف، فالمُفاوضات ليست بالوراثة وليست فهلوة وليست مرضاً معدياً، إنها علم مثل باقي العلوم، وقيمة الإنسان تتمثل بتخصّصه.

إذ نتعرف على قيمة الطبيب عند العلاج، وليس عندما يحاول أن يلعب كرة قدم أو كرة سلة أو يزرع بستاناً في منزله.

لا أحاول القول إنّ الطبيب لا يستطيع أن يكون مُحترفاً في كرة القدم أو كرة السلّة أو الزراعة، فهذا ممكن. ولكن ما أقوله لكل منّا اختصاصه. وعلى كل منّا أن يُعزّز مكانته بتحسين وتطوير عمله في مجال تخصّصه.

عند سيدنا علي رضي اللّه عنه، فإنّ العاقل هو من يُفكر قبل أن يقول، وليس الذي يُبدي الندم بعد أن يقول، ويُحذّرنا الإمام علي رضي اللّه عنه، في تحديده لعنصر الاتصال من الادّعاء بما لا نعلم، فحتى تُحافظ على مكانتك واحترامك وجديتك لا تُحاول تعريف شيء تجهله، فمن الأفضل لك أن تقول لا أدري، وسأحاول الإجابة عند مُراجعة من يختصون بهذا الأمر. بذلك سيعرف من يجلس أمامك، وحسب مبادئ الإمام علي رضي اللّه عنه أنّك صاحب علم ومعرفة ولن تسقط في شباك الجهالة.

وهذا ما يعنيه قوله: «من ترك قوله «لا أدري» أصيبت مقاتله».

هذه الأقوال مجرّد أمثلة بسيطة، مما قاله سيدنا علي رضي اللّه عنه حول عُنصر الاتصال في المُفاوضات، أوردناها للدلالة على دقّة أمير المؤمنين علي رضي اللّه عنه في تحديده لعُنصر الاتصال، كأحد عناصر المُفاوضات الرئيسية عنده والتي يبلغ عددها كما قُلنا اثنا عشر عُنصراً، وليس سبعة كما هو الحال في مدرسة جامعة هارفرد للمُفاوضات.

فعندما تقوم بالاتصال من وجهة نظر سيدنا علي رضي اللّه عنه عليك أن تحرص على طرح ما تُفكر به، وأن تكون مُحدداً وواضحاً ولا تترك مجالاً لسوء الفهم، لأن نتيجة ذلك ستكون الفوضى والبلبلة، وعدم القُدرة على تحديد مصالحك للطرف الآخر.

الاتصال عملية مُتبادلة بين طرفين أو أكثر. كما تتحدث وتقول، سيتحدثون ويقولون كل طرف يستقبل ويُرسل، وحتى نسمع ونُسمع، لا بدّ من أن تكون قوة الاستقبال مثل قوة الإرسال. فإذا كان الاستقبال عندك ضعيفاً واستقبالهم قوي، أدركوا عجزك وضعفك. وإن كان إرسالك قوي واستقبالهم ضعيف، أدركت ضعفهم وعجزهم.

ويقول سيدنا علي رضي الله عنه في هذا المجال:

«أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان»، كما أسلفنا سابقاً.

الإرسال الضعيف والاستقبال الأضعف، يعكس حالة العجز، ومن يعجز عن كسب الناس بإرساله واستقباله، يصفه سيدنا علي رضي الله عنه، بأعجز الناس، أي إنسان عاجز عن الاتصال مع الآخرين.

احرص على التشاور قبل اتخاذ القرار بما تعمل ولا تقوم بأي عملية إرسال لما تجهله. هذا لا يعني أنك قبلت مواقف الطرف الآخر، هذا يعني ببساطة أنك تُحضّر نفسك بشكل جيد، وتعرف تماماً ما هي الرسالة التي ستقوم بإرسالها.

وعليك أن تواصل الاتصال حتى مع وجود خلافات، فلا تقطع قنوات الاتصال. وعليك أن تكون ميزان ذلك إذ يقول سيدنا علي رضي الله عنه، كما أسلفنا سابقاً:

«اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك».

ويقول أيضاً: «من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصّر فيها ظُلم».

فيجب عدم المُبالغة لا في الخصومة ولا في التقليل من شأنها، فعدم المُبالغة يجب أن لا يعني حدوث تقصير. وهذا هو ميزان الاتصال بين الأطراف التي تتفاوض عند سيدنا علي رضي الله عنه، وهذا أمر ينطبق على الخصومة الشخصية، أما في الأمور العامة فلا تهاون فيها أبداً.

٥ـ عُنصر الخيارات:

أي مُفاوضات يجب أن تحرص على إبقاء كافة الخيارات مفتوحة. كان سيدنا علي رضي الله عنه عندما قبل التحكيم مع معاوية، يرتكز إلى قبول ما ورد في نصوص القرآن والسنّة النبويّة الكريمة. ولكن ألم يكن في رفض معاوية إعطاء البيعة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه مُخالفة صريحة وواضحة للقرآن والسنّة؟

مع ذلك يقول سيدنا علي رضي الله عنه يجب الإبقاء على الخيارات مفتوحة وعدم إغلاق أي منها، باستثناء ما يُطرح في مُخالفته لتعاليم الدين الإسلامي العظيم.

فسيدنا علي رضي الله عنه قال حول عُنصر الخيارات:

«إنّ الله سبحانه وتعالى أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يُكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً»[١].

وقال أيضاً: «إنّ الأمور إذا اشتبهت اعتبر آخرها بأولها»[٢]. أي أنّ الأصل في النهايات أن تكون حسب البدايات.

وقال رضي الله عنه:

«أوضع العلمُ ما وقف على اللسان، وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان»[٣].

وقال: «أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه».

وهذا نص صريح على أنك يجب أن تُفكّر في كل الخيارات، حتى

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧١.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٠.

(٣) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٢.

تلك التي تُجبر نفسك عليها، ففيها قد يكون الحل.

وقال رضي الله عنه: «سيئة تسوؤك خيرٌ عند الله من حسنةٍ تُعجبُك»[(١)].

والمعنى بهذا أنّ الإعجاب بالحسنة قد يجر إلى السيئات، والسيئة قد تقود نتائجها إلى القيام بحسنات.

إنّ الخيارات يجب أن تكون مفتوحة، وإنّ عليك أن تُفكر من جميع النواحي، وليس فقط من النواحي التي تُعجبك أو من الزوايا التي تعتقد أنها قد تجلب عليك السيئات.

وقال رضي الله عنه:

«فوتُ الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها»[(٢)]. أي عليك أن تُحدد خيارك بعدم طلب حاجتك من عند من هم ليسوا أهلاً لطلبك. فعند ذلك تكون قد أهنت نفسك ولم تحصل على حاجتك فيجب أن تُحصن نفسك عند الطلب.

وقال أيضاً في تحديد عُنصر الخيارات، ووجوب بقائها مفتوحة:

ردّ سيدنا علي رضي الله عنه عليهما (رضي الله عنهما):

«إنّ هؤلاء لهم مددٌ وأخشى إِن فعلنا ذلك بهم أن تنقلب علينا الدنيا»[(٣)].

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٦٩.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٠.

(٣) لمزيد من المعلومات انظر: السرجاني، د. راغب، (٢٠٠٦)، مقتل عُثمان وفتنة أبدا. موقع قصة الإسلام. www.islamstory.com

كان تفكير سيدنا علي رضي اللّه عنه التريّث والانتظار حتى يستطيع بناء ما يُمكنه من السيطرة على الأوضاع وامتلاك زمام الأمور. المسألة بالنسبة لسيدنا علي رضي اللّه عنه لم تكن حول إقامة القصاص، فلقد ردّ على طلحة والزبير رضي اللّه عنهما، وقال: «عجبت للبخيل يستعجل الفقر، الذي منه هرب، ويفوته الغنى الذي إياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويُحاسب في الآخرة حساب الأغنياء، وعجبتُ للمُتكبر الذي كان بالأمس نطفة ويكون غداً جيفة، وعجبتُ لمن شك في اللّه وهو يرى خلق اللّه، وعجبتُ لمن نسي الموت وهو يرى الموتى، وعجبتُ لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجبتُ لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء»(١).

انظروا إلى توازنات الخيارات عند سيدنا علي رضي اللّه عنه، هو يتحدث عن خيارات الناس فيقول: البخيل تكون له الحاجة فيختار أن لا يقضيها، ونتيجة لخياره يكون حاله حال الفقراء.

يحثُ سيدنا علي رضي اللّه عنه الناس أن لا يبتعدوا عن التواضع، وأن ينبذوا التكبر، ويذكرهم كيف كانت بدايتهم وما هي حتمية نهايتهم.

وكيف يُمكن أن تختار الشك في اللّه عز وجل وأنت ترى خلقه؟ يسأل سيدنا علي رضي اللّه عنه وكيف تنسى الناس الموت وهي ترى الموتى كل يوم؟

إنها الخيارات مفتوحة أمام الناس كافة وأمام الذين يقومون بالتفاوض، ويجب إبقاؤها مفتوحة، ويجب التشاور قبل اتخاذ القرارات وأن تُدرس الخيارات على أساس المصالح المُشتركة والدراسة الوافية وعدم التسرع.

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٥.

وقال رضي الله عنه في مجال التدليل على اتخاذ القرار، أو تأييد البعض في قراراتهم أو خياراتهم:

«الراضي بفعل قوم كالدخل فيه معهم، على كل داخل في باطل إثمان العمل به وإثم الرضى به»[١].

ويطلب سيدنا علي رضي الله عنه، إجراء المُشاورات قبل اتخاذ القرارات، وينصح بعدم الاستبداد بالرأي إذ يقول: «من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها عقولها»[٢].

عند اتخاذ القرار في قضايا تنعكس عليك شخصياً، أو في قضايا تنعكس على عائلتك أو مدينتك أو ناديك الرياضي أو الشركة أو المؤسسة التي تعمل بها، أو حتى البلد الذي تُمثله فيجب أن تكون قد أعددت منظومة من خياراتك جيداً. بحيث تكون كل الاحتمالات قائمة. وهُنا فإن على صانع القرار وهو عادة المسؤول الذي يُرسل المفاوض، أو المسؤول عندما يكون مفاوضاً، أن لا يستبد برأيه، وأن يسمع جيداً لكل الآراء والأفكار. ومن ثم يقوم بمشاورات كثيرة. فسيدنا علي رضي الله عنه يُلخص ذلك بحكمة تصلح أن تكون أساساً لعُنصر الخيارات واتخاذ القرارات.

«من شاور الرجال شاركها عقولها». إذاً في التشاور قوة ومسؤولية وعلم وتنبيه وحذر وعدم تسرع، ودراسة عميقة لكل جوانب المسألة التي نحن بصدد اتخاذ القرارات بشأنها على ضوء ما توصلنا له من خيارات.

هذه القواعد عند سيدنا علي رضي الله عنه، أكثر رسوخاً ومتانة من

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٨.

(٢) المصدر نفسه.

كل ما جاء في كُتب المفاوضات الغربية والعناصر السبعة وتحديداً عُنصر الخيارات.

وانظر إلى سيدنا علي رضي الله عنه وهو يحذرنا ويطلب منا التفكير على أساس وقائي إذ يقول: «كم من أكلة منعت أكلات». أي أن شخصاً أكل فأفرط وأصابته التخمة أو التسمم وأصابت معدته قرحة، فاضطر ووفقاً لأوامر الأطباء أن يمتنع عن الأكل أياماً طويلة.

إياك والتفريط عند وضع الخيارات. وابتعد عن أي خيار قد يحتوي في طياته على تفريط في الحقوق.

إذ يقول سيدنا علي رضي الله عنه في عدم وضع الخيارات التي من شأنها التفريط في الحقوق: «ثمرة التفريط الندامة، وثمرة الحزم السلامة»[١].

ثم يُسلسل لنا سيدنا علي رضي الله عنه ما نقوم به من أمور وما سوف ينتج عنها. بقوله:

«من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم ومن فهم علم»[٢].

إنه التسلسل المنطقي للأمور وللتطور والأفعال التي نقوم بها نتيجة لخيارات نضعها وقرارات نتخذها. وكيف ستكون نتائجها.

«فالحياة كالزراعة، فإذا زرعنا شجر البرتقال فعلينا أن لا نتوقع ثمر التوت. وإذا ما زرعنا أشتال الزيتون، فعلينا أن لا نتوقع ثمر الليمون»[٣].

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٩.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨١.

(٣) أقوال سيدنا علي رضي الله عنه حول عُنصر الخيارات، مُقتبسة من كتاب في رحاب علي. ونهج البلاغة. مصدر سبق ذكره.

إن سيدنا علياً رضي الله عنه قد حرص على أن لا تُغلق لائحة الخيارات، وأنه هناك دائماً فرصة للتفكير بطرق جديدة وطرح الخيارات على أساس الفهم الدقيق لتسلسل الأمور ونتائج ما نقوم به من أعمال. إن الخيارات عند سيدنا علي رضي الله عنه، يجب أن تتم لتأمين مصالح كل الأطراف الداخلة في المُفاوضات، فهذه أقصر الطرق لتأمين مصالحك.

ويحثنا سيدنا علي رضي الله عنه على الفصل بين عملية وضع الخيارات وعملية صُنع القرارات.

إنها عملية طرح الأفكار وتطويرها بحيث تكون قاعدة للأرضية المُشتركة التي تسعى أطراف المفاوضات لتتوصل لها لضمان مصالح كل الاطراف، وليس لتعزيز مصالح طرف على حساب طرف آخر.

٦. عُنصر الشرعية:

عُنصر الشرعية عند سيدنا علي رضي الله عنه يستند إلى عُنصر المصلحة كما أوردنا سلفاً، الذي يستند إلى الأهداف السامية التي حددها القرآن الكريم بقوله عز وجل:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[١].

القسط هو الأرضية المشتركة، ومنظومة المصالح التي يحتكم لها كل من يقوم بالمُفاوضات والتي في الأساس تُعتبر نُقطة الارتكاز في عُنصر الشرعية عند سيدنا علي رضي الله عنه، التي اعتبرها الطريقة الأسرع والأسهل لحل المشاكل بعيداً عن معايير الإرادة الذاتية للمُفاوضين ومن يُمثلون.

---

(١) سورة الحديد. الآية ٢٤.

قد يكون هُناك طرف قوي وآخر ضعيف. وقد يعتقد الطرف القوي أن قوته تُشرع له فرض اتفاق. وإن فكر بهذه الطريقة يكون قد مهد الطريق للإملاءات وأغلق باب المُفاوضات.

على الطرف القوي أن لا يُحاول فرض الحلول أو حل المشاكل وفقاً لقوته أو إرادته الذاتية. فالمشاكل لا تُحل إلا على قاعدة المعايير العادلة والمُلائمة، والتي تنتج عن أخذ وعطاء يهيئ الظروف لوقف الصراع لفترة زمنية، قد تكون طويلة أو قصيرة وفقاً لاعتبارات القوة والمصلحة والضعف عند الأطراف المُتداخلة.

لكن علينا أن لا نفكر أن كل ما نطرحه يعتبر عادلاً عند الطرف الآخر، وأن كل ما يطرحه الطرف الآخر غير عادل بالنسبة إليه. إذ إن استخدام الشرعية التي قد تكون بالنسبة للدول اليوم والأطراف المُتصارعة مُتمثلة بالقانون الدولي، أو معايير تم استخدامها سابقاً. مثل ائتلاف حكومي يتفق على تبادل رئاسة الوزراء بين حزبين رئيسيين.

لكن عند سيدنا علي رضي الله عنه كانت الشرعية هي كتاب الله عز وجل وسنة رسولهﷺ، إذ قال:

«إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحد لكم حدوداً فلا تعتدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلفوها»(١).

وقال رضي الله عنه:

«لنا حقٌّ فإن أعطيناه وإلا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السرى»(٢).

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٣ . والقول له أصل من أحاديث الرسولﷺ.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٦٧ .

وتفسير ذلك أننا إن لم نُعطَ حقنا كنا أذلاء، فمن يركب البعير العاجزة يكون إما أسيراً أو عبداً.

الشرعية بالنسبة لسيدنا علي رضي الله عنه تختصر بمعرفة حقوق الناس، وعدم الإجحاف بها تحت أي مُسمّى فشعور الناس أنها لم تأخذ حقها كانت على الدوام منبع الثورات والحروب والقلاقل.

وقال سيدنا علي رضي الله عنه:

«إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به»، ثم تلا: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[(١)].

ثم قال: «إن ولي محمد من أطاع الله وإن بعُدت لُحمتهُ، وإن عدوَّ محمد من عصى الله وإن قرُبت قرابته». أي إن القرب من سيدنا محمدﷺ، لا يعتمد على قرب النسب، وإنما على طاعة ما جاء به.

يُلخص سيدنا علي رضي الله عنه قواعد وأسس عُنصر الشرعية بقوله:

«لا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا عقل كالتدبير، ولا كرم كالتقوى، ولا قرين كحسن الخُلق، ولا ميراث كالأدب، ولا قائد كالتوفيق، ولا تجارة كالعمل الصالح، ولا ربح كالثواب، ولا ورع كالوقوف عند الشُّبهة، ولا زُهد كالزهد في الحرام، ولا علم كالتفكر، ولا عبادة كأداء الفرائض ولا إيمان كالحياء والصبر ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم ولا مظاهرة أوثق من المُشاورة»[(٢)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٨.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٤.

إنها ركائز عُنصر الشرعية التي نستند لها في طرح مواقفنا. فالعقل هو الأساس لأنه أنفع من المال. كذلك التقوى والتدبير والعمل الصالح، والتفكر وأداء الفرائض والصبر والتواضع والعلم والتشاور. وفي ذلك يكون الربح أي الثواب. فالأرضية المُشتركة تتطلب إرساء مُعادلة رابح ـ رابح. وعليك أن تستند للشرعية في طرح مواقفك أو عرض حلول. فسيدنا علي رضي الله عنه يُحدد عناصر الشرعية في الاحترام والصدق وتفهم الطرف الآخر وعدم الاستقواء والابتعاد عن التكبر، ويعتبر أن التواضع أهم من الحسب وأن لا شرف لأحد دون علم ولا مكانة دون تشاور.

يُلخص سيدنا علي رضي الله عنه القاعدة الأساسية لعُنصر الشرعية بقوله:

«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[١].

هل هُناك ميزان للشرعية؟ وهل حدود الشرعية عند طرف يمكن أن تكون ذات الحدود للطرف الآخر أو الأطراف الأخرى؟

اليوم قد تُلزم دول بتنفيذ القانون الدولي وقرارات مجلس الأمن تحت (البند السابع)، أي شن الحرب عليها في حال عدم التنفيذ. وقد تُعامل دول خارج إطار القانون الدولي، وتكون بالفعل دولة فوق القانون، من حيث عدم التزامها أو تنفيذها للقانون الدولي أو لقرارات مجلس الأمن.

فالتأسيس لعُنصر الشرعية في المُفاوضات اليوم يبقى أمراً نسبياً. ففي حال العراق مثلاً كان البند السابع وكانت الحرب في عامي ١٩٩١ و ٢٠٠٣. وفي حال إسرائيل كان التعامل معها كدولة فوق القانون، على

---

(١) أقوال سيدنا علي رضي الله عنه مُقتبسة من الشريف الرضي. نهج البلاغة. مصدر سبق ذكره، وأصل القول حديث للرسولﷺ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٢٦٦، والبخاري فتح الباري وغيرهما.

الرغم من أنها لم تُنفذ قرارات مجلس الأمن الخاصة بإنهاء الاحتلال مُنذ عام ١٩٦٧.

والشرعية كعُنصر عند سيدنا علي رضي الله عنه، كانت بالنسبة له واضحة ومحددة، فالأساس هو عدم الخروج عن ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

لكن أيضاً بقيت المسائل في عصره نسبية، وسيتبين لنا ذلك عند إخضاع قضية (التحكيم) لعناصر المُفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه.

المسألة واضحة ومحددة فالآية الكريمة نصت على: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، وإن تخلى البشر عن مسؤوليتهم بإقامة القسط سقطت العدالة وعم الظُّلم.

وإن لم يقم الناس بالقسط، فهناك ما ورد في الآية الكريمة من سورة الحديد: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَاسِ﴾[(١)].

أي أن الحدود والقصاص وسائر العقوبات الشرعية تُساهم وتُساعد في إقامة القسط. فالحديد هو المعدن نفسه الذي تُصنع منه السيوف والأسلحة ووسائل القوة. والسعي لإقامة الحق والعدالة بين الناس قد يتسبب في صراعات بين الناس.

المهم في عُنصر الشرعية عند سيدنا علي رضي الله عنه وغيره من الصحابة الابتعاد عن الظُّلم وعدم توظيفه. والتخلص من الظلم لا يتطلب وعوداً أو تصريحات وإنما يتطلب قرارات وإجراءات عملية تقود إلى التراجع عن الظُّلم وإنصاف المظلوم وإعطاء الناس حقوقها.

---

(١) سورة الحديد. الآية ٢٤.

فاحرص عند طرح أفكارك، أنك ستكون على استعداد لطرحها أمام لجنة تحكيم مُحايدة. فعلى الطرف الآخر أن يُفكر بشكل مُعمق في كل ما تطرح، لذلك يجب أن تكون كافة طروحاتك في إطار الشرعية.

عُنصر الالتزام:

أسس سيدنا علي رضي الله عنه لعُنصر الالتزام بقوله:

«إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر»[١]. والمقصود هُنا بأطراف النعم أوائلها، فإذا لم تقوموا بالالتزام بأداء الحقوق ابتعدت عنكم أواخرها. وبالتالي عليكم الالتزام على الدوام بتأدية ما عليكم من حقوق.

وقال رضي الله عنه:

«اعتصموا بالذمم في أوتادها»[٢]. أي تحصنوا بالوفاء بالعهود، وإياكم بعدم الالتزام بما عليكم. والاعتصام بالذمم الوفاء بالالتزام.

وقال أيضاً: «لا يُعابُ المرءُ في تأخير حقه إنما يُعابُ من أخذ ما ليس له»[٣]. وما يعنيه سيدنا علي رضي الله عنه أن المرءُ لا يُعابُ إذا ما تسامح في حقه، ولكنه يُعابُ إذا لم يلتزم بحقوق الآخرين. وهنا يقصد الحق الشخصي الذي يجوز للفرد التسامح فيه لا حقوق الجماعة والأمة والدين التي لا تسامح فيها.

وقال رضي الله عنه: «من أبدى صفحته للحق هلك»[٤]. أي من

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٦٦.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٨.

(٣) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٩.

(٤) المصدر نفسه.

أعرض عن الالتزام بحقوق الآخرين وابتعد عنها، كان ذلك طريقه إلى الهلاك.

وقال في عُنصر الالتزام:

«أقل ما يُلزمكم الله أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه».

وقال رضي الله عنه:

«من صارع الحقّ صرعه».

وقوله: «يأتي على الناس زمانٌ عضوض يعضُ الموسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر بذلك»[١] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[٢].

الزمن العضوض، هو عندما يتوقف الناس عن احترام التزاماتهم، والتشبيه هُنا بأن يمسك البخيل على ماله على خلاف ما أمره الله[٣].

في أي مُفاوضات يتمسك كل طرف بمواقفه ويتردد باتخاذ القرارات. وقد يطرح سقف مُرتفع جداً، اعتقاداً منه أن هذا يُمثل الطريقة السلمية لتفادي التنازُلات.

ولكن السؤال الذي يطرح عند ذلك: هل المُفاوضات مُجدية؟

إذا ما حاول كل طرف الأخذ من الآخر، وأهمل التزامه بالعطاء، فإن هذا يعني إهمال البحث عن الأرضية المُشتركة، التي لا تقوم إلا على

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ٢٠٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٣٧.

(٣) أقوال سيدنا علي رضي الله عنه مُقتبسة من الشريف الرضي. نهج البلاغة. مصدر سبق ذكره، وأصل القول حديث للرسولﷺ / صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٢٦٦، والبخاري فتح الباري وغيرهما.

أساس متين لمصالح الطرفين أو للأطراف المُتداخلة في المُفاوضات والأرضية المُشتركة على أساس مصالح كل الأطراف تعني بالضرورة التعهد بالالتزامات.

عند سيدنا علي رضي الله عنه التركيز في المُفاوضات يكون على نوعية الالتزام وماهيتها وتوقيتها، فقد تُطرح قضايا جديدة ويتطلب الحال عندها التزامات جديدة.

إن الوصول إلى مرحلة الالتزامات في أي مُفاوضات لا يُمكن أن يتم إلا بعد أن تكون الأطراف قد فهمت مصالحها ومصالح الآخرين بعمق ودقة.

وعلى كل مُفاوض أن يتأكد بأن الالتزامات ليست مُلزمة، إلا بعد التوصل إلى اتفاق نهائي. وأن لا قيمة لهذا الاتفاق دون الالتزام بتنفيذه وفقاً لجداوله الزمنية، بعيداً عن التسويف والمُماطلة والانتقائية أو الانتقاص من المواعيد المُحددة.

ثالثاً: عناصر المفاوضات الخمسة الإضافية عند سيدنا علي رضي الله عنه:

لقد أوضحنا كيف حدد سيدنا علي رضي الله عنه عناصر المُفاوضات المُتعارف عليها دولياً في أيامنا هذه. فذكرنا عناصر: المصلحة، الخيارات، البدائل، الاتصال، الشرعية، الالتزام، والعلاقات.

إضافة إلى هذه العناصر، كان سيدنا علي رضي الله عنه ومن تجربته الرائعة، الرائدة والصعبة في الكثير من الأحيان قد حدد خمسة عناصر إضافية للمُفاوضات، لم يتم تصنيفها بعد في المدارس الغربية للمُفاوضات.

وهذه العناصر تشمل:

١. عُنصر العلم والمعرفة.

٢. عُنصر القيادة والمسؤولية.

٣. عُنصر المُتغيرات.

٤. عُنصر الصبر والثبات.

٥. عُنصر العدل.

سأحاول هُنا تبيان أهمية كل عُنصر من هذه العناصر التي حددها سيدنا علي رضي الله عنه إضافة إلى العناصر السبعة. وأنا على قناعة تامة، أن اليوم سيأتي على المدارس الغربية لإضافة هذه العناصر إلى العناصر السبعة، دون الإشارة إلى ما قدمه سيدنا علي رضي الله عنه للعلوم الإنسانية وبما يشمل علم المُفاوضات.

١. عُنصر العلم والمعرفة:

أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه، أول من دخل دين الإسلام بعد أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها. وعرف وهو طفل أن مُعجزة الرسولﷺ تمثلت بالقرآن الكريم الذي يقول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(١).

أول كلمة بعثها الله عز وجل مع سيدنا جبريل عليه السلام، لنبيه ورسوله مُحمدﷺ كانت ﴿اقْرَأْ﴾.

وسيدنا علي رضي الله عنه سمع رسولﷺ يقول:

«من أراد الدُّنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن

(١) سورة العلق، الآيات ١ ـ ٥.

أرادهما معاً فعليه بالعلم».

فمُعجزة الرسولﷺ، القرآن العظيم، هي مُعجزة علمية، ثقافية، حضارية، قانونية، تاريخية، جغرافية، مالية، تجارية، اجتماعية، عسكرية، سلمية، أخلاقية، إنسانية، تُراثية وغيرها.

فالقرآن العظيم أكد العلاقة بين الإيمان والعلم، إذ قال عز وجل:

﴿يَرْفَعِ اللّه الّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[١].

وقوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

وهناك قول يتكرر عن رسول اللّهﷺ: «اطلبوا العلم ولو في الصين»[٣].

وقول آخر: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»[٤].

وقولهﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مُسلم ومُسلمة»[٥].

هذا الكتاب غير مُخصص للبحث في القرآن العظيم كمُعجزة علمية. والهدف منه ليس التركيز على الجانب العلمي والمعرفي في سنة رسول اللّهﷺ.

---

(١) سورة المجادلة، الآية ١١.

(٢) سورة الزمر، الآية ٩.

(٣) ليس حديثاً نبوياً، وقد قال ابن حبان: إنه حديث باطل ولا أصل له، وقال الشيخ الألباني: إنه موضوع.

(٤) ليس حديثاً نبوياً، وإنما هو من كلام الناس.

(٥) هذا حديث صحيح أخرجه ابن ماجه.

لكننا أوردنا هذه الآيات الكريمة، والأقوال الشريفة، لتبيان نقاط الارتكاز في تحديد عُنصر أساسي من عناصر المُفاوضات والتواصل بين البشر.

فأساس العلم بالنسبة لسيدنا علي رضي الله عنه، يكمن في بناء العقل وتطويره حول طرح التساؤلات ليسلك طريق البحث العلمي، والإلمام بحقائق الأمور ومعرفة تفاصيلها الدقيقة، لأن المعلومة تُمثل عُنصر القوة عند المُفاوض، والافتقار لها يُمثل عُنصر الضعف.

العقل العلمي عند سيدنا علي رضي الله عنه، يعني القُدرة على الإدراك بأن معرفة النهايات مُرتبطة بالبدايات، وأساس العلم هو الترابط الدقيق في كافة مراحل التطور، لأي عمل نقوم به، وإن غاب الترابط بين مراحل العمل، فإن النتيجة سوف تتمثل بالفشل والتدهور والتخبط والتخلف.

إن المدارس الغربية التي صنفت لنا العناصر السبعة في المُفاوضات لم تكتمل لأنها حاولت إخضاع مفاهيم الأديان السماوية في بعض الأحيان لمناهج التحليل البشرية. فجاءت النتائج وخيمة. وأدت إلى مزيد من الصراعات والحروب.

فعدد لا بأس به من مُفكري الحركة الصهيونية، حاول إخضاع مفاهيم الأديان السماوية لأهداف هذه الحركة. فكانت النتائج انعدام الأمن والسلام والاستقرار للناس في منطقة الشرق الأوسط، وفي أحيان كثيرة خارج حدود هذه المنطقة أيضاً.

إن غياب حكم الله عن العناصر السبعة يجعل منها ناقصة وغير مُكتملة، بما يُعرقل في الكثير من الأحيان إمكانية التوصل إلى أرضية مُشتركة على أساس المصالح المُشتركة للأطراف، والتي يتطلب إيجادها الاعتماد على العلم والمعرفة ووجوب الابتعاد عن التحايل والظلم.

فعند سيدنا علي رضي الله عنه، فإن عُنصر العلم والمعرفة يعتمد على قوله: «معرفة الله سبحانه أعلى المعارف». لقد أبدع سيدنا علي رضي الله عنه، في حثه على البحث والتمعن والدراسة وأخذ العبر من التاريخ ومن ثم الاعتبار بها، إذ إن التحصين عند سيدنا رضي الله عنه يتم من خلال المعرفة والعلم، إذ يقول:

«أحي قلبك بالموعظة، واعرض عليه أخبار الماضين وذكره بما أصاب قبلك من الأولين وسر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا وأين حلوا ونزلوا، وكأنك عن قليل صرت أحدهم»[(١)].

انظر إلى الحكمة والدراية في وجوب معرفة أدق التفاصيل، فعليك دراسة البشر وتاريخهم، حلهم وترحالهم حتى تُصبح بمعرفتك وعلمك وكأنك واحد منهم.

لقد عرف سيدنا علي رضي الله عنه، أن التداخل والتواصل بين البشر وبما في ذلك المُفاوضات، لا يمكن أن تقتصر على تحضير ذاتك ووفدك وفريقك، بل عليك أن تعرف أدق التفاصيل عن الطرف الآخر. فلا مُفاوضات ناجحة، ولا إمكانية للحفاظ على مصالحك، أو لبناء أرضية مُشتركة معهم دون الفهم الدقيق لمصالحهم، وهذا لا يتأتى إلا بالبحث والعلم والمعرفة، وهي عمليات متواصلة لا تنتهي.

انظر إلى التكامل والشمولية والربط بين الزمان والمكان، ولا يمكن حدوث ذلك إلا من خلال العلم والمعرفة.

لقد استند سيدنا علي رضي الله عنه وغيره من الصحابة إلى عالمية رسالة الإسلام وإلى فهمه الدقيق لقوله عز وجل:

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٣٦ .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١].

إنه دينُ الإسلام الذي يدعو إلى التحرر من قيود العصبية والعُنصرية. فالمقياس في التفاضل بين كل البشر يتمثل بالتقوى.

كل أشكال التعصب والعُنصرية غير مقبولة في دين الإسلام. لا فرق بين أبيض وأسود، ولا عربي وعجمي، شرقي أو غربي، آسيوي أو لاتيني، أفريقي أو أوروبي.

إن سيدنا علياً رضي الله عنه شأنه في ذلك شأن الصحابة في فهم عُنصر المعرفة والعلم كعُنصر من عناصر التعامل مثل المُفاوضات والتواصل، ارتكز إلى حقيقة كون الناس ينتمون إلى شعوب وأعراق وأجناس وقبائل ودول مُختلفة، لا بدّ لها أن تتواصل فيما بينها (التعارف) على أساس الأحكام الشرعية. وعلى الجميع لتحصين التواصل والتعارف والوصول إلى أرضية مُشتركة في أي مُفاوضات بين هذه الدول والشعوب المُختلفة، فإن عليهم البحث والدراسة والمعرفة عن الآخرين. بعيداً عن التعصب والاستعلاء والاستقواء وتوظيف الانتماءات، وإثارة النعرات وتصدير العيوب.

فإن كان هناك تعصبٌ، فإن سيدنا علي رضي الله عنه يقول:

«إن كنتم لا محالة مُتعصبين، فتعصبوا لنصرة الحق وإغاثة الملهوف»[٢].

نصرة الحق وإغاثة الملهوف، تُمثل نقاط الارتكاز لأي أرضية مُشتركة

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٢) الرضي، الشريف. انترنت. غرر الحكم ١٢٢.

بين البشر. والعلم، كعُنصر من عناصر المفاوضات والتواصل بين البشر منه:

قوله رضي اللّه عنه:

«لا ترى الجاهل إلا مفرطاً أو مُفرطاً»(١).

وقوله: «العلماء باقون ما بقي الدهر»(٢).

وقوله أيضاً: «الناس أعداء ما جهلوا»(٣).

ومن أقواله رضي اللّه عنه: «من كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق»(٤).

وقوله: «الفكر مرآة صافية»(٥).

وقوله: «العلم يحرسك وأنت تحرس مالك»(٦).

وقال رضي اللّه عنه:

«كل وعاء يضيق بما حصل فيه، إلا وعاء العلم فإنه يتسع»(٧). ومعنى ذلك أن العقل يتسع مع الإكثار من المعرفة والعلم.

وقوله: «قطع العمل عُذر المتعللين»(٨).

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٦٠.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٧.

(٣) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٩.

(٤) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٦٨.

(٥) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٩٣.

(٦) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٧.

(٧) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨١.

(٨) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨٨.

وفي وصفه للأحوال البائسة للناس قال رضي الله عنه:

«جاهلكم مزداد، وعالمكم مسوف»[١]. أي أن الجاهل يزداد في العمل على غير دراية وبصيرة، وإن العالم يسوف بعمله، أي يؤجله ويؤخره، ويقول سيدنا علي رضي الله عنه: وبئس الناس إن كان حالهم هذا.

٢. عُنصر القيادة والمسؤولية:

القيادة وتحمل المسؤولية بالنسبة لسيدنا علي رضي الله عنه، تستند إلى القدرة على العمل التنظيمي، فلا يمكن أن تكون هناك قيادة، أو قائد يمثل قمة هرم، دون أن يكون هناك تنظيم دقيق لهذا الأمر، فتنظيم الأمور يُعتبر مفتاح القيادة السليمة، ومن خلالها تقليل العفوية واللامبالاة والفهلوة والتخبط في اتخاذ القرار. لأن الانفلات داخل أي جماعة سواء أكان على مستوى قمة الهرم في الحكم، أو الوزارة، أو داخل الوزارات ذاتها والمؤسسات والشركات والجامعات، وكذلك بالنسبة لأي وفد تفاوضي، هذا الانفلات يعني الضعف والتشرذم والتمزق واختلاط الأوراق، في حين يؤسس وجود التنظيم للقوة والوحدة والعمل الجماعي والتنسيق والتعاون.

المسألة في عُنصر القيادة والتنظيم كعُنصر من عناصر التواصل والمفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه، تُعتبر القاعدة الأساسية لأي مفاوضات، فبدون التنظيم والقيادة على المستوى الداخلي لا يمكن الانطلاق لأي عمل، وخاصة إذا كان هذا العمل التفاوضي مع أطراف أخرى.

لا بدّ أن يعرف كل شخص دوره ومكانته في التراتبية، لأن الولاية

---

(١) أقوال سيدنا علي رضي الله عنه مُقتبسة من كتاب خالد، في رحاب علي. مصدر سبق ذكره. وكتاب والرضي، الشريف. نهج البلاغة مصدر سبق ذكره.

هي الحدود في كل شيء. وكل من يحاول أن يخلط وأن يعبث بالولاية والتراتبية، يكون مثل الذي يردم بئر الري عند المُزارعين، وكمن يُدمر مولد الكهرباء في المستشفيات، ومثل الذي يُرسل الأطفال إلى الجامعات، والشباب إلى رياض الأطفال.

لقد عمل سيدنا علي رضي الله عنه طوال حياته، لإحداث التوازن بين التنظيم والقائد، فمن ناحيته يقول سيدنا علي رضي الله عنه: «كلامٌ حقّ يُرادُ به باطل، لا بد من أمير برٍّ أم فاجر»[١].

لا بد من أمير بغض النظر عن صفاته وأخلاقه والتزامه وتطلعاته، فأسوأ الأوضاع للناس، يتمثل بتعدد الأمراء، أي تعدُّد السُّلُطات.

لكن سيدنا علياً رضي الله عنه كان يُدرك تماماً أنه لا تجوز طاعة أي مخلوقٍ إذا كان ما يطلبه يُخالف تعاليم الله عز وجل، فهو الذي يعلم قول رسول اللهﷺ المعروف بين الناس:

«لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق».

فالطاعة ليست عمياء حتى لولي الأمر عند سيدنا علي رضي الله عنه. إذ لها حدود إن تم تجاوزها لا تتوجب الطاعة. لكن في الوقت نفسه فإن سيدنا علياً رضي الله عنه، تحدث عن طاعة ولي الأمر، حتى لو كان في قتال الأبناء والأعمام والأقارب، إذا كانوا في معصية الله.

سيدنا علي رضي الله عنه قال:

«ولقد كنا مع رسول اللهﷺ، نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم، وصبراً على رفض الألم»[٢].

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ٢٢.

إن مُهمة القيادة هي الحفاظ على وحدة الشعب، وطاقاته وإمكاناته، واستخدام ثرواته الإنسانية والطبيعية بالدرجة التي تسمح بها المعرفة.

إن الأمم حين يتدحرج التنظيم ويعجز فيه الحاكم عن الحكم من خلال الأطر التنظيمية، تصل وبسرعة فائقة إلى مرحلة تعدد السُّلُطات، وهذا يُشكل بحد ذاته أخطر وباء يُمكن أن تُصاب به الأمم.

ولإدراك سيدنا علي رضي الله عنه لأهمية هذه التوازنات قال:

«من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحقُّ بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم»(١).

ويقول في هذا المجال: «من استبد برأيه هلك»(٢).

يرفض سيدنا علي رضي الله عنه الاستبداد بكل أشكاله. ويعتبر الحاكم المُستبد مصدر هلاك لشعبه وله. وفي عُنصر القيادة وتحمل المسؤولية يؤسس سيدنا علي رضي الله عنه للقيادة بفريق عمل دون التقليل من أهمية الرأس.

لكن الرأس يجب أن تكون له مواصفات تستند إلى تنظيم يعرف كل عضو في الفريق طبيعة عمله وهذا هو الطريق إلى النجاح.

إذ يقول رضي الله عنه:

«الاستشارة عينُ الهداية، وقد خاطر من استفتى برأيه»(٣).

إذا كان للهداية عينٌ ترى بها، فإنها الاستشارة، إنها الاستماع لآراء

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٠.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٨.

(٣) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨١.

الآخرين، وعدم الاستبداد بالرأي، ففي ذلك مخاطرة تقود إلى الهلاك.

الحاكم، رئيس الفريق، وأي مسؤول في موقعه يجب أن لا يكون مُستبداً، أعمى لا يرى إلا رأيه.

وقال رضي الله عنه:

«احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك»[(١)].

وقال: «اللجاجة تسُلُ الرأي»[(٢)]. أي أن شدة الخصام تُدمر الرأي. وفي تشديده على القيادة وتحمل المسؤولية وفقاً لروح الفريق والشرعية والحكمة، قال سيدنا علي رضي الله عنه:

«متى أشفي غيظي إذا غضبت؟ أحين أعجزُ عن الانتقام فيُقال لي: لو صبرت أم حين أقدرُ عليه فيُقال لي: لو عفوت»[(٣)].

العفو كبير عند القُدرة، وفي حالة العجز فالصبر أفضل، ولا يصلح التشفي في أي حال. هذه قواعد عُنصر القيادة والتنظيم عند سيدنا علي رضي الله عنه.

إن عُنصر القيادة والمسؤولية، اعتبره سيدنا علي رضي الله عنه رُكناً أساسياً لعناصر التواصل الإنساني والمُفاوضات.

فلا يُمكن الإعداد، والبحث وتحديد المصالح والخيارات والبدائل، وترسيخ أسس الشرعية أو الاتصال للمُفاوضات دون أن يكون هناك هيكلية قيادية قائمة على تنظيم واضح ومُحدد والمسألة هُنا ليست إدارية، على الرغم من أهمية الجوانب الإدارية التي يجب عدم التقليل من أهميتها

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨٠.

بأي حال من الأحوال، المسألة تتعلق بعُنصر القيادة والمسؤولية، الذي لا يمكن حتى الحديث عن المُفاوضات أو الإعداد لها دون إرساء دعائمه.

لذلك فإن اعتبار سيدنا علي رضي الله عنه عُنصر القيادة والمسؤولية عُنصراً بذات أهمية العناصر السبعة، وما أضاف لها من عناصر أخرى، يُعتبر نقطة ارتكاز لا يُمكن اكتمال أي بناء بدونها.

وفي هذا السياق تحدث سيدنا علي رضي الله عنه، عن مُحاسبة الذات وتنظيم التنظيم حين قال: «من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم»[١].

المهم عند سيدنا علي رضي الله عنه، هو ابتعاد الحاكم وقائد الفريق أو أي مسؤول عن الاستبداد، فالمُستبد لا يعرف حتى معنى مُحاسبة النفس. فمن يُراجع نفسه ويُحاسبها، هو شخص قائد بروح الفريق ووفقاً لتنظيم محدد وشرعية ثابتة.

٣. عُنصر المُتغيرات:

الحياة في حالة صيرورة مُستمرة. وفي حالة تغيير متواصل وكذلك كل أمور الدنيا.

ولتأكيد عُنصر المُتغيرات كعُنصر هام من عناصر التواصل والمُفاوضات قال سيدنا علي رضي الله عنه:

«لا يستقبل يوماً من عمره، إلا بفراق آخر من أجله»[٢].

وقال أيضاً: «في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال»[٣].

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨١

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨٠.

(٣) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨١.

وقال رضي الله عنه: «الدنيا خُلقت لغيرها ولم تُخلق لنفسها»[(١)].

وقال: «خلقوا أولادكم بغير أخلاقكم لأنهم خلقوا لزمان غير زمانكم»[(٢)].

عند أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه، فإن حيوية الأمم والشعوب تعتمد إلى حدٍّ بعيد على تفاعُلاتها وتحركاتها. التي تكفل لها مواجهة أي جمود أو ركود.

فالمجتمعات يجب أن تكون مُبدعة ويجب أن يقود فيها من يمتلك الأدوات الضرورية لإنجاز ما يقومون به من مهمات.

فعملية التغيير تعني التدخل بين الفكر والمبدأ، بين النظرية والتطبيق. فالأمور تبدأ بإدراك حتمية التغيير، والأخذ بعين الاعتبار تأثير المُتغيرات على مواقفنا قبل حدوثها. وكيف يمكن لنا أن نُكيف مواقفنا استناداً لإدراكنا بطبيعة المُتغيرات؟

فالإنسان وحسب سيدنا علي رضي الله عنه في حالة صيرورة مُستمرة، أي عملية التفاعل بين الماضي والحاضر والمُستقبل. هذا التفاعل تُتابعه العقول. فالعقل هو أبرز مكونات الإنسان، من العقل يتم انتقال الإنسان من ما يراه إلى ما يفعله، ومما لا شك فيه أن سيدنا علياً رضي الله عنه قد أدرك وتيقن من أهمية عُنصر المُتغيرات من قوله تعالى عز وجل:

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[(٣)].

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ٢٠٠.

(٢) وهذا قول منسوب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضاً، وله صيغ مختلفة كثيرة.

(٣) سورة الروم، الآية ٢٨.

أي نُبينها بوضوح وتفصيل للذين يعقلون. فالعقل يربط الحوادث بعضها ببعض، وهُنا يحدث التكامل بين الأشياء الذي يؤدي إلى تكامل الأحكام والنتائج. إنه عُنصر المُتغيرات، فكل فكرة نطرحها سيكون لها ما يتبعها، ونحن نحرص أن نُبقي عملية التطور في أفكارنا من خلال طروحات تُحافظ على ما نُثبته كمصالح لنا.

وبالنسبة لسيدنا علي رضي الله عنه فإن حدود الله هي المصلحة الثابتة التي لا يُمكن تجاوزها، أو طرح أفكار أو مواقف أو عروض تمسُّ هذه الحدود وتخرج عنها. فنقطة الارتكاز عند سيدنا علي رضي الله عنه كانت: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾.

لا بدَّ لكل من يفاوض من امتلاك القُدرة الفائقة على استقراء المُستقبل، وما مر به وشهده من مآسٍ، وفرقة وتشرذم وانقسام وحروب ومعصية دفعه لرؤية مُستقبل صعب للمُسلمين، إذ قال:

«يأتي على الناس زمانٌ لا يبقى فيه من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه، مساجدهم يومئذٍ عامرة من البنى خراب من الهُدى، سُكانها وعمارها شر أهل الأرض، منهم تخرج الفتنة وإليهم تأوي الخطيئة»[١].

انظر حولنا اليوم وبعد مئات السنين، ستجد أن سيدنا علياً رضي الله عنه كان قد شاهد ما سوف يحدث للمُسلمين على مر السنين. والمشاهد التي نراها اليوم في عالمنا الإسلامي، من انقسام وتشرذم وفرقة وصلت إلى حد تفجير المساجد على رؤوس المُصلين، لا لشيْء على الإطلاق، فالخلافات بين المُسلمين لا تشمل شهادة (لا إلّه إلا الله وأن

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٩٤.

محمداً رسول الله)، فكل مُسلم يشهد بذلك صباح مساء، ولا خلاف حول الصلوات الخمس، أو الحج إلى بيت الله الحرام، أو أداء الزكاة، وصوم رمضان.

لا خلاف بين أي من المسلمين على القرآن الكريم. لكن مع ذلك تُفجر المساجد، ويُذبح المُصلون أثناء تأدية صلواتهم.

سنرى أن سيدنا علياً رضي الله عنه بقبوله (التحكيم) كان على استعداد لدفع أعلى ثمن مُقابل وحدة الأمة والحفاظ على حدود الله، كذلك فعل سيدنا الحسن رضي الله عنه عندما تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان.

في إرساء دعائم عُنصر المُتغيرات أي فهم أن الأمور لن تبقى على ما هي عليه، وأن الأمور في صيرورة مُستدامة. وقال سيدنا علي رضي الله عنه:

«يا بن آدم كُن وحي نفسك في مالك، واعمل فيه ما تؤثر أن يعمل فيه من بعدك»[١]. أي قم بالأعمال الصالحة التي يستمر نفعها، بمعنى أثر في المُتغيرات، وما يتوافق مع روح التغيير للأفضل. لا تنتظر أن يقوم غيرك باستخدام مالك، استخدمه أنت اليوم دون تأخير أو تأجيل فالتغيير حاصل لا مُحالة، ولا بدّ أن تكون جزءاً منه، إن أردت أن تكون جزءاً من التطور والمستقبل.

لقد وصل سيدنا علي رضي الله عنه إلى أدق التفاصيل في مجال النفس البشرية، ما تتحمله وما لا تتحمله. ما تصبر عليه، وما لا تصبر عليه، إذ قال رضي الله عنه:

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨٤.

«ينامُ الرجلُ على الثكل ولا ينام على الحرب»[١]. أي أن الناس قد تصبر على فُقدان أولادها، ولكنها لن تصبر على سلب مالها ورزقها.

إنه علم ما ينتج عن ما تقوم به من أعمال، علم المُتغيرات الناتجة عن أفعالنا.

أما تأثير المُتغيرات على الناس فإنها تختلف من فريق إلى آخر. وأفضل ما عبر به سيدنا علي رضي الله عنه عن هذه الأمور، عندما قال حين ورده مقتل مُحمد بن أبي بكر:

«إن حُزننا عليه على قدر سرورهم به، إلا أنهم نقصوا بغيضاً ونقصنا حبيباً».

بنظر معاوية بن أبي سفيان فإن قتل مُحمد بن أبي بكر خبر سار، فهو بالنسبة له عدو. وبالنسبة لنا فإنه خبر حزين. والمُتغيرات بالنسبة لهم ستعني أنهم تخلصوا من عدوّ، وبالنسبة لنا فإننا خسرنا حبيباً.

وقال رضي الله عنه:

«صواب الرأي بالدول، يُقبل بإقبالها، ويذهب بذهابها»[٢].

سلامة الدول وعلوها بِقُدراتها على التفكير واستخدام العقل والقُدرة على استقراء المُتغيرات. وإدبار الدول، أي عدم قُدرتها على استقراء المُستقبل سوف يعني التخبط والحيرة والارتباك.

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨٤.

(٢) أقوال سيدنا علي رضي الله عنه مُقتبسة من الرضي الشريف. نهج البلاغة. مصدر سبق ذكره.

٤. عُنصر الصبر والثبات:

في التأسيس لعُنصر الصبر والثبات، قال سيدنا علي رضي الله عنه:

«الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد». فالصبر منها على أربع شُعب: الشوق والشفق والزهد والترقب»[١].

وقال رضي الله عنه: «آلة الرئاسة سعة الصدر».

وقوله أيضاً: «الاحتمال قبرُ العيوب»[٢]. الاحتمال هُنا بمعنى تحمل الأذى، ويصف سيدنا علي رضي الله عنه القُدرة على تحمل الأذى، بأنها دفن لعيوب الإنسان في قبر.

إن أقوال سيدنا علي رضي الله عنه، تكريس عُنصر الصبر والثبات كركن أساسي وعُنصر رئيس من عناصر التواصل والمُفاوضات بين البشر.

فالصبر هو أحد دعائم الإيمان والذي يشمل الصبر على البعد، والخوف والانتظار واحتمال ضيق الحال.

والصبر عند سيدنا علي رضي الله عنه هو الطريق إلى النصر، بل إنه القلب النابض للسياسة وللعلاقات بين الناس.

لقد تعلم سيدنا علي رضي الله عنه أهمية عُنصر الصبر والثبات من سيدنا محمدﷺ وهو القائل: «النصر صبرُ ساعة».

ويُكرس أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ذلك بقوله:

«الصبرُ صبران، صبر على ما تكره وصبر عما تُحب»[٣].

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٦٧.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٦٦.

(٣) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٠.

ومرة أخرى يُكرس سيدنا علي رضي الله عنه عُنصر الصبر والثبات من خلال القول ومن خلال الحديث عن لُغة الجسد، إذ يقول:

«يُنزل الصبر على قدر المُصيبة. ومن ضرب يده على فخذه عند مُصيبة حبط عمله»[1].

المصائب تقع على البشر، وكلما عظمت المُصيبة فإنها تتطلب صبراً أعظم، إضافة إلى ذلك يُحذر سيدنا علي رضي الله عنه من عدم القيام (بضرب اليد على الفخذ)، وذلك تحذير من استخدام لُغة جسد، لأن ذلك يدل على الضعف والانهيار.

يمكن أن تتصورها. شخص يجلس أمام الناس ويرفع يده وهو في حالة ذُعر وارتباك وتخبط، ويضرب بها فخذه.

بالنسبة لسيدنا علي رضي الله عنه فإن ذلك أمر بغيض، وحركة غير مقبولة، بحيث إنها تحرم الإنسان من ثواب أعماله.

وقال رضي الله عنه:

«والصبر يُناضل الحدثان، والجزعُ من أعوان الزمان، وأشرف الغنى ترك المُنى»[2].

الصبر عند سيدنا علي رضي الله عنه هو مقاومة نوائب الدهر، والجزع أي شدة الفزع يعين الزمن على الأضرار بصاحبه. وعندما لا تتمنى شيئاً تكون قررت الاستغناء عنه.

هذه هي مدرسة أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه وعناصره في التواصل والمُفاوضات بين البشر، بل أيضاً في العلاقات الإنسانية على

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٦.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨١.

مُختلف مستوياتها. فنقطة الارتكاز تتمثل بالصبر والثبات. يوظف سيدنا علي رضي الله عنه لُغة الجسد مرة أخرى في تكريسه لعُنصر الصبر والثبات إذ يقول:

«بكثرة الصمت تكون الهيبة وبالنصفة يكثر المواصلون»[١].

ومتى كان الإنسان مُنصفاً كثُر محبوه. والصبر على الكلام (الصمت) يولد هيبة الإنسان.

وهو يُكرس عُنصر الصبر والثبات إذ قال ساعة دفن الرسولﷺ:

«إن الصبر لجميل إلا عنك، وإن الجزع لقبيح إلا عليك، وإن المُصاب بك لجليل، وإنه قبلك وبعدك لجلل».

يقول سيدنا علي رضي الله عنه: إن المصائب قبل وبعد وفاة الرسولﷺ ستكون هينة وبسيطة، وفي الوقت نفسه يقول: إن للصبر حدوداً، فلا يستطيع أن يتصرف وفقاً لأسس وركائز الصبر والثبات، عند دفن الرسول مُحمدﷺ، ولكن هذا لا يعني عدم القُدرة على التفريق بين مُصاب جلل كوفاة الرسولﷺ وأحداث أخرى قبل ذلك وبعده. فهذه ستكون أموراً هينة بالمُقارنة إذا ما قورنت مع الوقوف على قبر يُدفن فيه رسول الله مُحمدﷺ.

سيدنا علي رضي الله عنه يصل في تكريس عُنصر الصبر والثبات، في التواصل والمُفاوضات إلى مستويات دقيقة للغاية حين يقول:

«من طلب شيئاً ناله أو بعضه»[٢]. بمعنى أن الذي يعمل ويداوم على

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨٢.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٩٥.

ما يُريد وما يطلب بصبر وبثبات ودون كلل أو ملل، سوف يصل إلى كل أو جزء مما يُريد.

وقال سيدنا علي رضي الله عنه:

«من صبر صبر الأحرار، وإلا سلا سلو الأغمار»[١]. ومعنى الأغمار الجهلة. وما يعنيه سيدنا علي رضي الله عنه أن من خانه شرف الجلد والصبر فلا بدّ أن يتصرف وينتظر ويسلو كالجهلة الذين ليس لهم تجربة في الحياة، فالصبر أولى وأفضل.

٥. عُنصر العدل:

العدل عند سيدنا علي رضي الله عنه هو الأساس الذي يستمر وإن استمر، العلاقات الجيدة، والاتفاقات المتوازنة والعقود والمُعاهدات القائمة على الشرعية.

سيدنا علي رضي الله عنه أجاب وقد سئل عن العدل: «العدل منها على أربع شُعب: على غائص الفهم وغور العلم، وزهرة الحكم، ورساخة الحلم»[٢].

ويقول رضي الله عنه: «ما ظفر من ظفر الإثم به، والغالب بالشر مغلوب»[٣]. أي إذا كان النصرُ يتحقق باقتراف المعاصي والآثام وتغييب العدل، فهذا سيقود إلى أكبر الخسائر. والذي ينتصر بالظلم والشر وتغييب العدل سيكون مهزوماً ومظلوماً بكل ما للكلمة من معنى.

«يوم المظلوم على الظالم أشدُّ من يوم الظالم على المظلوم».

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٩٥.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٦٧.

(٣) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٩١.

وقال رضي الله عنه: «استعمل العدل، واحذر العسف والحيف، فإن العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو إلى السيف»[(١)].

إنها البلاغة بالإيجاز، فإن هبة المظلوم على ظالمه ستكون أشد بكثير مما يظلم به الظالم المظلوم. فالأمور لا تستقيم إلا بالعدل والابتعاد عن الظلم.

فالظلم آفة ومصدر كل القلاقل والفتن والحروب والصراعات. ولا يُمكن للظلم أن يستمر مهما كانت سطوة وقوة من يُمارسون الظُّلم.

ويقول سيدنا علي رضي الله عنه:

«ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن»[(٢)]. أي أن الواثق بظنه واهم. فالعدل يعتمد على اليقين.

ويقول رضي الله عنه:

«للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقهُ بالمعصية، ومن دونه بالغلبة. ويظاهر القوم الظلمة»[(٣)].

ظالم من يعصي الله عز وجل، ومن يعصي ولاة الأمر. وظالم من يقهر من هم تحت مسؤوليته. وظالم أيضاً من يعاون الذين يُمارسون الظلم ويبتعدون عن العدل.

لقد أبدع سيدنا علي رضي الله عنه في إرساء دعائم عُنصر العدل، كأساس للتواصل والمُفاوضات والاتفاقات حين قال:

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ٢٩١.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨٨.

(٣) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٩٢.

«إن الحق ثقيلٌ مريءٌ، وإن الباطل خفيف وبيء»[(١)]. ويعني أن العدل والحق وإن كان ثقيلاً ومكلفاً فإن عواقبه حميدة. والباطل وإن خفت كلفته ظاهرياً، فإن عواقبه وخيمة.

إن عُنصر العدل، عند سيدنا علي رضي الله عنه يعتبر أساس التوازن للاتفاقات بين الناس إذ يقول:

«من بالغ في الخصومة ظلم، ومن قصر فيها ظُلم، ولا يستطيع أن يتقي الله من يخاصم».

إنه الاعتدال الذي يؤدي إلى العدل.

إن الظلم عند سيدنا علي رضي الله عنه، وقهر الناس وحرمانهم من حقوقهم، يُشكل المدخل للصراعات بين الناس. وقد وصلت الأمور بسيدنا علي رضي الله عنه للقول بالناس أن الإنسان لا يعاب إن ارتأى تأجيل حق له. ولكن العيب كل العيب في من يأخذ مالاً ليس له أو يؤجل حقوق الآخرين التي لديه، إذ قال:

«لا يُعاب المرء في تأخير حقه، إنما يُعاب من أخذ ما ليس له»[(٢)].

وقال أيضاً:

«إنما أخشى عليكم اثنتان، طول الأمل، واتباع الهوى، فإن طول الأمل ينسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق»[(٣)].

ويقول رضي الله عنه:

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٩٥.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٩.

(٣) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٩.

«وظلم الضعيف أفحش الظلم»[١].

لا يمكن صمود أي علاقة قائمة على الظلم وغياب العدل. فإن كنت قوياً، واعتقدت أن باستطاعتك أن تتفق مع من منهم أضعف منك بإملاء شروطك، فإنك تُمارس بذلك أفحش الظلم، فلن يصمد أي اتفاق لا يقوم على العدل، مهما كان اختلال موازين القوة بين الأطراف المُتداخلة في الصراع.

لقد رسخ سيدنا علي رضي الله عنه عُنصر العدل، كأحد أهم عناصر التواصل والمفاوضات حين قال:

«واعلموا رحمكُم الله أنكم في زمان القائل فيه بالحق قليل، واللسان عن الصدق كليل، والملازم للحق ذليل»[٢].

ويثبت سيدنا علي رضي الله عنه ثقافة العدل بقوله:

«انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان الله حرباً حتى ينزع ويتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نعمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المُضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد»[٣].

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٤٠.

(٢) أقوال سيدنا علي رضي الله عنه حول عُنصر العدل مقتبسة من عدة مواقع في كتاب الرضي، الشريف. نهج البلاغة. مصدر سبق ذكره. ص ٤١٣.

(٣) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٥٠.

ويُضيف:

«وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة. وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء. وأكره للإنصاف»[١].

لا يمكن أن يصمد أي اتفاق أو مُعاهدة أو تفاهم مهما كانت طبيعته إذا لم يكن العدل أساساً له. بذلك كرس سيدنا علي رضي الله عنه عُنصر العدل، كأحد أهم عناصر التواصل والمُفاوضات وصناعة الاتفاقات والمُعاهدات بين الناس بعضها بعضاً، وبين الناس والدولة، وبين الدولة والدول الأخرى.

لا بدّ من الإشارة إلى أن سيدنا علياً رضي الله عنه كان يستند في تصنيفه عُنصر العدل إلى قوله تعالى:

﴿إِنّ الله يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدّوا الْأَمَانَات إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[٢].

صفات المفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه:

إضافة إلى ما تقدم من عناصر سيدنا علي رضي الله عنه، فلقد تحدث أيضاً عن صفات المُفاوض وهي مسألة في غاية الأهمية، فالمُفاوض ليس صانع قرار ويجب أن لا يكون. فالمُفاوض يقوم بمهمة نيابة عن شركته أو ناديه الرياضي أو مؤسسته وأحياناً عن أهله، وأحياناً أخرى عن رئيسه، أو بلده.

---

(١) المصدر السابق. ص ٤٩٢ـ ٤٩٣.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٨.

المُفاوض ليس سقف صناعة القرار، وإنما وكيل عن صُناع القرار. ولكن ماذا يحدث عندما يجتمع صُناع القرار، أي أعلى مستوى في هرم صناعة القرار، مع بعضهم البعض. كأن يجلس رؤساء النوادي الرياضية أو رؤساء مجالس إدارة الشركات، أو رؤساء الدول، أو الوزراء أصحاب الشأن في قضية موضوعات مُفاوضات أو غير ذلك؟

يُفضل أن يكون صانع القرار، وإن كان حريصاً على مصالح الجهة التي يمثلها، وحتى وإن كان رئيساً لدولة، أن يتحلى بصفة التواضع. وأن لا يحاول تقديم أوراق اعتماد، بأنه قادر على صناعة القرار وتقديم العروض، وتحديد الأرضية المُشتركة، ووضع معايير تبادل التنازلات، وحده ودون العودة إلى مؤسسات هرم القيادة في بلده.

من الأفضل لرئيس الدولة، والوزير، أو رئيس الشركة أو النادي، القول إن علي أن أعود وأعرض الأمر على القيادة، أو البرلمان، أو أعضاء مجلس الإدارة. ولا ضير أن يقول إنه جزء من صناعة القرار، وليس المُقرر الوحيد. هذا سيزيد من فُرص الحفاظ على مصالحه، وبناء أرضية مُشتركة على أسس التبادل في الأخذ والعطاء، للوصول إلى مُربع ربح ـ ربح، وليس ربح ـ خسارة، أو انهيار للأمور والوصول إلى موقع خسارة ـ خسارة.

لقد نبهنا سيدنا علي رضي الله عنه لصفات المُفاوض ومن يُكلف بمهمات التواصل نيابة عن مجموعة ما. وكان اهتمامه كبيراً بأن يكون المُفاوض على درجة كبيرة من الولاء والإخلاص للجهة التي يُمثلها، وأن يكون على قدرة عالية جداً من حصافة العقل والثقافة والمعرفة والعلم والصبر والثبات والشجاعة والتواضع والأخلاق الحميدة، وعدم تضارب المصالح.

إن صفات المُفاوض عند سيدنا علي رضي الله عنه قد حُددت في

رسالة بعثها إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عندما تم اختياره للتحكيم، قال فيها:

«فإن الناس قد تغير كثيرٌ منهم عن كثير من حظهم، فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى، وإني نزلتُ من هذا الأمر منزلاً معجباً اجتمع به أقوام أعجبتهم أنفسهم، فإني أُداوي منهم قرحاً أخاف أن يكون علقاً وليس رجلٌ ـ فاعلم ـ أحرص على جماعة أمة مُحمد صلى الله عليه وسلم وآله وألفتها مني، أبتغي بذلك حُسن الثواب وكرم المآب، وسأفي بالذي رأيت على نفسي وإن تغيرت عن صالح ما فارقتني عليه، فإن الشقي من حرم نفع ما أوتي من العقل والتجربة، وإني لأعبد أن يقول قائل بباطل، وأن أفسد أمراً قد أصلحه الله، فدع ما لا تعرف، فإن شرار الناس طائرون إليك بأقاويل السوء، والسلام»(١).

قبل ذلك في كتاب لسيدنا علي رضي الله عنه لعبد الله بن العباس رضي الله عنه عندما بعثه للاحتجاج والتفاوض مع الخوارج:

«لا تُخاصمهم بالقرآن فإن القرآن جمال ذو وجوه تقُول ويقولون، ولكن حاججهم بالسُّنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً»(٢).

انظر الصفات التي يُحددها سيدنا علي رضي الله عنه:

أ ـ الوفاء والإخلاص وعدم الانقلاب على نُصرة الحق. إذ إن التمرد والانقلاب يُمثلان الخيانة وعدم الوفاء، وهذا أكثر الأمور إيلاماً وجُرماً. لأن الوفاء بالعهد له نتائج إيجابية على الصالح العام، في حين يأتي الغدر والخيانة بنتائج تدميرية على الصعيد

---

(١) من كتاب سيدنا علي رضي الله عنه إلى الأشعري، أبو موسى رضي الله عنه، نهج البلاغة. ص ٥٣٤ـ ٥٣٥.

(٢) المصدر نفسه.

الداخلي أو الصعيد الخارجي، حين يكون الانقلاب من فعل الطرف الآخر الذي تم الاتفاق معه.

ب ـ ضرورة الالتزام «وسأفي بالذي رأيت على نفسي». «أي تنفيذ ما عليك وما وعدت به».

ت ـ الحذر وعدم الخروج عن الحق والصالح العام، وعدم الوقوع في خديعة الآخرين.

ث ـ المُفاوض يُمثل صاحب القرار، وما يوقع عليه أو يقبل به، فهو ما سوف يقبله صاحب القرار (المسؤول).

ج ـ الابتعاد عن مواقع الريبة والشك، «فدع ما لا تعرف».

ح ـ عدم الاستناد إلى ما قد يكون قابلاً للتفسير بأكثر من طريقة، حتى ولو كان ذلك القرآن الكريم. «لا تخاصمهم بالقرآن، فإن القرآن حمال أوجه ذو وجوه»، أي أنه يحمل معانٍ كثيرة، إن أخذت بأحدها استخدم الطرف الآخر مثلها. استند إلى أسس متينة لا يمكن للخصم التهرب منها.

خ ـ الابتعاد عن الإعجاب بالنفس والغرور واحترام النفس واحترام الآخرين، والتمسك بروح الفريق، إذ يقول سيدنا علي رضي الله عنه:

«وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه»[١].

د ـ أن يتمتع بالحكمة والعقل والصبر والثبات، فلا يقوم بشيء قبل أوانه، ولا يتردد عن تنفيذ أمر وقت تنفيذه.

ذ ـ عدم التخاصم والنزاع حول الأمور الغامضة، ووجوب الوضوح،

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٥٦.

والاستناد إلى مرجعيات مُحددة.

ر ـ الالتزام بالأخلاق الحميدة والحلم حتى في أحلك الظروف وأصعب المواقف، فلا يتعالى على الناس، ولا يُمارس الخداع ولا ييأس ولا يغضب.

ز ـ الاستفادة من التجارب، ودراسة ودراية المُتغيرات والتطورات.

س ـ على المُفاوض أيضاً وهو يُمارس المُفاوضات استناداً إلى العمل بروح الفريق والتواضع والحياء والخُلق الكريم، أن يعرف قدر نفسه، إذ يقول سيدنا علي رضي الله عنه:

«هلك امرُؤٌ لم يعرف قدره»[(١)].

وفي هذا المجال أكد سيدنا علي رضي الله عنه أن القيادة لا تأتي عبر القرابة أو الصحبة إذ قال: «واعجباه أتكون الخلافةُ بالصحابة والقرابة؟».

الخلافة لا تكون بالصحابة والقرابة، وكذلك فإن اختيار المُفاوض لا يكون على أسس قرابة أو صداقة، بل على أساس القُدرة والكفاءة.

ش ـ المُفاوض سيكون قريباً من الحاكم أو المسؤول أو صاحب القرار. فهو يأخذ التعليمات منه، ويُقدم التقارير له ويُقدم سيدنا علي رضي الله عنه نصيحة لمن يكون قريباً من الحاكم، وبمن فيهم المُفاوض بطبيعة الحال إذ يقول:

«صاحب السلطان كراكب الأسد يُغبط بموقعه وهو أعلم بموضعه»[(٢)].

بمعنى أن الناس تحسده وتتمنى منزلته وقد يغار البعض منه إلى

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٧٧.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨٧.

درجة الحسد، ومن ثم التآمر والفعل الشنيع. وفي الوقت نفسه فإن الشخص القريب من الحاكم هو كمن يركب الأسد، وينصحه سيدنا علي رضي الله عنه، أن يكون حذراً طوال الوقت، فهناك احتمال دائم بأن يقوم الأسد بإلحاق الأذى الكبير بمن يركبه.

ويقول سيدنا علي رضي الله عنه في هذا المجال:

«كفاك من عقلك أوضح لك سبيل غيك من رشدك».

ويقول أيضاً: «القلب مصحف البصر»[١]. أي مراقبة ما تراه العين وحفظه وكتابته، وكأنه يُحفظ بالقلوب.

إن صفات المُفاوض عند سيدنا علي رضي الله عنه تأخذ بعين الاعتبار كافة العناصر السبعة إضافة إلى عناصر العلم والمعرفة والقيادة والمسؤولية والصبر والثبات والعدل وفهم دقيق للمُتغيرات. ولكن لا يُمكننا اعتبار ما تحدث به سيدنا علي رضي الله عنه عن صفات المفاوض كعنصر من عناصر التواصل والمفاوضات.

فالوصول إلى الأرضية المُشتركة وإلى اتفاق يأخذ بعين الاعتبار مصالح الطرف الذي يُمثله هذا المُفاوض يتطلب اختيار الأشخاص القادرين على القيام بهذه المُهمة، على أسس الكفاءة والتجربة والخبرة والعلم وحُسن الخُلق والحياء، والشجاعة والوفاء والإخلاص، وفوق هذا وذاك أن لا يوجد تضارب مصالح بين المُفاوض وبين المهمة التي يقوم بها، وأن لا يكون المُفاوض صاحب قرار.

وقد أجمل سيدنا علي رضي الله عنه صفات المُفاوض بقوله:

«رسولك ترجمان عقلك، وكتابك أبلغ ما ينطقُ عنك».

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٨٧ .

رابعاً: مُلخص لعناصر المفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه:

إن ما توصلنا له من عناصر للمُفاوضات والتواصل عند سيدنا علي رضي الله عنه تمثل باثني عشر عُنصراً وهي تشمل العناصر السبعة الواردة في المدرسة الغربية، وهي:

١. عُنصر المصلحة.

٢. عُنصر العلاقات.

٣. عُنصر البدائل.

٤. عُنصر الاتصال.

٥. عُنصر الخيارات.

٦. عُنصر الشرعية.

٧. عُنصر الالتزام.

وأضفنا لها عناصر المُفاوضات الخمسة عند سيدنا علي رضي الله عنه والتي لم تُصنف بعد كعناصر للمُفاوضات في المدرسة الغربية، وهي:

٨. عُنصر العلم والمعرفة.

٩. عُنصر القيادة وتحمل المسؤولية.

١٠. عُنصر المُتغيرات.

١١. عُنصر الصبر والثبات.

١٢. عُنصر العدل.

في الفصل القادم سنُحاول التعامل مع محطات رئيسة عند سيدنا علي رضي الله عنه ليس في سياق سرد الأحداث، ولكن عبر مُحاولة تحليل هذه المحطات من خلال رؤيتها وعلى أساس عناصر المُفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه.

الفصل الثالث

المحطات الرئيسة عند سيدنا علي رضي اللّه عنه وعناصره التفاوضية الاثنا عشر

المحطات الرئيسة عند سيدنا علي رضي اللّه عنه وعناصره التفاوضية الاثنا عشر

من المحطات الرئيسة في حياة سيدنا علي رضي الله عنه وهي كثيرة، اخترنا لغرض هذه الدراسة ثلاثاً منها:

أولاً: القصاص من قتلة سيدنا عُثمان بن عفان رضي الله عنه.

ثانياً: عزل الولاة.

ثالثاً: مفاوضات الرسائل.

سنُحاول في هذا الفصل الدخول في عملية الوصول إلى فهم دقيق للمُفاوضات التي أجراها سيدنا علي رضي الله عنه، والقرارات التي اتخذها، وآليات الحد من الضرر التي استخدمها وعمليات إدارة الأزمة في تعامله مع القضايا الرئيسة الواردة أعلاه.

كما قُلنا سلفاً الغرض من ذلك ليس سرد الأحداث بتسلسلها التاريخي، على الرغم من أهمية ذلك لكن الهدف الذي نسعى إلى تحقيقه هُنا هو تطبيق العناصر الاثني عشر (عناصر المُفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه)، على كل من هذه المحطات على حدة. على أنه يجب الانتباه إلى مسائل هامة منها أن النصوص التي وردت في كتاب «نهج البلاغة» ليست بالضرورة ملزمة، حيث إن ذلك الكتاب هو كتاب بلاغة أصلاً وليس حجة على التاريخ ولم يتم توثيق نقله عن علي. كذلك

فالمؤرخون قد يتأثرون بالواقع الذي يحكمهم، فالمؤرخون في زمن الأمويين يخالفهم المؤرخون في زمن العباسيين فيما يتعلق بالفتن. ولذا فإن كثيراً من الروايات التاريخية لا يجوز أخذها مسلمات ولو وردت في كتب المؤرخين ويجب إعمال العقل في هذه الروايات. علاوة على ذلك فإنه من القطعي أن القرآن تمت كتابته بالتواتر وأن الحديث قد تم تحقيقه من صحيح وحسن وضعيف، أما الروايات التاريخية فقد أوردها المؤرخون (بمن فيهم الطبري على جلالة قدره) كما وردتهم من قبيل الأمانة العلمية لكنه لم يتم لغاية الآن تحقيق الروايات التاريخية، خاصة تلك المتعلقة بالفتن.

أولاً: القصاص من قتلة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه

١. مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه ومبايعة سيدنا علي رضي الله عنه:

قُتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بطريقة وحشية. قُطعت يده وضُرب على رأسه، وطُعن في صدره وفي بطنه. حاول القتلة بعد ذلك قطع رأسه ولم يفعلوا بفعل تدخل وصراخ السيدة نائلة والسيدة أم البنين زوجتيه، وبناته رضي الله عنهن.

استشهد ذو النورين رضي الله عنه، زوج ابنتي رسول الله ﷺ، وثالث الخُلفاء الراشدين، والمُبشر بالجنة من الرسول ﷺ.

أحل هؤلاء القتلة دمه، وبعد ذلك أحلوا ماله، إذ نهبوا مُمتلكاته ولم يتركوا شيئاً في بيته.

وقعت هذه الجريمة النكراء يوم الجمعة ١٨ من ذي الحجة عام ٣٥ للهجرة. وتم دفنه في نفس ليلة قتله. بعد ذلك تم اقتحام بيت مال

المُسلمين والاستيلاء على أموال كثيرة.

القتلة كانوا معروفين ويتجولون بحرية. وعلى ذمة الروايات فإن بعض المعروفين بصلاحهم ممن انطلى الأمر عليهم فوقعوا في الفتنة. وقيل: إن أمير المدينة المنورة أثناء الفتنة الغافقي بن حرب، كان في الفتنة، وكان يُصلي الناس وراءه واستمر على هذا الوضع لعدة أيام بعد مقتل سيدنا عُثمان رضي الله عنه[١].

فالأوضاع كانت صعبة ومعقدة وأقل ما يُمكن القول فيها أنها حالة من الفوضى والفلتان، وانعدام الأمن، وتعدد السلطات.

في تاريخ الطبري هناك رواية عن سيدنا عُثمان رضي الله عنه، تقول: إنه سقط عن المنبر ونُقل إلى بيته مغشياً عليه. فدخل سيدنا علي رضي الله عنه على سيدنا عثمان رضي الله عنه وهو مغشي عليه، وبنو أمية حوله فقال سيدنا علي رضي الله عنه: «ما لك أمير المؤمنين؟».

فرد عليه من تواجد من بني أمية بصوت واحد:

«يا علي أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع بأمير المؤمنين. أما والله لئن بلغت الذي تريد لتمرن عليك الدنيا. فقام علي مغضباً». وفي هذه السنة قُتل عثُمان بن عفان رضي الله عنه[٢].

وهذه الرواية فيها نظر ويعارضها العقل السليم إذ كيف يعجز علي عن الرد المقنع على هذه التهمة؟ على أن هذه الرواية والتهمة تعارض

---

(١) الطبري، أبو جعفر بن محمد. تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك. «المُجلد الثاني». مصدر سبق ذكره. ص ٦٦١- ٦٦٢.

(٢) تحقيق: الخطيب، محب الدين لكتاب العواصم من القواصم للقاضي بكر بن العربي ص ١١٢. وانظر كذلك الطبري. ٥:١٧٠، ٥:١٣٠، ٥:١٥٥.

أصل التقوى عند علي، إلا أن تكون التهمة صدرت عن نفر لا يعول على قولهم في شيء.

وتفترض الرواية (وهي غير مثبتة) أن بني أمية كانوا يتهمون سيدنا علياً رضي الله عنه بالتآمر على سيدنا عُثمان رضي الله عنه قبل مقتله. وبالتالي فإن طبيعة ما وجهوه له من اتهام عندما قام بعيادة سيدنا عثمان رضي الله عنه بعد أن سقط عن المنبر، يُبين بما لا يدعُ مجالاً للشك أنهم وجهوا الاتهام بقتل سيدنا عُثمان رضي الله عنه، لسيدنا علي رضي الله عنه.

تُجمع كلُّ الروايات أن سيدنا علياً رضي الله عنه لم يسع وراء الخلافة، بل نستطيع القول إنه رفضها وكرر رفضها عندما عُرضت عليه أكثر من مرة.

كان سيدنا علي رضي الله عنه يُدرك تمام الإدراك معنى قول الرسول ﷺ: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الولاية، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها»[١].

فلم يكن سيدنا علي رضي الله عنه في يوم من الأيام ساعياً للولاية إذ قُتل عُثمان رضي الله عنه يوم ١٨ ذي الحجة وبويع سيدنا علي رضي الله عنه يوم ٢٥ من ذات الشهر أي بعد سبعة أيام من مقتل ودفن سيدنا عُثمان رضي الله عنه[٢]. اجتمع المهاجرون والأنصار وفيهم طلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام فجاؤوا إلى سيدنا علي رضي الله عنه وقالوا:

---

(١) صحيح البخاري ٨/١٠٦، وصحيح مسلم ٣/١٤٥٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٠١، إذ يقول الطبري: «بويع علي رضي الله عنه، يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة».

«يا أبا حسن، هلم نُبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم فمن اخترتم قد رضيتُ به، فقالوا: ما نختارُ غيرك».

فخرجوا وعادوا إليه أكثر من مرة إلى يوم ٢٥ ذي الحجة.

دخل المُهاجرون والأنصار عليه فقالوا: «إنه لا يصلح أمر الناس إلا بإمرة، وقد طال الأمر فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم، وإني قائلٌ لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم، وإلا فلا حاجة لي فيه. قالوا: ما قُلت من شيء قبلناه إن شاء الله».

فخرجوا إلى المسجد، حيث أراد سيدنا علي رضي الله عنه أن تكون البيعة علنية وفي بيت الله فصعد إلى المنبر وقال:

«إني كُنتُ كارهاً لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، إلا أن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد عليهم، وتمت البيعة»[(١)].

لقد تمت مُبايعة سيدنا امير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من المهاجرين والأنصار في ظروف صعبة ومُعقدة، وفي حالة فوضى وفلتان وتعدد سُلُطات وعصيان وتمرد ليس فقط على صعيد مكة والمدينة والجزيرة العربية، بل في مصر والشام والكوفة والبصرة، وأذربيجان وأصفهان، والأردن وفلسطين وغيرها.

كما أوردنا بتحفظ، كانت الاتهامات قد وُجهت لسيدنا علي رضي الله عنه من قبل بني أمية قبل مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه.

---

(١) لمزيد من المعلومات حول بيعة سيدنا علي رضي الله عنه انظر: المصدر السابق، ص ٦٩٥ـ ٧٠٠. انظر كذلك العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي تحقيق: الخطيب، مجد الدين، ص ١٤٢.

سيدنا علي رضي الله عنه صاحب نظرية في الولاية فهو يعلم حديث رسول اللهﷺ: «لا بدّ للناس من إمارة» كما أخرج الطبري. وورد بالمعنى نفسه في جامع الأحاديث للسيوطي[١].

ولقد وضع سيدنا علي رضي الله عنه كُل عناصر التواصل والمُفاوضات ووظفها لاتخاذ القرارات.

فالأساس هو مصلحة الأمة، وهذا يستند إلى الشرعية، التي تعني القرآن العظيم وسُنة رسوله. فعند سيدنا علي رضي الله عنه من حديث الرسول كما أسلفنا:

«لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق».

فطاعة الأمراء واجبة إلا في حالة خروج الأمراء عن طاعة الله.

لقد طرح سيدنا علي رضي الله عنه عُنصر البدائل، فهو يقول للمُهاجرين والأنصار: «أنا معكم فمن اخترتم قد رضيتُ به».

أي أن هُناك بدائل لديه رضي اللهُ عنه، وأن على المُهاجرين والأنصار دراسة البدائل له للخلافة. وهو سيرضى بما يختارون، وسيُبايع من يُبايعون.

في ذلك أوضح سيدنا علي رضي الله عنه، أنه خارج حدود الفتنة، والتحريض، التي أوصلت إلى قتل سيدنا عُثمان رضي الله عنه. فلماذا يكون جزءاً من هذه الفتنة وهو لا يرغب في الخلافة؟

في الوقت نفسه وظف سيدنا علي رضي الله عنه، عُنصر البدائل في حالة رفضه للخلافة. فهذا سوف يعني أن البديل سيتمثل بتعميق حالة التشرذم والفوضى والفلتان وبالتالي دمار الدولة الإسلامية داخلياً وخارجياً.

---

(١) ابن أبي شيبة في مصنفه ج ١٠/ ص١٤٩، حديث رقم ١٨٦٥٤.

عُنصر الالتزام عند سيدنا علي رضي الله عنه كان حافزاً في مُفاوضاته وقراراته. فهو يُدرك الالتزامات المُترتبة على أمير المؤمنين (الخليفة). فأراد أن يُذكر الناس بالتزاماتهم. لذلك أصرَّ على أن تتم بيعته ببيت الله وليس في بيته. وأرادها أن تكون علنية. حتى تكون التزامات الناس والتزاماته كأمير المؤمنين على أساس كتاب الله وسُنة رسوله. وأن تتم المُبايعة والقبول بشكل علني، وبذلك تكون الالتزامات قد تمت أيضاً بشكل علني.

سيدنا علي رضي الله عنه وظف عُنصر الخيارات مع عُنصر البدائل، فكان عليه أن يختار القبول بأن يكون أمير المؤمنين وهو غير راغب بذلك. إذ قال للناس يوم بيعته ومن على منبر المسجد:

«إني كُنتُ كارهاً لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم». أي أن خياره بالقبول كان مُستنداً إلى عناصر: المصلحة والشرعية والبدائل والالتزام. لاحظوا أن سيدنا علياً رضي الله عنه كان قد اختار عدم قبول البيعة. ثم اتخذ قراراً بقبول خيار البيعة بناءً على طلب الناس من ناحية، وعلى ركائز إيمانه بمصلحة الأمة. من الناحية الأخرى، على أساس شرعيتها المُتمثل بالقرآن الكريم وسُنة رسوله، ونظراً للبدائل الخطيرة لعدم القبول وعلى قاعدة الالتزام بشرعية الأمة ومصلحتها.

عُنصر العلاقات وعُنصر الاتصال، تم توظيفهما بطريقة عبقرية من قبل سيدنا علي رضي الله عنه في كل مراحل المُفاوضات.

فهو يُدرك أوضاع الأمة وحالة الفلتان والفوضى، ما يعني أن العلاقات مع الناس ستكون على أرضية توازنات قد لا تُرضي البعض.

أراد سيدنا علي رضي الله عنه أن يكون اتصاله مع الناس من بيت الله، وأن يكون بشكل علني، وذلك حتى يكون القبول بالحقوق والواجبات بينه وبين الناس على اختلاف توجهاتهم علنياً أيضاً.

وفي تحديد علاقاته مع الناس، أراد سيدنا علي رضي الله عنه وهو يوظف عُنصر الاتصال العلني من على منبر المسجد. إضافة إلى عناصر المصلحة والالتزام والعدل والشرعية. فهو وضع للناس شرطاً مُقابل قبول البيعة، إذ قال لهم وهو يتصل بهم من على منبر المسجد ومن خلال علاقات مُباشرة معهم، دون وسطاء:

«ألا إن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟ فأجابوه وعبر علاقات واتصال مُباشرين: «نعم فقال لهم: اللهم اشهد عليهم، ثم بايعهم على ذلك»[1].

لماذا هذا الشرط؟

أثناء الاتصالات والمُفاوضات مع المُهاجرين والأنصار بعد مقتل سيدنا عُثمان رضي الله عنه بينا كيف وظف سيدنا علي رضي الله عنه عناصر المصلحة والالتزام، الشرعية، البدائل، الخيارات، العلاقات والاتصال. لكن عندما وضع شرطاً على الناس بأن يكون على بيت مال المُسلمين، مع التزامه أنه سيقوم بعمله على أساس حدود الله. فإنه بذلك كان يوظف إضافة إلى العناصر السبعة: عُنصر القيادة وتحمل المسؤولية، وعُنصر الصبر والثبات، وعُنصر المُتغيرات، وعُنصر العلم والمعرفة، وعنصر العدل.

كان يقوم بذلك وهو مُتسلح بصفات المُفاوض. إذ كان واثقاً من وقوف نفسه تحت سقف شرعية كتاب الله وسُنة رسوله.

بهذا الشرط مارس قيادة فذة، إذ قال للناس: لن أسمح باستخدام مال المُسلمين إلا عبر شرع الله وسُنة رسوله.

---

(١) الطبري. ج ٥. ص ١٥٢ـ ١٥٣.

من يُريد مُبايعتي طمعاً في مكافأة مالية، فأنا أقول: ومن هذه اللحظة لن أمارس ذلك، فكل أمر سيكون على أساس عنصر العدل.

عُنصر المُتغيرات اختلط بعُنصر العلم والمعرفة. ويبدو أن سيدنا علياً رضي الله عنه على علم بحجم المُتغيرات الحاصلة في كل يوم بعد المُبايعة، بل في كل ساعة بعدها. إلا أنه قرر بصبر وثبات أن يحصل من الناس على التزام علني بذلك.

فهو خليفة ليس بناءً على رغبته أو طلبه، بل على أساس إرادة الناس. وهو خليفة لن يوظف عُنصر المال في شراء الذمم وهو خليفة يُدرك حجم المُتغيرات، ويعلم تمام المعرفة حجم ما يحمله المُستقبل من مخاطر كبيرة على الأمة. أعلن وهو يُمارس القيادة ويتحمل المسؤولية. أنه قبل مواجهة التحديات، وأن المواجهة سوف تكون استناداً لمصلحة الدولة الإسلامية التي ترتكز على أسس ومقومات حياتها وعلاقاتها على الشرعية المُحددة في كتاب الله وسُنة رسوله.

٢. مسألة القصاص من قتلة سيدنا عثمان رضي الله عنه:

بعد المُبايعة، وقف سيدنا علي رضي الله عنه على المنبر وأعلن قبوله لأن يكون أميراً للمؤمنين وقال:

«إن الله أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشر فخذوا الخير ودعوا الشر. الفرائض أدوها إلى الله سُبحانه يؤدكم إلى الجنة، إن الله حرم حرماً غير مجهولة، وفضل حُرمة المُسلم على الحُرم كلها، وشد بالإخلاص والتوحيد للمسلمين. والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق، ولا يحلُ أذى المُسلم إلا بما يجب. بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم الموتُ، فإن الناسُ أمامكم، وإن ما من خلفكم الساعة تحدوكم. تخففوا تلحقوا، فأينما ينتظر الناس أخراهم. اتقوا الله عباده في عباده وبلاده، إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عز وجل ولا

تعصوه، إذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه»[١]. واختتم قوله من كتاب الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيل مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْض﴾[٢].

الخيرُ والشرُ، الحق والواجب، الدُّنيا والآخرة، المسؤولية، الإخلاص، الحُرمات، عدم الاعتداء أو الإساءة لا باليد ولا باللسان، المُبادرة في أمر عامة الناس.

كل ما طرحه سيدنا علي رضي الله عنه ارتكز إلى الشرعية، كتاب الله عز وجل وسُنة رسوله.

لكن هُناك من جاء فوراً ليذكر سيدنا علياً رضي الله عنه، بأن إقامة القصاص جزء لا يتجزأ من الشرعية في كتاب الله عز وجل وسُنة رسوله.

القوة على الأرض كانت بيد المتمردين والقتلة، وهذا أمر يعلمه كل الناس بما فيهم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهما. ومع ذلك ما كاد سيدنا علي رضي الله عنه يعلن الانتهاء من خطبته وقبول بيعته كأمير المؤمنين ورابع الخُلفاء الراشدين، حتى دخل عليه طلحة والزبير (رضي الله عنهما) وقالا له بوصفه خليفة المُسلمين: «دمُ عثمان» يريدان من سيدنا علي رضي الله عنه أن يقتل من قتل عُثمان رضي الله عنه، بعد دقائق، وهو لا يزال في المسجد. وهذا الطلب بحد ذاته يدل على مدى حرصهما على الاقتصاص من قتلة أمير المؤمنين عُثمان ويتفق أيضاً مع الشرعية، كذلك يدل على معرفتهما الصريحة ببراءة علي من تهمة المُشاركة في قتل عثمان التي ادعى بعض المؤرخين أن بني أمية أخذوا بها.

---

(١) المصدر السابق. ص ٧٠١.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٣٣.

ردّ سيدنا علي رضي الله عنه عليهما (رضي الله عنهما):

«إنّ هؤلاء لهم مددٌ وأخشى إِن فعلنا ذلك بهم أن تنقلب علينا الدنيا»[١].

كان تفكير سيدنا علي رضي الله عنه التريّث والانتظار حتى يستطيع بناء ما يُمكنه من السيطرة على الأوضاع وامتلاك زمام الأمور. المسألة بالنسبة لسيدنا علي رضي الله عنه لم تكن حول إقامة القصاص، فلقد ردّ على طلحة والزبير رضي الله عنهما، وقال:

«يا إخوتاه إني لستُ أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم». وأضاف: «إنّ الناس من هذا الأمر إن حرك على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق، فاهدؤوا عني وانظروا ماذا يأتيكم، ثم عودوا»[٢].

لم يغيّر هذا الكلام من بني أميّة وتحديداً معاوية بن أبي سفيان، وكان عند ذلك والياً على الشام، واعتبر نفسه كونه من بني أمية ولي عُثمان رضي الله عنه.

رفض معاوية مُبايعة سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واشترط على أن يأخذ بثأر عُثمان رضي الله عنه، وأن يقتص من قاتليه. واعتبر عدم قيام سيدنا علي رضي الله عنه، بذلك بأنه تعطيل لكتاب الله وبالتالي لا تجوز ولايته. كان هذا هو اجتهاد معاوية، وكان يستخدم قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً

---

(١) لمزيد من المعلومات انظر: السرجاني، د. راغب، (٢٠٠٦)، مقتل عُثمان وفتنة أبدا. موقع قصة الإسلام. www.islamstory.com

(٢) تاريخ الطبري. مصدر سبق ذكره. ص ٧٠٢.

فَلا يُسْرِفَ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً﴾[١].

اجتهد معاوية، وصحيح أنه لم يطلب أن يُبايَع كخليفة أو أمير للمؤمنين، حيثُ اشترط قتل قتلة عثمان رضي الله عنه، وبعدها يقوم بمُبايعة سيدنا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

لكن الآية التي كان يستخدمها معاوية تُشير أنّ لولي المقتول الحق بأن يعفو عن القاتل، أو أن يأخذ له الأمير القصاص. فطالب الدم وإقامة الحد، إن لم يعف عليه أن يذهب إلى الحاكم بعد أن يكون قد بايعه أولاً، ثم يطلب القصاص منه. فكيف يتمنّع معاوية عن المُبايعة ثم يطلب القصاص من سيدنا علي رضي الله عنه وهو لم يُبايعه؟

كيف يقومون بمطالبة سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالعقوبة دون أن يُبايعوه ودون أن يُقرّوا أنه أميرهم؟ فالعقوبة في دين الإسلام لا تكون إلّا من ولي الأمر المُعترف له بإقامة الحدود.

إنّ عناصر: الشرعية والالتزام والمصلحة، والعلم والمعرفة، والقيادة والمتغيرات والصبر والثبات، وكل الخيارات والبدائل والعلاقات والاتصالات وما توفر لسيدنا علي رضي الله عنه من صفات القائد والمُفاوض، قد تمّ توظيفها جميعاً لجمع الأمّة وبدء مرحلة الإعداد والبناء للقضاء على الفوضى والفلتان وتعدد السُّلُطات.

كان على الذين طالبوا بدم سيدنا عُثمان رضي الله عنه، الإدراك بأنّ أقصر الطرق لتحقيق مُبتغاهم بإقامة الحد على قتلة سيدنا عُثمان رضي الله عنه، يتمثل بتأييد سيدنا علي رضي الله عنه.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٣.

وكان على معاوية مُبايعته وعدم عصيان أمره، حتى يستطيع الجميع، الإعداد والتحضير وبناء القوة المركزية القادرة على دحر الفوضى والفلتان وتعدد السُّلُطات وبذلك فقط، سوف يقيمون الحد على قتلة سيدنا عُثمان رضي الله عنه.

أمّا أن تصل الأمور إلى حدّ اتهام سيدنا علي رضي الله عنه بالتقصير في الاقتصاص من قتلة سيدنا عُثمان رضي الله عنه وترك البغاة دون عقاب، أو تعطيل أحكام الله في القصاص، وحتى التستّر على قتلته، فهذا أمر لا يجوز أصلاً.

ويقول الأستاذ الدكتور حكمت هلال:

أثبت القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه العواصم من القواصم أنّ الحسن والحسين وابن الزبير وابن عمر وعدداً كبيراً جداً من المهاجرين والأنصار وعددهم يزيد عن سبعمائة دخلوا بيت عثمان للدفاع عنه بالسيف إلا أن عثمان أمرهم جميعاً بالذهاب إلى بيوتهم ووضع سلاحهم[١]. وهذه الوقائع تثبت بلا شك أنّ علياً بذل الجهد في سبيل الدفاع عن عثمان. لكن عثمان كان حريصاً على نيل الشهادة بأن يقتل من قبل البغاة دون الدفاع عن النفس وجميع بني أميّة علموا بموقف علي والحسن والحسين في الدفاع عن عثمان والحرص عليه. ولا يسع أحداً من بني أمية ولا غيرهم اتّهام علي بقتل عثمان فلو قالوها لطالبوا بقتل علي نفسه. وإن مبايعة طلحة والزبير واضحة تدل على تبرئة علي من القتل. ولو اتّهم الأمويون علياً بالقتل لطالبوا بقتله دون وجل. وكما قال شاعر معاوية:

---

(١) راجع العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي، ص ١٤١. وراجع تاريخ الطبري ٥/ ١٢٧ في شرح موقف ابن عباس، كذلك ما أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ١٨١.

وما في علي لمستعتب مقال سوى ضمه الأندرينا
وإيوائه اليوم أهل الذنوب ورفع القصاص عن القاتلينا

هذا أقصى ما أخذه بعض بني أمية على علي من حيث رفع القصاص عن القاتلين، ونحن نبرئه أيضاً حتى من هذه التهمة. أما قول بعض المؤرخين أنّ بني أمية اتهموا علياً بالمشاركة في القتل فهذه تُهم ليس لها أصل ولم يقلها بنو أمية[١].

وقد ردّ سيدنا علي رضي اللّه عنه على كل ذلك بقوله:

«أولم ينه أمية علمُها بي عن قرفي، أو ما وزع الجُهال سابقتي عن تهمتي، ولما وعظهم اللّه به أبلغُ من لساني، أنا حجيج المارقين وخصيم المرتابين، وعلى كتاب اللّه تُعرض الأمثال، وبما في الصدور تُجازى العباد»[٢].

إنّ سيدنا علياً رضي اللّه عنه يُجيبُ كل هؤلاء باستخدام عناصر المصلحة، والشرعية والعدل والالتزام والقيادة والمسؤولية، والعلم، والصبر والثبات، ويُبين الخيارات، والبدائل، ويبدو التصميم على إقامة الاتصالات والعلاقات المُباشرة.

فهو يقول ألم يكن في علم بني أمية بحالي ومكانتي الدينية والتحرج من سفك الدماء بغير حق؟ ومع ذلك يحاولون «اتّهامي بالتفريط

---

(١) عند مراجعته للكتاب أكد الأستاذ الدكتور حكمت هلال عميد البحث العلمي في جامعة النجاح أن النقاش يجب ألّا يتطرق إلى اتهام سيدنا علي رضي الله عنه بقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه. فالتهمة التي أخذها عليه بعض بني أمية كانت التقصير. فوجدت من الضرورة اقتباس آرائه القيّمة.

(٢) نهج البلاغة، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٦.

بالاقتصاص» لمقتل عُثمان رضي الله عنه، وهم يعلمون أني كُنت معه قلباً وقالباً، شكلاً ومضموناً ولم أكن ضده.

ويُذكّرهم سيدنا علي رضي الله عنه بوجوب الاستناد إلى الشرعية، فهم بإطلاق الاتهامات الباطلة يكونون في منزلة من يأكل لحم الأخ ميتاً.

يُضيف سيدنا علي رضي الله عنه مُذكراً لصفاته وبمدى التزامه بالشرعية المُستندة إلى كتاب الله عزّ وجل وسُنّة رسولهﷺ فهو على الدوام من يواجه المارقين أي الخارجين عن الدين وكذلك الذين لا يقين لهم، وهو أفحمهم على الدوام بما استند إليه من شرعية دين الإسلام.

انظروا إلى قوله رضي الله عنه:

«وعلى كتاب الله تُعرض الأمثال».

أي أنّ الأعمال والحوادث تُعرض على القرآن العظيم، فهو أساس الشرعية في كل شيء عند سيدنا علي رضي الله عنه. فما وافقه فهو الحق المشروع، ويجب الالتزام به وما خالفه فهو الباطل الممنوع، أي عدم اتخاذه كخيارات وبدائل.

كان التزام أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه، بالشرعية، وعلمه ومعرفته، واستناده بذلك لنصرة مصالح الأمة، ورفضه لأي خيارات وبدائل، خارج حدود شرعية دين الإسلام.

كما روي عن عمر رضي الله عنه من وجوه أنه قال: «علي أقضانا وأبي أقرؤنا»[١].

---

(١) مرجع كتبه ربيع بن هادي عمير الداخلي، دراسة أقوال العلماء في حديث «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر». www.alnasiha.net/cms/node/728.

كيف يُمكن أن يكون سيدنا علي رضي الله عنه قاضياً مُميزاً في الأمّة عند رسول الله ﷺ وعند الصحابة، دون أن يكون قد تمكّن من جميع عناصره التي حدّدها للتواصل والمُفاوضات؟

وبطبيعة الحال سيكون على رأسها القيادة والمسؤولية، والعلم والمعرفة، وفهم المُتغيرات، وآثارها، والصبر والثبات، وتحديد المصالح، والاستناد إلى الشرعية وتكريس الالتزام، ومعرفة دقيقة للبدائل والخيارات وطرق الاتصال والعلاقات، وفوق هذا وذاك، صفات الإنسان العالم، القائد والمُفاوض وعلى رأسها التواضع والحكمة والشجاعة، والذي يستند إلى أساس عُنصر العدل.

كما لاحظنا فإنّ تعامل سيدنا علي رضي الله عنه، مع مسألة دم سيدنا عُثمان رضي الله عنه، وربط المُبايعة بقتل قتلته، كان تعاملاً علمياً بكل ما للكلمة من معنى مبنياً على فهمه للأحكام الشرعية.

فأساس التعامل كان الشرعية، المُتمثلة بكتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ وكما اتضح لنا بعد إخضاع المسألة للعناصر الاثني عشر لسيدنا علي رضي الله عنه، فإنّ طلب القصاص يتم من ولي الأمر (أمير المؤمنين) والسؤال كيف يُطلب القصاص دون مُبايعة أمير المؤمنين؟

مرة أخرى، أذكر أننا في هذا الكتاب لسنا بصدد إجراء مُحاكمات تاريخية عن حُقبة صعبة من تاريخنا كعرب ومُسلمين فنحن بصدد تحديد عناصر التواصل والمُفاوضات كما أسس لها سيدنا علي رضي الله عنه قبل مئات السنين من طرحها في المدارس الغربية.

ثانياً: عزل الولاة

في مسألة القصاص من قتلة سيدنا عُثمان رضي الله عنه، اتخذ سيدنا علي رضي الله عنه قراراً بوجوب التريّث والبدء بعملية إعادة البناء

والتنظيم، وذلك بهدف إنهاء الفوضى والفلتان وتكريس وحدانية السُّلطة وإنهاء كافة مظاهر تعدد السُّلُطات وفي الوقت نفسه، ومع إدراك سيدنا علي رضي الله عنه، لحالة الضُّعف التي تعيشها الدولة الإسلامية، قرر عزل مُعظم الولاة في خطوة إصلاح إداري شبه شامل. ومما لا شكّ فيه، فإنّ هذا القرار يُعتبر خطوة جريئة، ولكن السؤال الذي يُطرح:

لماذا لم يتريث سيدنا علي رضي الله عنه بهذا القرار، مثلما فعل بمسألة القصاص من قتلة سيدنا عثمان رضي الله عنه؟

فالمعيار هنا يتمثل بالقدرة وعدم توفر الإمكانات فكيف يتخذ قراراً بعزل الولاة ومنهم معاوية بن أبي سفيان مع معرفة سيدنا علي رضي الله عنه أنّ هذا القرار قد لا يُنفّذ؟

فلا يوجد لدى سيدنا علي رضي الله عنه قُدرة على تنفيذ قراره، ممّا سيؤدي إلى المزيد من العصيان والفلتان وتعدد السُّلُطات.

لقد تمّ توجيه النصائح لسيدنا علي رضي الله عنه بعدم الإقدام على عزل الولاة وخاصة معاوية، حتى يقوموا بمبايعته، وبعدها ينظر في أمور الولاة كل على حدة[١].

كان عبد الله بن العباس رضي الله عنه وكما ورد في تاريخ الطبري، في غاية الوضوح مع سيدنا علي رضي الله عنه إذ قال له: «إنك تعلم أنّ معاوية وأصحابه أهل دنيا، فمتى تثبتهم لا يبالوا بمن ولي هذا الأمر، وحين تعزلهم يقولوا: أخذ هذا الأمر بغير شورى، وهو قتل صاحبنا، ويؤلبون عليك فينتفض عليك أهل الشام وأهل العراق»[٢].

---

(١) لمزيد من المعلومات انظر: تاريخ الطبري. مصدر سبق ذكره، ص ٧٠٣.

(٢) المصدر السابق. ص ٧٠٣.

ردّ سيدنا علي رضي الله عنه على ابن العباس رضي الله عنه بقوله وأيضاً حسب ما ورد في تاريخ الطبري:

«الذي يلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمان فوالله لا أولي منهم أحداً أبداً، فإن أقبلوا فذلك خيرٌ لهم، وإن أدبروا بذلتُ لهم السيف»[١].

كان سيدنا علي رضي الله عنه حازماً حاسماً في قراره بعزل الولاة. فقرّر أن يُعيّن: سهل بن حنيف على الشام، وعبيد الله بن عباس على اليمن، وعُثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وقيس بن سعد على مصر.

سيدنا علي رضي الله عنه قرّر فعلاً عزل مُعاوية عن الشام، ويُعلى بن أمية عن اليمن، وعبد الله بن عامر بن كريز عن البصرة، وأبا موسى الأشعري عن الكوفة، وعبد الله بن سعد عن مصر[٢].

بالفعل، خرج سهل بن حنيف إلى الشام ولما وصل تبوك قابله عدد من أنصار مُعاوية فقالوا له: من أنت؟ قال: أمير، قالوا: على أي شيء؟ قال: على الشام، وكان ردّهم:

«إن كان عُثمان بعثك فأهلاً بك، وإن كان بعثك غيره فارجع! قال: أو ما سمعتم بالذي كان؟ قالوا: بلى، فرجع سهل بن حنيف إلى سيدنا علي رضي الله عنه ولم يكمل طريقه إلى الشام»[٣].

---

(١) لمزيد من المعلومات انظر: تاريخ الطبري، مصدر سابق، ص٧٠٣.

(٢) المصدر السابق. ص ٦٩٣.

(٣) لمزيد من المعلومات انظر: تاريخ الطبري. المجلد الثالث. مصدر سبق ذكره. ص ٤.

أمّا قيس بن سعد، فلقد وصل إلى مصر، فتفرّق أهل مصر إلى فريقين: فريق كانوا مع أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه، وفريق كانوا مع معاوية يقولون:

«إن قتل قتلة عُثمان رضي الله عنه سيفتح الطريق لنا لأداء البيعة».

أما عُثمان بن حنيف فلقد دخل البصرة، وانقسم الناس أيضاً. أما عمارة بن شهاب فلم يُسمح له بدخول الكوفة، وعاد إلى سيدنا علي رضي الله عنه، كما فعل سهل بن حنيف.

أما عبيد الله بن عباس، فلقد دخل اليمن التي خرج منها أميرها يُعلى بن أمية ومعه كل أموال الجباية[١].

عندما وصلت هذه الأخبار إلى سيدنا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال للناس:

«إنّ الذي كُنتُ أُحذركم منه قد وقع يا قوم، وإنّ الأمر الذي وقع لا يُدرك إلّا بإماتته، وإنها فتنة كالنار، كلما سعرت ازدادت واستنارت. وسأمسك الأمر ما استمسك فإذا لم أجد بُدّاً فآخر الدواء الكي»[٢].

ثالثاً: مفاوضات الرسائل

حاول سيدنا علي رضي الله عنه توظيف عناصر الشرعية والاتصال والعلاقات والبدائل، والخيارات، والالتزام والمصلحة، إضافة إلى عُنصري القيادة والمسؤولية والمتغيرات، ذلك أن اختار أسلوب إرسال مبعوثين إلى معاوية وإلى أبي موسى الأشعري.

كان رسول سيدنا علي رضي الله عنه إلى مُعاوية، الحجاج الأنصاري،

---

(١) لمزيد من المعلومات انظر: تاريخ الطبري. المجلد الثالث. مصدر سبق ذكره. ص ٤.

(٢) المصدر السابق. ص ٣ ـ ٤.

ورسوله إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما معبد الأسلمي.

أمّا أبو موسى الأشعري، فكتب إلى سيدنا علي رضي الله عنه بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم له.

وأمّا مع معاوية، فكانت المسألة مختلفة تماماً، فكتاب سيدنا علي رضي الله عنه له نصّ على:

«إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعُثمان على ما بايعوهم عليهم، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمُهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضىً، فإن خرج من أمرهم خارج بطعنٍ أو بدع ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه حتى على اتّباعه غير سبيل المؤمنين وولّاه الله ما تولى.

ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عُثمان، ولتعلمن أني كُنتُ في عُزلة إلّا أن تتجنى، فتجني ما بدا لك والسلام»[(١)].

لقد بدأت المُفاوضات الرسمية بين أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه، ومعاوية بهذه الرسالة، التي وكما قُلنا احتوت مُعظم عناصر المُفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه.

أ ـ فالرسالة تبدأ بعُنصر الشرعية، إذ تقول: «إنه بايعني القوم كما بايعوا أبا بكر وعمر وعُثمان». فالبيعة واجبة عليك وعلى كل المُسلمين فالقوم اجتمعوا وبايعوني وأصبحتُ أميراً للمؤمنين وإماماً لهم ولك.

---

(١) انظر: نهج البلاغة. مصدر سبق ذكره. ص ٤٢٧.

ب ـ تدعو الرسالة معاوية إلى الالتزام، إذ لا يوجد مُبرّر لعدم البيعة.

ت ـ تُذكّر الرسالة معاوية بمصلحة الأمة المُتمثّلة، بعدم الخروج عن كتاب اللّه عزّ وجل وسُنّة رسوله.

ث ـ تحثُّ الرسالة معاوية للاحتكام للمسؤولية، والمعرفة، والابتعاد عن الأهواء والمصالح الشخصية، وتقول: إنّ بديل قبول البيعة سيكون القتال والحرب، وأن لا خيارات أخرى، فإمّا البيعة أو الحرب.

ج ـ سيدنا علي رضي اللّه عنه بهذه الرسالة يؤكد لمعاوية، أن لا يختلف معه في وجوب القصاص من قتلة سيدنا عُثمان رضي اللّه عنه، ويؤكد بأنّه «أبرأ الناس من دم عُثمان» كما تقول الرسالة، وأنّ كل ما يُشاع حول ذلك هو تجنٍّ وباطل، وبالتالي لا مصلحة لمُعاوية بعدم البيعة، لأنّ الأمور كافة عند سيدنا علي رضي اللّه عنه تستند إلى عُنصر العدل.

ح ـ اختار سيدنا علي رضي اللّه عنه عُنصر الاتصال عبر الرسائل وحرص من خلال مضمون الرسالة أن يكون عُنصر الشرعية هو نقطة الارتكاز في العلاقات بين سيدنا علي رضي اللّه عنه ومُعاوية.

معاوية قرأ الرسالة بإمعان وقرّر عدم الرد كتابة، أراد التفاوض بطريقة أخرى إذ أرسل مبعوثاً إلى سيدنا علي رضي اللّه عنه دون أن يُحمله رداً مكتوباً. وفي تاريخ الطبري هُناك وصف دقيق لما جرى بين سيدنا علي رضي اللّه عنه ومبعوث مُعاوية.

مبعوث مُعاوية يسأل سيدنا علياً رضي الله عنه: «آمن أنا؟» فيرد سيدنا علي رضي الله عنه: «نعم إنّ الرسل آمنة لا تقتل».

فيقول المبعوث:

«وتركت ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عُثمان وهو منصوب لهم، قد ألبسوه منبر دمشق». فردّ سيدنا علي رضي الله عنه:

«مني يطلبون دم عُثمان؟ اللهمّ إني أبرأ إليك من دم عُثمان، نجا والله قتلة عُثمان إلا أن يشاء الله فإنّه إن أراد أمراً أصابه»، وطلب سيدنا علي رضي الله عنه من مبعوث معاوية أن يخرج من مجلسه إذ قال له:

«اخرج»، فرد المبعوث:«وأنا آمن؟ فقال له: وأنت آمن»[١].

كان واضحاً من طريقة ردّ مُعاوية أنّ المواجهة العسكرية قادمة لا محالة. والسؤال هنا: لماذا إذاً قرّر سيدنا علي رضي الله عنه عزله، دون امتلاك القوة لتنفيذ ذلك؟»

المسألة هُنا لا تتعلق بحق أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه بعزلهم وتعيينهم، فهذا حقّه بل فإنّ سيدنا علياً رضي الله عنه كان قد أشار على سيدنا عُثمان رضي الله عنه بعزل مُعاوية، أكثر من مرة. فكيف لا يقوم بعزله وقد أصبح أميراً للمؤمنين؟

سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام بعزل خالد بن الوليد والمُثنى بن الحارثة رضي الله عنهما وهما قائدان كبيران. وكذلك فعل سيدنا عُثمان رضي الله عنه عندما عزل عمرو بن العاص رضي الله عنه عن ولاية مصر والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن ولاية الكوفة.

---

(١) لمزيد من المعلومات انظر: تاريخ الطبري. المجلد الثالث. مصدر سبق ذكره. ص ٤.

نُدرك أن للخلفاء ظروفهم واعتباراتهم وخياراتهم وهذا كما قلتُ حقهم ولا يشكّ أحداً من الولاة الذين عيّنهم سيدنا علي رضي الله عنه هم من كبار الصحابة ولهم فضل في الإسلام: «سهل بن حنيف، قيس بن سعد بن عُبادة، وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب»، وغيرهم.

نحن لا نُناقش في كل ذلك، نحن نُحاول تحليل عناصر اتخاذ قرار سيدنا علي رضي الله عنه بعزل مُعاوية، رغم إدراكه، بأنّ ذلك قد يقود إلى مواجهة عسكرية.

رابعاً: عناصر سيدنا علي رضي الله عنه في عزل مُعاوية

في نهج البلاغة يقول الشريف الرضي بأنّ سيدنا علياً رضي الله عنه، كان قد أشار على سيدنا عُثمان رضي الله عنه بعزل مُعاوية أكثر من مرة[١].

ما كان لسيدنا علي رضي الله عنه أن يطلب عزل مُعاوية، إلاّ بناءً على أسس شرعية (كتاب الله وسُنّة رسوله)، وبذلك وجب حسب معايير سيدنا علي رضي الله عنه عزله.

ففي نظر سيدنا علي رضي الله عنه، فإنّ معاوية ربما كان يستخدم ويستغل منصبه لتعزيز نفوذه وبقائه واستمرار ذلك لأولاده.

من هُنا فإنّ مُعاوية وبالنسبة لأمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه، كان قد خرج عن عناصر الشرعية والالتزام والمصلحة. واستبدلها بعناصر المنافع الدنيوية والشخصية.

ومما أكّد ذلك عند سيدنا علي رضي الله عنه أنّ مُعاوية رفض

---

(١) لمزيد من المعلومات انظر: الرضي، الشريف، نهج البلاغة. مصدر سبق ذكره. ص٤٣.

مُبايعته، مُتذرعاً بدم عُثمان رضي الله عنه. وهذا أيضاً خروج عن عناصر المصلحة والشرعية الالتزام حسب فهم علي، حيث إن القصاص لا يُطلب إلا من أمير المؤمنين، ولا يمكن طلب القصاص قبل المُبايعة. وبالتالي فإنّ سيدنا علياً رضي الله عنه قد استنتج أنّ المواجهة العسكرية مع مُعاوية قادمة لا محالة.

فالمسألة عند مُعاوية، كانت استمرار حكمه وولايته وملكه، وكان يُدرك أنّ استقرار الأمور سيعني في نهاية المطاف عزله. وبالتالي فإنّ استقرار الأمور وتثبيت الأمن، وإنهاء الفوضى والفلتان لم تكن من عناصر المصلحة عند مُعاوية.

سيدنا علي رضي الله عنه، كان يُريد القصاص من قتلة سيدنا عُثمان رضي الله عنه. وكان يرى ذلك من خلال تجميع الصفوف والانتصار للشرعية والالتزام والمصلحة والعلاقات والخيارات والبدائل والاتصال، إضافة إلى عناصر القيادة والمسؤولية والمعرفة والعلم، والمُتغيرات، والصبر والثبات والعدل، ومعها صفات سيدنا علي رضي الله عنه كقائد ومُفاوض.

فمُبايعة مُعاوية ووقوف بني أميّة معه كان سيُعجّل في إنهاء حالة الفوضى والفلتان، وبالتالي البناء القادر على إقامة القصاص . من هُنا جاء قول سيدنا علي رضي الله عنه عندما أدرك رد مُعاوية برفض رسالته:

«نجا والله قتلةُ عُثمان»[١].

عرف سيدنا علي رضي الله عنه أنّ الحرب قادمة لا محالة، من هُنا يكون قراره بعزل مُعاوية، ليس من اعتبار التريّث أو عدمه وربط ذلك

---

(١) تاريخ الطبري. مصدر سبق ذكره. ص ٤.

بالقدرة على التنفيذ، إنما يكون القرار على أساس توظيفه عُنصر المُتغيرات من ناحية وعُنصر العلم والمعرفة والقيادة والمسؤولية والعدل من الناحية الأخرى.

أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه، كان على ما يبدو يعلم علم اليقين ما يُريده مُعاوية.

ويُدرك نتيجة لذلك حجم ما سوف يحمله هذا الموقف على المستقبل والمُتغيرات، لذلك لم يكن أمامه من خيارات غير الارتكاز لشرعية كتاب الله وسُنّة رسوله، وإثبات صفاته على تحمل القيادة والمسؤولية دون تردد ودون أي حسابات ضيقة.

في حين كان قراره بالتريّث بالقصاص من قتلة سيدنا عثمان رضي الله عنه، يستند إلى عُنصر الصبر والثبات، وذلك حتى يتم بناء القُدُرات، وربما أيضاً بسبب عدم قدرته على تنفيذ القصاص منهم ونفاذهم إلى معسكره.

قراره بعزل الولاة كان على قاعدة ما قاله لعبد الله بن عباس رضي الله عنه:

«الذي يلزمني من الحق والمعرفة بعمال عُثمان، فوالله لا أُولي منهم أحداً أبداً، فإن أقبلوا فذلك خيرٌ لهم، وإن أدبروا بذلتُ لهم السيف»[(١)].

لا خيارات، إما الامتثال للشرعية وإما فالبديل هو السيف. لا إمكانية لأرضية مُشتركة بين سيدنا علي رضي الله عنه ومُعاوية. وبالتالي فإنّ

(١) انظر: تاريخ الطبري. المجلد الثاني. ص ٧٠٣.

(٢) أفضل بديل لعدم إمكانية التوصل إلى اتفاق عبر التفاوض.
BATNA: Best alternative to a negotiated agreement

أفضل خيار لهما (BATNA)[١]، خارج إطار الاتفاق يتمثل بالاستناد إلى عُنصر القيادة والمسؤولية والصبر والثبات والعدل، كل على موقفه. أي أنّ المواجهة العسكرية كانت قادمة لا محالة، وهذا ما كان، بعد أن انهارت مُفاوضات الرسائل، وكان «آخر الدواء الكي»، كما قال سيدنا علي رضي الله عنه.

خامساً: سيدنا علي رضي الله عنه وإدارة الفتنة والمفاوضات مع معاوية

١ـ موقعة الجمل:

موقعة الجمل هي معركة دارت في البصرة عام ٣٦ هجري، بين قوات سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبين جيش يقوده الصحابيان الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ومعهما السيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم، وكانت تجلس في هودج من حديد على ظهر جمل وسُميت الموقعة نسبة لهذا الجمل[٢].

في تاريخ الطبري يورد أنّ السيدة عائشة رضي الله عنها وعندما سمعت خبر قتل سيدنا عُثمان رضي الله عنه قالت:

«وردني أنّ عُثمان قُتل مظلوماً، وأنّ الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء آمر، فاطلبوا بدم عُثمان تعزوا الإسلام»[٣].

مشهد صعب جداً، صحابة رسول الله ﷺ، الزبير ابن العوام وطلحة

---

(١) لمزيد من المعلومات انظر: السرجاني، د. راغب، (٢٠٠٦)، موقعة الجمل. قصة موقع الإسلام. (Islam.Story.com ويروى أنّ اسم الجمل كان عسكر).

(٢) لمزيد من المعلومات انظر: تاريخ الطبري. المجلد الثالث. مصدر سبق ذكره. ص.ص ٦٩ـ ٧٠.

ابن عبيد الله، وعبد الله بن الزبير، رضي الله عنهم، يجتمعون عند السيدة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها ومعهم يُعلى بن أمية والي اليمن المعزول، وعبد الله بن عامر والي سيدنا عثمان رضي الله عنه المعزول عن البصرة.

اتفقوا جميعاً على مُغادرة مكة إلى البصرة وحول التجهيز والتمويل، قال يُعلى بن أمية الذي عُزل عن اليمن وخرج منها ومعه كل أموال الجباية:

«معي ستمائة ألف وستمائة بعير فاركبوها» عندها أعلن أنّ أم المؤمنين السيدة عائشة وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم سوف يتوجهون إلى البصرة».

ونادى المُنادي: «إنّ أمّ المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن كان يُريد إعزاز الإسلام وقتال المجلبين والطلب بثأر عُثمان ومن لم يكن عنده مركب ولم يكن له جهاز فهذا جهاز وهذه نفقة»[١].

إذاً المواجهة العسكرية الأولى أصبحت محتملة بين جيشين من المُسلمين فكيف انزلقت الأمور إلى هذا الحد؟ ولماذا لم يتمكن سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والسيدة أم المؤمنين عائشة ومعها عدد لا بأس به من صحابة رسول الله ﷺ (رضي الله عنهم) من تدارك الأمور ومنعها من الوصول إلى المواجهة العسكرية؟

٢ ـ مواقف سيدنا علي رضي الله عنه:

عندما سمع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بتطورات الأحداث،

---

(١) الطبري (٣ : ٧٩).

وخروج السيدة عائشة رضي الله عنها على رأس جيش باتجاه البصرة، خرج لاعتراض هذا الجيش وردّه، فلم يتمكن.

لسنا هنا بصدد سرد ما دار قبل وخلال وبعد معركة الجمل، فالهدف من هذه الدراسة هو تبيان توظيف سيدنا علي رضي الله عنه لعناصره الاثني عشر في إدارة الأزمة والمُفاوضات، ولماذا لم يتمكن من منع المواجهة؟

كتاب نهج البلاغة، يسرد عدداً من مُراسلات وخطب سيدنا علي رضي الله عنه قبل معركة الجمل.

حيث أرسل عبدالله بن عباس رضي الله عنه إلى الزبير بن العوام رضي الله عنه يطلب منه العودة إلى طاعته.

يقول سيدنا علي رضي الله عنه لمبعوثه عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

«لا تلقين طلحة إن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه، يركب الصعب ويقول هو الذلول»[(١)]، ولكن القَ الزبير فإنه ألين عريكة، فقل له يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز وأنكرتني في العراق فما عدا مما بدا»[(٢)].

سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول لعبد الله بن عباس، لا تتحدث مع طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، ويصفه بأنه مُتغطرس ومتكبر، ويُعطي تعليماته له بأن يتحدث مع الزبير بن العوام رضي الله

---

(١) في إشارة إلى طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، ويصفه بالمُتغطرس المُتكبر الذي يدّعي ركوب الصعاب ويزعم أنه ذلول سهل.

(٢) العريكة تعني الطبيعة، وعدا ما بدا: تعني ما الذي حرفك عمّا بدا وظهر منك؟. الشريف، الرضي، نهج البلاغة. مصدر سبق ذكره. ص ١٠٥.

عنه، صاحب الطبيعة اللينة، وليسأله كيف تُبايعني في الحجاز وتُحاربني في العراق؟

إنها مُحاولة من سيدنا رضي الله عنه لمنع المواجهة العسكرية، وذلك عبر عُنصر الاتصال مع من يعتقد أنه يستطيع التأثير عليهم من خلال عُنصر العلاقات، والتي يتوجب أن تكون على أساس عُنصر الالتزام وعنصر الشرعية.

ويستخدم سيدنا علي رضي الله عنه عُنصر القيادة والمسؤولية والمعرفة والعلم، في مُخاطبة الزبير بن العوام، وتجنب الحديث مع طلحة ابن عبيد الله رضي الله عنهما.

لقد خاطب سيدنا علي رضي الله عنه الناس قبل معركة الجمل وقال:

«إنّ الله بعث مُحمداًﷺ وآله وليس أحدٌ من العرب يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوّة، فساق الناس حتى بوّأهم محلتهم وبلّغهم منجاتهم. إني كنتُ لفي ساقتها حتى تولت بحذافيرها ما ضعفت ولا جبنت وإنّ مسيري هذا لمثلها، فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه، ما لي ولقُريش، والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنهم مفتونين، وإني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم»[١].

سيدنا علي رضي الله عنه يضع في خطبته نقطة ارتكاز تتمثل بعُنصر الشرعية.

فدينُ الإسلام هو منزل المُسلمين يسكنون فيه ويأمنون. وكانوا قد ضلّوا فأرشدهم إلى الحق، ونجوا بذلك من المهالك، واستقرت بدين

---

(١) المصدر السابق. ص. ص ١٠٨ـ ١٠٩.

الإسلام أوضاع المُسلمين واستقامت أحوالهم.

ويؤكد سيدنا علي رضي الله عنه أن يسير إلى الجهاد في سبيل الله، فهو يسعى لهزيمة الباطل وإظهار الحق.

التصميم والحزم والقيادة والمسؤولية والصبر والثبات والعدل عند سيدنا علي رضي الله عنه، وصل إلى وضع لم يعد بالإمكان الحديث عنده عن الأرضية المُشتركة فهو يقول:

«ما لي ولقُريش والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنّهم مفتونين». لقد قطعت الأمور النقطة الحرجة، ولن تستقيم إلا بالقتال».

من الذين أدركوا أنّ الأمور قد تجاوزت النقطة الحرجة وأنّ المواجهة العسكرية قادمة لا محالة، كان سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه، ففي تاريخ الطبري، يرد سرد قدوم سيدنا الحسن إلى سيدنا علي رضي الله عنهما وقوله له قبل موقعة الجمل:

«قد أمرتك فعصيتني، فستُقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك». فقال علي: «إنك لا تزال تخن خنين الجارية! وما الذي أمرتني فعصيتُك؟ قال: أمرتك يوم أُحيط عثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيُقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قُتل ألا تُبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفسادُ كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله».

فردّ عليه سيدنا علي رضي الله عنه:

«أي بني، حتى تأتي بيعة الأمصار، فإنّ الأمر أمرُ أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر. وأما قولك حين خرج طلحة والزبير، فإنّ ذلك كان وهناً على أهل الإسلام، ووالله ما زلتُ مقهوراً مُذ وليت،

منقوصاً لا أصلُ إلى شيء مما ينبغي. وأما قولك: اجلس في بيتك، فكيف لي بما قد لزمني؟ أو من يُريدني؟ أتُريدُ أن أكون مثل الضبع التي يُحاط بها ويُقال دباب، دُباب؟ ليست هاهنا متى يحل عرقوباها ثم تخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه؟ فكيف عنك، أي بني»[١].

واضح أنّ استنتاج سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه، كان يتمثل بأن لا يكون والده سيدنا علي رضي الله عنه طرفاً في الفتنة، أي قتال المُسلمين بعضهم بعضاً. فهو طلب من سيدنا علي رضي الله عنه:

أ ـ الخروج من المدينة عندما حوصر سيدنا عُثمان رضي الله عنه. وإن قُتل يكون سيدنا علي رضي الله عنه غير موجود.

ب ـ طلب أيضاً ألّا يقبل البيعة حتى يُبايع الجميع، أهل الأمصار والعرب وكل مصر.

ت ـ وينصح سيدنا الحسن رضي الله عنه بعدم الخلاف وبالمُصالحة مع الزبير وطلحة رضي الله عنهما.

واضح أنّ سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه، أدرك تماماً اتجاه الأمور، وأنّه تمّ تجاوز النقطة الحرجة، وأنّ القتال بين المُسلمين حاصل لا محالة، فأراد أن لا يكون سيدنا علي رضي الله عنه طرفاً فيه، مُدركاً أيضاً أنه لا يستطيع تأجيل أو وقف الفتنة.

من جانبه لم يُخالف سيدنا علي رضي الله عنه استنتاج سيدنا الحسن رضي الله عنه، بأنّ المواجهة العسكرية قادمة لا محالة ولكنه ردّ

---

(١) الطبري، أبو جعفر بن جرير. تاريخ الطبري. تاريخ الأمم والممالك. المجلد الثالث. مصدر سبق ذكره. ص. ص ١٠ـ ١١.

عليه بمجموعة من عناصره الاثني عشر:

أ ـ لا يمكن للقائد الهرب (عُنصر القيادة والمسؤولية).

ب ـ أنّ حصار سيدنا عُثمان رضي الله عنه هو حصار لنا أيضاً. عناصر الالتزام، والشرعية والعلاقات والاتصال.

ت ـ يوظف سيدنا علي رضي الله عنه عُنصري الخيارات والبدائل. فالبيعة واجبة الاتّباع، (ولا بد من أمير) ولا خيار آخر، فالبدائل ستكون الفوضى والفلتان وإراقة الدماء.

ث ـ يتحدث سيدنا علي رضي الله عنه في ردّه على سيدنا الحسن رضي الله عنه علمه ومعرفته، لما لحق بدين الإسلام من وهن نتيجةً للانقسام والفتنة، وأنه لم يكن يستطيع وقف هذا النزيف.

ج ـ عُنصر مصلحة الدولة الإسلامية، كان بالنسبة لسيدنا علي رضي الله عنه مُرتبطاً بعُنصر الشرعية.

ح ـ «وها أنا ذا قد ذرفت على السنين، ولكن لا أمر لمن لا يُطاع، ما زلت مقهوراً منذ وليت، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي»[١].

هكذا يُقرّ سيدنا علي رضي الله عنه وضعه أي صراحة وأي شفافية وأي مسؤولية وقيادة أكثر من هذا القول؟

إنّ أمير المؤمنين سيدنا علياً رضي الله عنه، يُقرّ بأوضاعه، بدقّة وموضوعية وصدق مُشدّداً على استناده إلى عناصر الصبر والثبات والعدالة، والمُتغيرات.

لم يكن القتال خياراً لسيدنا علي رضي الله عنه، فكل الدلائل التي

---

(١) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٤.

أوردناها في آليات إدارة الصراع والمُفاوضات تؤكد أنّه وظّف كافة عناصره الاثني عشر للحد من الضرر. كان يعرف علم المعرفة، بأنّ المواجهة العسكرية حتمية. كان هُناك خيار طرحه سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه بالابتعاد والاعتزال. ولكن سيدنا علياً رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين وخليفتهم، يُقرّ بأنه مقهور، وأنّ فعله منقوص، وفي الوقت نفسه يُصرّ على الارتكاز إلى مصلحة الدولة الإسلامية المُتمثّلة بالشرعية (كتاب الله وسُنّة رسوله)، وعلى العدل ولا خيارات ولا بدائل، سوى إجراء الاتصال وإقامة العلاقات بين الناس خصوماً وأنصاراً على هذه الأسس حتى في الوقت الذي أضعف المفسدون في معسكره مواقفه كما يرى بعض العلماء.

٣ـ بعد معركة الجمل:

اندلعت موقعة الجمل عام ٣٦ هجري، الموافق ٦٥٦ ميلادي. عمّت الفتنة واشتدّ القتال بين صحابة رسول الله ﷺ رضي الله عنهم، ويُقتل الزبير وطلحة رضي الله عنهما، ومعهما عشرة آلاف مُسلم، خمسة آلاف من جيش سيدنا علي رضي الله عنه، وخمسة آلاف من جيش السيدة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنهما.

في معارك القادسية، واليرموك والجسر مع الفرس والروم قُتل من المسلمين حوالي ١٥ ألف شهيد وفي معركة الجمل بين المسلمين يُقتل عشرة آلاف[١].

إنها طبيعة الحروب الأهلية فهي الأشدُّ بلاءً، والأكثر عُنفاً، تختلط فيها الأمور إلى درجة يُصاب كل من فيها بالعمى السياسي. ففيها يُبرّر

---

(١) وردت هذه الأرقام من السرجاني. د. راغب، موقعة الجمل. الفتنة الكبرى. مصدر سبق ذكره. ص١٥.

ما لا يُمكن تبريره، من قتل الأخ لأخيه والجار لجاره والصديق لصديقه وحتى الزوج لزوجته وأحياناً الابن لأبيه والأستاذ لتلميذه.

عسكرياً كان النصر لجيش سيدنا علي رضي الله عنه، وسقط هودج السيدة أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن الجمل، وأمر سيدنا علي رضي الله عنه أن تُنصب على الهودج خيمة حتى يحفظ سترها رضي الله عنها.

أي مشهد عندما كان أول من جاء إليها أخوها محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما، فسألها إن كانت قد أُصيبت بجرح؟ فردّت عليه: «لا، وما أنت بذاك»[١].

انظر كيف كانت العلاقة بين الأخ وأخته، وهذا ما قصدناه عندما تحدثنا عن قسوة الحرب الأهلية. كانت السيدة عائشة رضي الله عنها غير راضية عن أخيها لما فعله مع سيدنا عُثمان رضي الله عنه حسب قول الرواة ولكونه يُحارب في جيش أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه.

هكذا كان حال المُسلمين في معركة الجمل وما بعدها. سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قام بتفقد قتلى الجانبين، وكانت لحظات عصيبة ومؤلمة وقاسية عليه. وعندما رفض أن يوزّع الغنائم، سأل:

«ما يُحل لنا دماؤهم، ويحرّم علينا أموالهم».

فردّ أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه:

«القوم أمثالكم، من صفح عنّا فهو منّا، ونحن منه»[٢].

---

(١) المصدر السابق. ص ٨.

(٢) تاريخ الطبري. المجلد الثالث. مصدر سبق ذكره. ص ٥٩.

حتى بعد الانتصار، سيدنا علي رضي الله عنه، يتسلّح بعُنصر الشرعية والالتزام والعلاقات والاتصال والصبر والثبات والمُتغيرات والقيادة والمسؤولية، والعلم والمعرفة والعدل. وهو يُوظف خياراته ويُدرك البدائل، ويعرف أنّ مصلحة الدولة الإسلامية تتطلب الوحدة وإنهاء الفتنة.

لاحظ قوله رضي الله عنه: «من صفح عنّا»، أي من استطاع تجاوز ما أصابه من أذىً في معركة الجمل، فهو منّا، ونحن منه، مصالحنا وشرعيتنا والتزامنا وعلاقاتنا وخياراتنا وبدائلنا واحدة. وسنكون على الدوام أبناء دين الإسلام، اتصالاتنا متواصلة، وكذلك الحال لعلمنا ومعرفتنا لمسؤوليتنا وما تحمله المتغيرات من مخاطر علينا إن استمرت الأوضاع على ما هي عليه.

٤ـ مُفاوضات صفين:

سيدنا علي رضي الله عنه وكما وصف نفسه مقهوراً لاستمرار الفتنة، منقوصاً لعدم قُدرته على تحقيق مُبتغاه بوأد الفتنة وتوحيد صفوف المُسلمين وجمع كلمتهم ومن جانب آخر وجود كثير من المفسدين في معسكره.

لا زال الصراع مُستمراً، فبعد موقعة الجمل، كان معاوية لا زال يرفض قرار العزل، ويُصرّ على عدم القيام بالبيعة إلّا بعد قتل قتلة سيدنا عثمان رضي الله عنه.

مرة أخرى يوظّف سيدنا علي رضي الله عنه عناصر الاتصال والمصلحة والعلاقات والشرعية والالتزام، والخيارات والبدائل، والمتغيرات، والقيادة والمسؤولية والصبر، والعدل، والعلم والمعرفة، في مُحاولة لإجراء مُفاوضات جادة مع معاوية، وذلك بهدف تجنّب سفك الدماء بين المسلمين، وحتى لا تتكرر مأساة معركة الجمل.

سيدنا علي رضي الله عنه، وبعد معركة الجمل، يُحاول إدارة الصراع عبر مُفاوضات يحاول من خلالها الوصول إلى أرضية مشتركة ارتكازاً للشرعية والالتزام والمصلحة. لم يُمارس سيدنا علي رضي الله عنه لغة المُنتصر، فهو لم يعتبر ما حدث في موقعة الجمل انتصاراً، بل مأساة للمُسلمين، وأجمل ذلك بالقول لكل من كان في جيش السيدة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها: «من صفح عنّا، فهو منّا، ونحن منه»[١].

باختصار سيدنا علي رضي الله عنه لا يُريد مواجهة عسكرية أخرى بين المسلمين، وهو كما سوف نرى سيوظف جميع عناصره الاثني عشر في مُفاوضاته مع مُعاوية للوصول إلى هذه الأرضية المُشتركة.

وهو بذلك يُعطي مُعاوية فُرصة أخرى، ليوافق على أنّ الأرضية المُشتركة بينهما يجب أن تستند إلى الشرعية والالتزام بكتاب الله وسُنّة رسوله.

بعد موقعة الجمل، بايع أهل البصرة سيدنا علياً رضي الله عنه، وولّى عليهما عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وتوجه من البصرة إلى الكوفة حيثُ استقرّت الأمور له. وولّى على مصر محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما، وتمّت له البيعة. وكذلك تمّت المُبايعة لسيدنا علي رضي الله عنه في همدان وأذربيجان.

العراق بما فيها البصرة والكوفة، ومصر، وما بينهما من البلاد، وكذلك المدينة المنورة ومكة واليمن، أصبحت جميعها تحت إمرة سيدنا علي رضي الله عنه، باستثناء الشام، وهي الإمارة الوحيدة في الدولة

---

(١) تاريخ الطبري. ج٣. انترنت. ص ٥٤٥.

الإسلامية التي بقيت خارج ولاية سيدنا علي رضي الله عنه ورفضت مُبايعته في ذلك الوقت.

سيدنا علي رضي الله عنه، وبعد موقعة الجمل مُباشرة بعث جرير ابن عبد الله رضي الله عنه إلى مُعاوية، وعرض عليه أن يُبايع أمير المؤمنين الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لجمع كلمة المسلمين وتجنباً للحرب، وحفاظاً على دماء المسلمين ومصالحهم.

كان مُعظم من يقفون مع سيدنا علي رضي الله عنه يعرفون سلفاً كيف سيكون ردّ معاوية، وأجابهم سيدنا علي رضي الله عنه أنّ خياره الأول يتمثل باستخدام عناصر الاتصال، والعلاقات بطلب من أهل الشام مُبايعته والدخول في طاعته، وفقاً لقواعد الشرعية والالتزام، لأنّ مصلحة المُسلمين، تكمن في ذلك، فالبديل هو إراقة المزيد من دماء المُسلمين. ويطلب سيدنا علي رضي الله عنه من جميع الناس الذين معه، وبما عُرف عنه من علم وقيادة ومسؤولية وصبر وثبات وعدل وإدراك لما تحمله الأيام من مُتغيّرات ستحمل في طيّاتها دمار الدولة الإسلامية، إن لم يتمكن من درء الفتنة وإنهاء الصراع، التريُّث والصبر والتأني.

وقد قال سيدنا علي رضي الله عنه لكل من تساءل حول جدوى قيامه بإرسال جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية:

«إنّ استعدادي لحرب أهل الشام وجرير عندهم إغلاق للشام وصرف لأهله عن خير إن أرادوه، ولكن قد وقّت لجرير وقتاً لا يقيم بعده إلا مخدوعاً أو عاصياً، والرأي عندي حقاً الأناة. فأرودوا ولا أكره لكم الأعداد لقد ضربتُ أنف هذا الأمر وعينه، وقلبتُ ظهره وبطنه فلم أرَ إلا

القتال أو الكُفر، إنه قد كان على الناس أحداثاً وأوجد للناس مثالاً فقالوا ثم نقموا فغيروا»[١].

سيدنا علي رضي الله عنه يقول لمن معه: إنه أرسل جريراً ليطلب من مُعاوية وأهل الشام أداء البيعة له والدخول في طاعته، وهو لم يقطع الأمل منهم. وقرع طبول الحرب والإعداد لها سوف يؤدي إلى إغلاق أبواب السلم والصُّلح على أهل الشام وإبعادهم عن الخير إن كانوا يريدونه، فالرأي هو الصبر والثبات، أي التأنّي وانتظار ما سوف يحمله جرير من ردود.

وعندما يقول سيدنا علي رضي الله عنه: إنه استغرق طويلاً في البحث والتفكير والتأمّل (ضربتُ أنف هذا الأمر وعينه)[٢].

واضح أنّ إدارة الصراع المفروض على سيدنا علي رضي الله عنه نتيجة لعدم قيام مُعاوية وأهل الشام بالمُبايعة. وكذلك رفض قرار العزل، ارتكزت إلى عُنصر الصبر والثبات، التأني. أي إعطاء الفُرصة لخلق الأرضية المُشتركة. وعلى ما يبدو فإنّ كل من كان مع سيدنا علي رضي الله عنه قد أبدى تذمُّراً، لأنهم كانوا يعتقدون أن لا فائدة من إرسال مبعوثين إلى الشام، فلا حاجة لاستكشاف المواقف، وردّ مُعاوية معروف سلفاً لهم جميعاً.

سيدنا علي رضي الله عنه أصرّ بحكمته ومسؤوليته وصبره وعدله، وإدراكه ومعرفته بطبيعة وتطورات الأمور والمُتغيرات، أنّ خياره الأول لا بدّ وأن يكون التفاوض وإعطاء الفرصة لمُعاوية ولأهل الشام فما يطرحه

---

(١) الرضي، الشريف، نهج البلاغة. مصدر سبق ذكره. ص. ص ١١٩ـ ١٢٠.

(٢) نهج البلاغة. انترنت. ص ١٩.

رضي اللّه عنه يتمثل بأرضية مُشتركة قوامها المصلحة والشرعية والالتزام.

كما كان متوقعاً جاء ردّ مُعاوية، بأنّ المبايعة سوف تتم بعد أخذ الثأر من قتلة سيدنا عثمان رضي اللّه عنه وقال في ردّه:

«إنّ علي بن أبي طالب قد آوى قتلة عثمان بن عفان، وعطّل حداً من حدود اللّه، ومن ثم لا يجوز مُبايعته»[1].

واستند مُعاوية ومن معه إلى قوله تعالى:

﴿وَمَنَ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفَ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً﴾[2].

كما سألنا سابقاً كيف يُمكن المُطالبة بالقصاص من دون مبايعة الحاكم؟ حسب كتاب اللّه عزّ وجل فإنّ مُبايعة الحاكم تأتي قبل مُطالبته بالقصاص، وإنّ مطالبة سيدنا علي رضي اللّه عنه بالقصاص أولاً ومن ثم المُبايعة لاحقاً، لا يتوافق مع ما جاء في نصّ الآية ٣٣ من سورة الإسراء فالآية تقول: إنّ لولي القتيل أن يعفو، أو أن يأخذ له الحاكم القصاص، أي لا بدّ أن يكون هُناك حاكم قد تمّت مُبايعته قبل المطالبة بأخذ القصاص.

بعد ذلك، بدأ سيدنا علي رضي اللّه عنه بتجهيز الجيش والاستعداد للحرب والمواجهة، أي التهديد بالقتال، وليس مُباشرة القتال. أي أنه يُدير الصراع على قاعدة تجنُّب المواجهة الفعلية.

---

(١) لمزيد من المعلومات انظر: السرجاني، د. راغب، موقعة صفين. الفتنة الكبرى. مصدر سبق ذكره. ص ٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٣٣.

إلّا أنّ رأي غالبية من كان معه تمثّل بخروج سيدنا علي رضي الله عنه على رأس الجيش. وبالفعل قاد سيدنا علي رضي الله عنه الجيش وخرج به، وكان سيدنا الحسن رضي الله عنه من القلائل الذين عارضوا ذلك مُعتبراً أنّ قتال أهل الشام المُسلمين سوف تكون نتيجته فتنة كبيرة. لكن بالنسبة لسيدنا علي رضي الله عنه فإن (آخر الدواء الكي)، أي أنّ استئصال الفتنة من جذورها سوف تتم من خلال الحسم العسكري. وهذا يدل على المستوى الرفيع لعُنصر القيادة والمسؤولية عند سيدنا علي رضي الله عنه باعتباره يلتزم بحكم شرعي يراه ويفهمه.

كانت أوامر سيدنا علي رضي الله عنه لكل قائد في جيشه:

«إياك أن تبدأ القوم بقتال إلّا أن يبدؤوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع، ولا يجرمنك شأنهم على قتالهم قبل دعائهم»[(١)].

استمرّ سيدنا علي رضي الله عنه بالمُفاوضات دون كلل أو ملل. كانت مُعاملته لكل من قاتل ضده في موقعة الجمل عبارة عن مُفاوضات خارج مائدة المفاوضات، فهو يقول: «من صفح عنا، فهو منا ونحن منه». إنه يُريدُ أن يُثبت وحدة الأمّة على أسس عناصر الشرعية والالتزام والعدل كان يُرسل رسالة من خلال سلوكه إلى معاوية ومن معه، بأن القتال ليس خياراً له.

استمرّ في هذا السلوك بأوامره لقادة جيشه لعدم بدء القتال، إلا بعد دعوة قادة وأفراد جيش معاوية للشرعية، المرتكزة إلى (كتاب الله وسُنّة رسوله). لقد استخدم أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه التباطؤ، والتأني، وعدم الاستعجال للقتال وإعطاء الفُرص كأدوات حاول من خلالها

---

(١) الطبري، أبو جعفر بن جرير، تاريخ الطبري. تاريخ الأمم والممالك. المجلد الثالث. ص ٧٣.

أن يتفادى القتال والمواجهة العسكرية. وعندما تذكر عدداً من قادته ومن استخدام أدوات التباطؤ وعدم استعجال القتال، ردّ عليهم:

«أما قولكم أكُل ذلك كراهية الموت فوالله ما أُبالي أدخلتُ الموت أو خرج الموت إليّ. وأما قولكم شكاً في أهل الشام فوالله ما دفعتُ الحرب يوماً إلا وأنا أطمعُ أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحبُّ إلي من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها»(١).

لم يوقف سيدنا علي رضي الله عنه المُفاوضات والاتصالات مع مُعاوية، لأنه كان يسعى لتفادي القتال فبدأت أصوات جيش سيدنا علي رضي الله عنه تقول: إن سبب التريُث حول كره سيدنا علي رضي الله عنه للموت، وبعضهم قال: إن السبب في التباطؤ هو الشك في جواز قتال أهل الشام. فرد عليهم أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه، بأنه لا يبالي بالموت. وأما الشك فلا موضع له، فالإثم عليهم وإنما يسعى من خلال التريُث للوصول إلى أرضية مُشتركة مع مُعاوية، تُجنب المُسلمين القتال وسفك الدماء، وذلك من خلال هدايتهم إلى الطريق المُستقيم، وأن يستدلوا بضوء الهداية.

وصل مُعاوية وجيشه إلى أرض صفين، وسيطر على نهر يُغذي المنطقة بمياه الشرب وقام بقطع الماء عن جيش سيدنا علي رضي الله عنه رضي الله عنه. وبدأت المناوشات والقتال المُتقطع على الماء.

ومرة أخرى يستمر سيدنا علي رضي الله عنه بالمُفاوضات مع مُعاوية ويُرسل له مبعوثاً جديداً (صعصعة بن صوحان) ليقول له:

---

(١) انظر: الرضي الشريف، نهج البلاغة، مصدر سبق ذكره، ص١٢٨.

«إنا جئنا كافين عن قتالكم، حتى نُقيم عليكم الحجة، فبعثت إلينا مقدمتك، فقاتلتنا قبل أن نبدأكم، ثمّ هذه أخرى تمنعونا الماء»[١].

جئنا والقتال ليس هدفنا، هكذا قال سيدنا رضي الله عنه لمُعاوية، ونحن نحاول إيجاد أرضية مشتركة، على أساس الشرعية والالتزام والعدل، فبادرتم إلى قتالنا والآن تُحاولون مُحاربتنا من خلال منع الماء عنا.

هكذا تحدث سيدنا علي رضي الله عنه مع مُعاوية، في كل يوم كان يُصرُّ على استمرار المُفاوضات.

حاول سيدنا علي رضي الله عنه التلويح بالسيف والاستعداد للقتال للردع وتجنب القتال. لم يغضب سيدنا علي رضي الله عنه عندما قطع ماء الشرب عنه وعطش جيشه لم يتصرف بردود أفعال لم يرضخ للضغوط الداخلية، أو أنه ليس على يقين من جواز قتال أهل الشام.

أدرك سيدنا علي رضي الله عنه، بعلمه ومعرفته، وصبره وثباته، وقيادته وقُدرته على تحمل المسؤولية، والتزامه بالشرعية والعدل، أن يستمر في الاتصال والمُفاوضات من خلال المبعوثين. لم يُغلق الأبواب في أي يوم، كانت خياراته مفتوحة، فالبدائل عن تجنب القتال واضحة ومحددة، فهي كارثة على الدولة الإسلامية.

بعد ثلاثة أيام من القتال المُتقطع بين الجيشين، يُرسل سيدنا علي رضي الله عنه وفداً آخر إلى مُعاوية (عُمرو الأنصاري وسعد بن قيس، وشبث بن ربعي)، كانت رسالته رضي الله عنه من خلالهم:

---

(١) لمزيد من المعلومات انظر: السرجاني، د. راغب، موقعة صفين، الفتنة الكبرى. مصدر سبق ذكره، ص٥.

«ادعوه إلى الطاعة، والجماعة واسمعوا ما يقول لكم».

فلما دخلوا على مُعاوية عنه قالوا له:

«يا مُعاوية، إن الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة، والله محاسبك بعملك، ومجازيك بما قدمت يداك، وإني أنشدك الله ألا تُفرق جماعة هذه الأمة، وألا تسفك دماءها بينها»[١].

رد عليه مُعاوية: «هلا أوصيتم بذلك صاحبكم؟».

فردوا عليه: «إن صاحبنا أحق هذه البرية بهذا الأمر، لفضله، ودينه، وسابقته، وقرابته، وإنه يدعوك إلى مبايعته، فإنه أسلم لك في دُنياك، وخير لك في آخرتك».

فقال مُعاوية: «يترك دم عُثمان، لا والله لا أفعل ذلك أبداً»[٢].

السلوك التفاوضي لسيدنا علي رضي الله عنه، كان يستند إلى هدف عدم البدء بالقتال، وبناء الأرضية المُشتركة، وهو يقول لمبعوثيه: «اسمعوا ما يقول لكم».

أي بعد أن تدعوه للمبايعة والطاعة والجماعة، اسمعوا جيداً إلى ما يقوله، واخبروني به.

كان سيدنا علي رضي الله عنه يُحاول أن يبحث من خلال ردود مُعاوية، عما من شأنه أن يكون بداية بناء الأرضية المُشتركة. لم يُفكر سيدنا علي رضي الله عنه على قاعدة اللُّعبة الصفرية

---

(١) المصدر السابق.

(٢) لمزيد من المعلومات، انظر: خالد، محمد خالد، في رحاب علي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٣ـ ١٨٣.

«Zero Sum Game». أي رابح وخاسر. كان يُحاول أن يجد أرضية مُشتركة على أساس رابح - رابح، دون المساس بالشرعية والمستندة عنه سيدنا علي رضي الله عنه (بكتاب الله وسُنة رسوله).

كان السلوك التفاوضي لمُعاوية يستند إلى بناء أرضية مُشتركة تُثبت حُكمه في الشام، فلا يُمكن له أن يبايع وأن يدخل في الطاعة، فهو بذلك كون قد قبل قرار عزله.

لذلك فإن دم عُثمان، وقتله مظلوماً، وعدم قيام أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه بأخذ القصاص من قتلته، كانت عند مُعاوية تُشكل نقاط ارتكاز لسلوكه التفاوضي. أي أن أفضل بديل عنده لعدم القُدرة على التوصل إلى اتفاق يتمثل بإبقاء الأوضاع على ما هي عليه بمعنى أن يبقى أميراً على الشام دون مُبايعة أمير المؤمنين.

ويبقى سيدنا علي رضي الله عنه أميراً على غالبية أراضي الدولة الإسلامية التي قامت بمبايعته. هذا السلوك التفاوضي لمُعاوية، كان يقود الجيشين إلى ساحات القتال، وهذا ما حدث فعلاً.

فمع كل وفد كان يرسله سيدنا علي رضي الله عنه لدعوة مُعاوية إلى الطاعة والجماعة وتجنب القتال، كان يزداد رد مُعاوية تطرفاً، فعندما جاءه وفد مُكون من عُدي بن حاتم، ويزيد بن قيس، وشبث بن ربعي وزيادة بن خصفة، ودعوه إلى المُبايعة والطاعة والجماعة رد عليهم (كما تزعم الروايات وإن كنا لا نُسلم بصحتها):

«إنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة، فأما الجماعة الّتي دعوتم إليها فمعنا هي، وأما الطاعة لصاحبكم فإنا لا نراها، إن صاحبكم قتل خليفتنا، وفرق جماعتنا، وآوى ثأرنا وقتلتنا، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله،

فنحن لا نرد ذلك عليه. أرأيتم قتلة صاحبنا؟ ألستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم؟»[١].

حسب الرواية إن صحت فإن مُعاوية، كان يُمارس سلوكاً تفاوضياً لغلق الأبواب، ولعدم إيجاد أرضية مُشتركة، فهو يُحمل سيدنا علي رضي الله عنه مسؤولية قتل سيدنا عُثمان رضي الله عنه مباشرة أو غير مباشرة، وأنه يحمي قتلته، أي أنه جزء من المؤامرة عند مُعاوية، وأنه مسؤول عن تفريق الجماعة، وبالتالي وجب قتاله لا طاعته. إذا صحت الرواية مع أننا لا نسلم بها فقد وصلت الأمور بمُعاوية، أن بعث وفداً لسيدنا علي رضي الله عنه، أثناء القتال المُتقطع للجيشين في صفين مكون من (حبيب بن مسلمة الفهري، وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد الأخنس) ليقولوا له:

«أما بعد فإن عُثمان بن عفان رضي الله عنه كان خليفة مهدياً، يعمل بكتاب الله عز وجل، ويُنيب إلى أمر الله تعالى، فاستثقلتم حياته، واستبطأتم وفاته، فعدوتم عليه فقتلتموه، فادفع إلينا قتلة عُثمان رضي الله عنه ـ إن زعمت أنك لم تقتله ـ نقتلهم به. ثمّ اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم من أجمع عليه رأيهم»[٢].

وهذه الرواية لا نسلم بصحتها أيضاً لأن اتهام مُعاوية لعلي بقتل عُثمان رضي الله عنه سوف يسحب منه جميع القواعد الّتي يرتكز عليها.

كانت المُفاوضات عند مُعاوية تستند على المواقف، أما عند سيدنا

---

(١) الطبري، أبو جعفر بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، المجلد الثالث، مصدر سبق ذكره، ص٧٩.

(٢) لمزيد من المعلومات، انظر: المصدر السابق، ص٨٠.

علي رضي الله عنه فكانت المُفاوضات ترتكز إلى مصالح الأمة.

لم يكتفِ مُعاوية بالتصعيد بعدم المُبايعة، وعدم قبول قرار العزل، أو اتهام سيدنا علي رضي الله عنه بقتل سيدنا عُثمان رضي الله عنه(حسب زعم الروايات مع ما أوردناه سابقاً)، أو مُطالبته بتسليم قتلته ليقتلهم، بل ذهب إلى تصعيد جديد، حين قال: «وبعد تسليم القتلة عليك الاعتزال وترك أمر تحديد أمير المؤمنين شورى بين الناس». أي أنه يؤكد عدم شرعية ولاية سيدنا علي رضي الله عنه، بل يطلب منه الاعتزال، أي الإقرار بأن ولايته غير شرعية (على ذمة الروايات).

أدرك سيدنا علي رضي الله عنه، أن مُعاوية يُمارس الإملاءات وليس المُفاوضات، فهو يُريد نتائج المُفاوضات قبل أن تبدأ. بل يُريد نتائج الحرب على اعتباره المُنتصر الذي يستطيع فرض شروطه رد سيدنا علي رضي الله عنه بقوله تعالى:

﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ❖ وَما أَنْتَ بِهادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾[(١)].

أدرك سيدنا علي رضي الله عنه أن لا خيار أمامه إلا القتال، وأن مُعاوية قد أغلق كل أبواب التوصل إلى اتفاق عبر المُفاوضات، وأن بديله عن ذلك يتمثل بإبقاء الأوضاع على ما هي عليه، الأمر الذي يُمكن لسيدنا علي رضي الله عنه أن يقبله، لأن قبوله يعني إنكسار نقطة ارتكازه المُتمثلة بالشرعية.

كان القتال بين الجيشين عنيفاً، مريراً، صعباً، سقط صحابة رسول

---

(١) سورة النمل، الآيتان: ٨٠ ـ ٨١.

اللهﷺ ممن كانوا في جيش سيدنا علي رضي الله عنه، على يد صحابة رسول اللهﷺ ممن كانوا في جيش مُعاوية، والعكس صحيح.

استمرت المعارك دون انقطاع ولأكثر من عشرة أيام حسب بعض الروايات أن بدأت الكفة ترجح لجيش سيدنا علي رضي الله عنه. عندها دخل عمرو بن العاص على مُعاوية وقال له:

«هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا اجتماعاً، ولا يزيدهم إلا فُرقة؟» قال: «نعم» قال: نرفع المصاحب ثمّ نقول: «ما فيها حكم بيننا وبينكم، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول: بلى: ينبغي أن نقبل. فتكون فرقة بينهم. وإن قالوا: بلى، نقبل ما فيها، رفعنا هذا القتال عنا وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين»[١].

ويقول الأستاذ الدكتور حكمت هلال:

هذه المسألة وإن وردت من قبل المؤرخين إلا أنها تخالف العقل السليم. إذ لم يكن لدى مُعاوية غير مصحف واحد (من أصل سبعة مصاحف تم نسخها واعتمادها وتوزيعها في زمن عثمان) وهو مصحف الشام ولم يكن لديه مصاحف عدة. ثمّ إن المصحف لم يكن مثل مصاحف اليوم بل كان ضخماً جداً يصعب رفعه على الرماح، ثمّ إن إحضار المصحف من دمشق إلى ساحة المعركة (صفين قرب النهر) وهي مسافة طويلة تستدعي وقتاً طويلاً لإحضار المصحف أي أن العقل السليم لا يقبل الصيغة المشهورة لرواية رفع المصاحف لهذا ينبغي التنويه إلى ذلك. زد على ذلك أن في جيش مُعاوية مسلمين صالحين وصحابة لا يقبلون استخدام المصحف على الرماح[٢].

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، المجلد الثالث، مصدر سبق ذكره.

(٢) من الآراء الّتي أوردها الأستاذ الدكتور حكمت هلال في مراجعته للكتاب =

على ذمة الرواية والله أعلم، قبل معاوية هذه المشورة، أي أنه قبل أن يعلن موافقته على بناء أرضية مُشتركة، أساسها كتابُ الله عز وجل، أي الشرعية والالتزام.

هذا الأمر كان تغييراً جذرياً في السلوك التفاوضي لمُعاوية، فهذا القبول برفع المصاحف، كان انتقالاً من مُربعات الإملاءات والاشتراطات إلى مُربعات الاحتكام للشرعية، المُتمثلة بكتاب الله، وما كان لا يُمكن لسيدنا علي رضي الله عنه أن يرفض هذا الأمر.

فبالنسبة لسيدنا علي رضي الله عنه، استند هذا الطرح، وبغض النظر عن مقاصد وأهداف مُعاوية، إلى قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّه لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾(١).

بطبيعة الحال لسنا هُنا بصدد التحقيق لكيفية تعامل سيدنا علي رضي الله عنه مع رفع المصاحف، فهناك أكثر من رواية وهناك نظر في مصداقية الرواية بصيغتها المشهورة أصلاً، لكن سواء حصلت أم لم تحصل فمن الواضح أن سيدنا علياً رضي الله عنه كان يُدرك طبيعة السلوك التفاوضي لمُعاوية والمسألة هُنا بالنسبة لسيدنا علي رضي الله عنه لا تتعلق بالدوافع الحقيقية من وراء رفع المصاحف على افتراض حدوث شيء من ذلك، بل الحرص على حقن الدماء.

فالسلوك التفاوضي لسيدنا علي رضي الله عنه ارتكز على الشرعية، فلا يُمكن الآن رفض عرض مُعاوية، وإن كان يُدرك الدوافع

= ووجدت لقيمتها العلمية ضرورة إضافتها.

(١) سورة آل عمران، الآية: **٢٣**.

الحقيقية لمثل هذه الخطوة من قبل مُعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

يقول الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك، المجلد الثالث: جاء الأشعث بن قيس إلى سيدنا علي رضي الله عنه فقال له:

«ما أرى الناس إلا قد رضوا، وسرهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن، فإن شئت أتيت مُعاوية فسألته ما يُريد، فنظرتُ ما يسأل، فقال: ائته إن شئت، فسله»[١].

لاحظوا عدم الحماس في رد سيدنا علي رضي الله عنه من رده على طلب الأشعث بن قيس بأن يذهب إلى مُعاوية ويسأله عما يريد؟ «ائته إن شئت».

هكذا كان رد سيدنا علي رضي الله عنه، لم يقل له نعم الرأي، أو بوركت، أو أصبت. فرجلٌ كسيدنا علي رضي الله عنه وهو سيد البلاغة يختار كلماته بدقة. واختار أن يرد بطريقة تقول: إنه ليس مُقتنعاً بدوافع مُعاوية، ولكن إذا كان ما تريدون فاسألوه، فلن أمنعكم، ولن أقف في وجه أي اقتراح أو فكرة من شأنها أن تضع حداً للقتال بين المُسلمين وتُعيدنا إلى الشرعية (كتاب الله وسُنة رسوله).

ذهب الأشعث بن قيس إلى مُعاوية وسأله: «يا مُعاوية لأي شيء رفعتم المصاحف؟».

أجاب مُعاوية: «لنرجع نحنُ وأنتم إلى ما أمر الله عز وجل في كتابه، تبعثون منكم رجلاً ترضون به، ونبعث منا رجلاً، ثمّ نأخذ عليهما أن

---

(١) الطبري، أبو جعفر بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، المجلد الثالث: مصدر سبق ذكره، ص١٥٢.

يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثمّ نتبع ما اتفقنا عليه». فقال الأشعث بن قيس: «هذا الحق»[١].

وقد اختلف في موقف علي هل كان يريد استمرار القتال أم إيقافه؟ وعلى فرض صحة القول بأنه أراد استمرار القتال في نفسه فهذا لا يخرجه من دائرة التزامه بالحكم الشرعي.

قبل سيدنا علي رضي الله عنه بهذا الاقتراح، وكان أن اختار مُعاوية عمرو بن العاص من جهته.

أما من جهة سيدنا علي رضي الله عنه . وعلى ذمة الروايات، فقد وقع اختلاف، ففريق اختار أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، وفريق آخر وسيدنا علي رضي الله عنه منهم رفضوا اختيار أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. لسنا بصدد الدخول في تفاصيل اختيار أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ففي نهاية المطاف، كان الرجل الذي مثل سيدنا علياً رضي الله عنه هو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه والرجل الذي مثل مُعاوية هو عمرو بن العاص رضي الله عنه. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن أبا موسى الأشعري كان قد أمره الرسول ﷺ على اليمن هو ومعاذ بن جبل بعد أن علم أنهما من خيرة المسلمين في القضاء والعلم.

وإذا قيل إن علياً رضي الله عنه قبل بأبي موسى الأشعري وهو مغلوب على أمره، لا سيما أن معسكره احتوى على أهل الفساد دون رغبته، فإن ذلك لا يعني ضعف أسس المفاوضات عند علي رضي الله عنه بل يدل على التزامه بالحكم الشرعي أصلاً مهما كلف الأمر، فهذا على فرض أن مسألة التحكيم حصلت بالصيغة المشهورة بيننا.

---

(١) المصدر السابق، ص١٠٢.

٥ـ مفاوضات أم تحكيم؟:

التحكيم ليس وساطة وليس مفاوضات مصدر التحكيم هو الحكم في الأمر، أي جعل شخصاً حكماً، ولا بدّ من اتفاق الطرفين على التحكيم وقبول نتائجه. وبذلك فإن نتائج التحكيم تكون إلزامية في حين تكون نتائج الوساطة غير مُلزمة، وحتى استمراريتها غير مضمونة. التحكيم في الدين الإسلامي جائز، حيثُ جاءت الإجازة في كتاب اللّه وسُنة رسوله.

قال اللّه تعالى: ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ الله فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾[(٢)].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[(٣)].

وقول الرحمن الرحيم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُدْعَوْنَ إِلى كِتابِ الله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[(٤)].

التحكيم (Arbitration). في صيغته الدولية اليوم يتمثل بمحكمة العدل الدولية. تختلف الدول على أراضٍ أو مياه إقليمية أو مُلكية أو حق لرعايتها في دول أخرى، وتتفق فيما بينها لحل الخلاف الذهاب إلى محكمة العدل الدولية المُكونة من ١٥ قاضياً من القضاة الدوليين. ولا يُمكن لطرف في

---

(١) سورة المائدة، الآية ٩٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٧.

(٣) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.

النزاع أن يُقدم ملفاً للمحكمة الدولية إلا بموافقة الطرف الآخر. ويتفق الطرفان على قبول الحكم مهما كانت النتيجة[(١)].

هذا هو (التحكيم) بمفهومه حسب القانون الدولي أطراف الصراع تلجأ إلى طرف ثالث، ليجد حلاً أو حلولاً للصراع، استناداً إلى الشرعية المعمول بها، كالقانون الدولي والمُعاهدات والمواثيق والسوابق وعند صدور الحكم يكون إلزامياً، وعلى الطرفين أو الأطراف الالتزام بما يصدر من أحكام.

ما حدث بين سيدنا علي رضي الله عنه ومُعاوية ليس تحكيماً بمفهومه المُتعارف عليه في أيامنا هذا، ولا في زمن الصحابة أصلاً. فلم تُقدم القضية أو القضايا الخلافية لطرف ثالث لينظر بها ويصدر أحكامه الإلزامية. سيدنا علي رضي الله عنه اختار أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، مُفاوضاً عنه، ومُعاوية، اختار عمرو بن العاص رضي الله عنه مُفاوضاً عنه.

المطلوب منهما، كان الاستناد إلى كتاب الله عز وجل، أي اعتماد القرآن وأحكامه كمرجعية لتبيان مدى التزام أو ابتعاد كل طرف عن الشرعية المحددة في القرآن الكريم.

إن ما قام به أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، كان مُفاوضات وليس تحكيماً.

فكل طرف عليه أن يأتي بالآيات الّتي تُعزز مواقفه، وأن يُفسرها وأن يربطها بأقوال الرسول ﷺ وسُنته وأي أحداث مُشابهة حدثت بالسابق.

---

(١) لمزيد من المعلومات حول التحكيم. وجواز التحكيم في الإسلام انظر: النشمي، د. عجيل جاسم (٢٠٠٦)، التحكيم الدولي في الشريعة الإسلامية، الدورة التاسعة للمجلس الأوروبي للإفتاء. فرنسا.

الخلاف كان حول الشرعية، فسيدنا علي رضي الله عنه بويع أمير المؤمنين ورفض مُعاوية مُبايعته إلا بعد القصاص من قتلة عثمان.

مُعاوية لم يطلب الخلافة. ولم يطلب المُبايعة، طلب القصاص، وعندما لم يحدث ذلك، طلب تسليم القتلة، ثمّ صعد في موقفه أن طلب من سيدنا علي رضي الله عنه الاعتزال. لقد رفض مُعاوية كل دعوات ورسائل ووفود سيدنا علي رضي الله عنه، ورفض المُبايعة وأصر على موقفه، فكانت الحرب.

هل كانت هناك حاجة للاحتكام إلى كتاب الله عز وجل فيما يتعلق بكون سيدنا علي رضي الله عنه أميراً للمؤمنين. ووجوب قيام مُعاوية بمُبايعته وطاعته؟

كان موقف عمرو بن العاص رضي الله عنه واضحاً من البداية، حين رفض اقتراح أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ببدء كتاب التحكيم بالقول:

«هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين».

إذ رد على ذلك قائلاً: «هو أميركم وليس أميرنا»[(١)].

هذا تماماً ما حدث في صُلح الحديبية حين رفض كُفار قريش أن يكتبوا (رسول الله) بعد اسم محمد بن عبد الله ﷺ. ووافق سيدنا محمد ﷺ لأن قُريش لم تكن قد دخلت الإسلام.

إن موافقة سيدنا علي رضي الله عنه على عدم كتابة أمير المؤمنين

---

(١) لمزيد من المعلومات انظر: السرجاني، د. راغب، (٢٠٠٦)، التحكيم بين علي ومُعاوية رضي الله عنهما. قصة الإسلام Islam.story.com ص٥.

وراء اسمه، كانت أمراً مختلفاً عما حدث في الحُديبية. فكما قُلنا فإن كُفار قريش لم يكونوا مُسلمين، أما في حالة مُعاوية وعمرو بن العاص ومن معهما رضي الله عنهما، فهم من صحابة رسول اللهﷺ، بل إن مُعاوية كان من كتبة القرآن الكريم.

فهل يُعتبر طلب شطب (أمير المؤمنين) بعد اسم سيدنا علي رضي الله عنه مخالفة لحكم شرعي؟ وهل يجوز التحكيم في هذه المسألة؟

لن نُحاول حتى الإجابة على مثل هذه الأسئلة، فهي متروكة لعُلماء المُسلمين وللفقهاء ولم أقر لهم بالإفتاء.

نحن نطرح هذه الأسئلة فقط لدراسة عناصر سيدنا علي رضي الله عنه، لا سيما عناصر الشرعية والالتزام والعدل.

إن الحكم بين المرأة وزوجها، أمر يختلف عن الحكم في قتال المُسلمين ودمائهم.

كما قلنا لن ندخل في مُناقشة أكاديمية أو فقهية حول هذه المسائل، لكنها أسئلة تُطرح، ولا بدّ من إجابات من الفقهاء وأصحاب الاختصاص.

إن ما حدث بين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، كان مُفاوضات، مرجعيتها القرآن الكريم (الشرعية)، وأداتها الالتزام، وقاعدتها العدل هذا هو الصواب، أما التفاصيل الّتي وردت فلا نستطيع التسليم بها مثل ما قيل عن مناورات عمرو بن العاص على أبي موسى الأشعري واستجهاله فهذا غير مقبول.

إن كون سيدنا علي رضي الله عنه أميراً للمؤمنين، كانت مسألة

محسومة. وكذلك الحال بالنسبة لوجوب قيام مُعاوية بمُبايعته قبل طلب القصاص[١].

بدأت المُفاوضات بين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، واستندت إلى تعزيز منظومة الشرعية عند كل منهما.

عمرو بن العاص رضي الله عنه بدأ بعرض مواقفه مُستخدماً دم عُثمان رضي الله عنه كنقطة ارتكاز إذ قال:

«يا أبا موسى، ألست تعلم أن عُثمان رضي الله عنه قُتل مظلوماً؟ قال: أشهد، قال: ألست تعلم أن مُعاوية وآل مُعاوية أولياؤه؟ قال: بلى. قال: فإن الله عز وجل قال: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً﴾. فما يمنعُك من مُعاوية ولي عُثمان رضي الله عنه يا أبا موسى، وبيته في قريش كما علمتُ؟ فإن تخوفت أن يقول الناس: ولي مُعاوية وليس له سابقة، فإن لك بذلك حُجة، تقول: إني وجدته ولي عُثمان رضي الله عنه الخليفة المظلوم والطالب بدمه، الحسن السياسة، الحسن التدبير، وهو أخو أم حبيبة زوجة رسول اللهﷺ وقد صحبه، فهو أحد الصحابة»[٢].

عناصر الارتكاز التفاوضي في موقف عمرو بن العاص رضي الله عنه تمثلت:

أ ـ **العدل**: فعُثمان رضي الله عنه قتل مظلوماً، ولا يستطيع أبو موسى

---

(١) لمزيد من المعلومات انظر: القرشي، باقر شريف. (١٤٢٠ هجري)، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب‎عليه السلام. مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، النجف الأشرف.

(٢) ورد هذا النص في تاريخ الطبري، المجلد الثالث، مصدر سبق ذكره ص١١١.

الأشعري أن يختلف معه في ذلك وأن مُعاوية ومن معه أولياؤه.

ب ـ **الشرعية**: يستند عمرو بن العاص إلى ما جاء في (سورة الإسراء، الآية ٣٣)، مُبرراً على أساسها صدقية موقف مُعاوية.

ت ـ يستخدم عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد ذلك عناصر العلاقات والاتصال والالتزام، فمُعاوية، أخو أم حبيبة زوجة النبيﷺ. وهو أحد الصحابة، إضافة إلى حُسن تدبيره وحسن سياسته.

كانت مُفاوضات بكل ما في الكلمة من معنى فمن ناحيته رد أبو موسى الأشعري رضي الله عنه:

«يا عمرو، اتق الله عز وجل، فأما ما ذكرت من شرف مُعاوية فإن هذا ليس على الشرف يولاه أهله. إنما هو لأهل الدين والتعقل مع أني لو كُنتُ معطيه أفضل قريش شرفاً، أعطيه علي بن أبي طالب، وأما قولك: إن مُعاوية ولي دم عُثمان رضي الله عنه فوله هذا الأمر، فإني لم أكن لأوليه مُعاوية وأدع المهاجرين الأولين وأما تعريفك لي بالسلطان، فوالله لو خرج لي من سُلطانك كله ما وليته»(١).

نقاط الارتكاز في الموقف التفاوضي لأبي موسى الأشعري كان يجب أن تكون الشرعية، فما جاء في كتاب الله عز وجل حول (ولي الأمر) ووجوب الاعتصام بحبل الله وعدم الفُرقة كان يتوجب ببيعة مُعاوية لعلي رضي الله عنه.

---

(١) المصدر السابق، ص١١١ـ ١١٢.

إننا نحثّ أطراف أي مُفاوضات اليوم أن تُبادر هي بتقديم أوراق عملها وتضعها أولاً. فالسماح للطرف الآخر بتقديم مواقفه التفاوضية، ومن ثمّ العمل على أساسها يشكل قوة في الموقف التفاوضي للطرف المُبادر. فمهما حاول الطرف الآخر من إدخال تعديلات أو إثارة تساؤلات أو تقديم ردود، فإن كل ذلك يتم استناداً لطروحات من قام بالمبادرة وطرح مواقفه أولاً.

ويقول ﷺ:

«ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليُعطه إن استطاع فإن جاء آخر يُنازعه فاضربوا عنق الآخر»[١].

لكن هذا الحديث لا ينطبق حرفياً على معسكر مُعاوية الذين لم يبايعوا بعد. ويقول عليه السلام أيضاً:

«من آتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يُريد أن يشق عصاكم، ويُفرق جماعتكم فاقتلوه».

نُقطة الارتكاز عند أبي موسى الأشعري رضي الله عنه كان يجب أن تكون قوله تعالى:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[٢].

حتى عند الاختلاف مع الأمير أو ولي الأمر، فإن الرسول ﷺ قال:

«من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس

---

(١) حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

خرج من السلطان شبراً، فمات عليه، إلا مات ميتة جاهلية» وقد وردت الأحاديث في روايات مختلفة في كتاب البخاري[1].

لقد كان مُعاوية وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهم من أصحاب رسول اللهﷺ. ولم تكن هذه الآيات والأحاديث لتغيب عنهم.

لغايات هذا الكتاب، استطعنا العودة إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسولهﷺ. ووجدنا أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، دخل في نقاش النقاط والمواقف الّتي أثارها عمرو بن العاص رضي الله عنه. في أي مُفاوضات سيُحاول كل طرف أن يجعل الطرف الآخر يُفاوض على مواقفه وليس مصالحه، وهذا ما فعله عمرو بن العاص رضي الله عنه.

مصلحة الطرف الذي يُمثله أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، كانت تتمثل بالاحتكام لنصوص القرآن الكريم بخصوص (ولي الأمر)، أمير المؤمنين، ووجوب مُبايعته وطاعته. إلا أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، بدأ يرد على ما طرحه عمرو بن العاص حول قتل سيدنا عُثمان رضي الله عنه ظُلماً. وحول كون مُعاوية من أولياء دمه. وحول علاقات مُعاوية مع الرسولﷺ. ويبدو أن الروايات أغفلت وتجاهلت منزلة أبي موسى الأشعري في القضاء إذ كيف يجهل أبو موسى الأشعري أن كافة المسلمين هم حقيقة أولياء دم عُثمان رضي الله عنه وليس مُعاوية وبنو أمية فقط مع أننا جميعاً نعلم ذلك؟ فهذا أمر يدركه كل مسلم ولا يحتاج إلى جهد كبير وسعة حيلة لإدراكه، مما يضع علامة استفهام على كثير

---

(١) www.PALMOON.NET/7/TOPIC-1626-41.HTML

من روايات التحكيم الّتي وصلت إلينا.

لقد أدى السلوك التفاوضي لأبي موسى الأشعري إلى تغييب حقيقة كون سيدنا علي رضي الله عنه أميراً للمؤمنين وجبت بيعته وطاعته على مُعاوية ومن معه. إلى مجال للمقارنة بينهما.

الدكتور حكمت هلال يقول في هذا الشأن:

هنا مسألة تجعل قضية التحكيم في رواياتها المشهورة حول خلع علي وغدر عمرو بن العاص بأبي موسى موضع نقاش، إذ إن أبا موسى الأشعري رجل سياسة وقضاء وحكم بشهادة الرسول ولا تغيب عنه مسألة أن علياً هو الخليفة وأن الخلاف إنما هو في بيعة مُعاوية قبل القصاص أو بعد القصاص(١).

التحكيم لا يجوز إلا بحاكم، والقصاص لا يُطلب إلا من حاكم. لقد أمر اللّه سُبحانه وتعالى في كتابه الكريم الجماعة بالاعتصام بحبل اللّه ونهى عن الفرقة، ولما كانت الجماعة لا تكون إلا على أمير المؤمنين (الخليفة). كانت مبايعة أمير المؤمنين واجبة. وهذه مسألة يستحيل على أبي موسى الأشعري جهلها لما بيناه أعلاه.

الرسول ﷺ يقول فيما يتعلق بالولاية وولي الأمر:

«الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به»(٢).

ويقول عليه السلام:

---

(١) مما طرحه الدكتور حكمت هلال أثناء مراجعته للكتاب.

(٢) حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

«إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[١].

ما يقوله رسول الله ﷺ واضح مُحدد، فهل يُعقل التفكير أن هذه الآيات والأحاديث كانت لتغيب عن صحابة رسول الله ﷺ؟

كيف يُمكن لقوله تعالى:

﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ الله فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٢].

أن يكون قد غاب عن صحابة رسول الله ﷺ.

وهل يُعقل أن قوله تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾[٣].

ألم يكن هذا حاضراً عند أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما. هذه أسئلة تضع علامة استفهام على الرواية الشائعة للتحكيم.

لقد طرح عدد من الذين كانوا يقاتلون في جيش سيدنا علي رضي الله عنه أسئلة حول جدوى وقف القتال، وقبول (التحكيم)، مُستندين بذلك إلى ما جاء في كتاب الله عز وجل وسُنة رسوله ﷺ. وقد أدت الخلافات حول قبول سيدنا علي رضي الله عنه (للتحكيم)، ولوقف القتال إلى حدوث انشقاقات من قبل مجموعات عُرفت باسم الخوارج. وهذه

---

(١) أحاديث رسول الله ﷺ، أخرجها البخاري.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

مسألة هامة أن معسكر علي احتوى على أناس ليسوا مصلحين وذلك على غير رغبته مما أدى إلى إضعاف موقفه في نهاية المطاف ثمّ قتله من طرف هؤلاء الأشرار.

لو كان الخوارج أهل تقوى وعلم لما خرجوا على علي، لكن من الواضح أنهم اتخذوا (دون حق ولا بينة) موقف علي وقبوله التحكيم ذريعة لخروجهم مُغتنمين الفرصة وانشغال الخليفة بالمشكلة مع مُعاوية. والأدلة الشرعية المبينة أعلاه ترد على ذرائعهم وادعاءاتهم[١]. هذا علاوة على قتلهم أمير المؤمنين علياً دون أدنى وجه حق.

لقد رد أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه على هذه الأسئلة وغيرها بقوله:

«إنا لم نحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين، لا ينطق بلسان ولا بدّ له من ترجمان وإنما ينطق عنه الرجال، ولما دعانا القوم إلى أن نحكم بيننا بالقرآن لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله تعالى»، وقد قال سبحانه:

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[٢].

«فردوه إلى الله أن نحكم بكتابه ورده إلى الرسول أن نأخذ بسنته فإذا حكم بالصدق من كتاب الله فنحن أحق الناس به، وإن حكم بسنة رسول الله ﷺ وآله فنحن أولاهم به، وأما قولكم لِمَ جعلت بينكم وبينهم أجلاً في التحكيم، فإنما فعلتُ ذلك ليتبين الجاهل ويثبت العالم، ولعل الله أن يُصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة، إن أفضل الناس عند الله

---

(١) رأي آخر طرحه الدكتور حكمت خلال.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

من كان العمل بالحق أحب إليه من الباطل وإن جر إليه فائدة وزاده»[١].

لقد كانت نقطة ارتكاز موافقة سيدنا علي رضي الله عنه مُتمثلة بالاحتكام لكتاب الله وسُنة رسوله، في إيجاد الأرضية المُشتركة في الصراع مع مُعاوية.

فلو وضعنا عناصر المُفاوضات عند سيدنا علي رضي الله عنه لوجدنا ما جاء في النص الوارد أعلاه ما يلي:

أ ـ **الشرعية**: جاء في النص قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾.

ب ـ **الالتزام**: قوله: لم نحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن، أي أن المسألة ليست اجتهادات أو مفاوضات، وإنما الالتزام بما جاء في كتاب الله وسُنة رسوله، وهنا فإن ما قُلناه حول وجوب استناد أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في أي حوار أو نقاش أو تفاوض مع عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى ما جاء في كتاب الله حول البيعة والطاعة والولاية والقصاص فهذا هو المسار الصحيح حسب تعليمات سيدنا علي رضي الله عنه .

ت ـ **الاتصال**: ليس للقرآن لسان، يقول سيدنا علي رضي الله عنه، وما بين دفتيه بحاجة إلى (تُرجمان) أي من يُفسره من هنا فإن مهمة أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما كانت الالتزام بما جاء في القرآن والسُّنة، والتفسير عند الحاجة.

---

(١) ورد هذا النص في: الرضي، الشريف، نهج البلاغة، مصدر سبق ذكره، ص٢٤١ـ ٢٤٢.

ث ـ **العلاقات**: عندما تمت دعوتنا إلى أن نحكم بيننا القرآن، قبلنا فوراً، يقول سيدنا علي رضي الله عنه فالعلاقات بيننا وبينهم هي ما يُحدده القرآن الكريم وسُنة رسوله، ولا يمكن أن نرفض هذا كأساس للعلاقات.

ج ـ **الخيارات**: كانت مُحددة وواضحة بالنسبة لسيدنا علي رضي الله عنه، فهو يعرف كتاب الله عز وجل وسُنة رسوله ﷺ حق المعرفة. ويؤكد انطلاقاً من ذلك أن لا خيار، إلا أن يحكم لصالحنا، لاحظوا قوله رضي الله عنه:

«فإذا حكم بالصدق في كتاب الله، فنحن أحق الناس به، وإن حكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فنحن أولاهم به»[١].

ح ـ **البدائل**: إن لم أقبل الاحتكام لكتاب الله، فالبديل سيكون استمرار الحرب وسفك دماء المسلمين ولا مجال لسيدنا علي رضي الله عنه، إلا أن يبذل كل جهدٍ ممكن لتفادي هذا البديل، فهو أمير المؤمنين.

خ ـ **المصلحة**: كل ما يقوله سيدنا علي رضي الله عنه، أن قبوله الاحتكام لكتاب الله، نبع من، وكان على أساس مصالح الأمة، فهو يقول: «ولعل الله أن يُصلح من هذه الهُدنة أمر الأمة».

د ـ **العدل**: إنه الأساس لضمان نجاح أي اتفاق، وإن أي قرار ينتج عن (التحكيم) يجب أن يستند إلى عُنصر العدل.

فسيدنا علي رضي الله عنه يقول: «إن أفضل الناس من كان العمل بالحق أحب إليه من الباطل، وإن جر إليه فائدة أو زاده»[٢].

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣، انترنت، ص٥٤٥.

(٢) نهج البلاغة، انترنت، خطب الإمام علي، ج٢، ص٢٨٤.

لا يُمكن لأي اتفاق أو قرار تحكيم أن يصمد دون أن يستند إلى عُنصر العدل.

ذ ـ **العلم والمعرفة:** كما قُلنا سيدنا علي رضي الله عنه استند إلى قبوله عرض الاحتكام للقرآن الكريم لعلمه ومعرفته، بما جاء في كتاب الله وسُنة رسوله، حول الولاية، والمبايعة والطاعة والقصاص وقتال المُسلمين بعضهم بعضاً إذ يقول: «فإنما فعلتُ ذلك ليتبين الجاهل ويثبت العالم».

ر ـ **الصبر والثبات:** يقول سيدنا علي رضي الله عنه للذين لاموه لوقف القتال ولإعطاء مُهلة (للتحكيم) وهدنة بجدول زمني، إن علينا أن نصبر ونثبت إذ يقول:

«وأما قولكم: لِمَ جعلتُ بينك وبينهم أجلاً في التحكيم»[1].

ز ـ **القيادة والمسؤولية:** إن سيدنا علياً رضي الله عنه لا يخضع للابتزاز، ولا للتهديد، ولا لتصدير الخوف. إنه بأقواله (للخوارج)، يؤكد في كل كلمة وعمل، على مدى قُدرته على القيادة وتحمل المسؤولية ولكن وجود المفسدين في معسكره وضعه ووضع الأمة في كارثة لم يكن من الممكن تفاديها.

هو يوظف إمكانياته القيادية انطلاقاً من تحمله للمسؤولية، فهو يختار أن يكون في المكان الصحيح وليس المكان المُريح، حتى ولو أدى ذلك إلى حدوث انشقاقات في جيشه، وما سوف يقود إليه ذلك من حروب ومعارك، وهذا بالفعل ما حدث.

س ـ **المتغيرات:** كان عُنصر المتغيرات وحتمية حدوثها يُشكل رُكناً

(١) نهج البلاغة، انترنت، خطب الإمام علي، ج٢، ص٢٨٣

أساسياً في مُفاوضات سيدنا علي رضي الله عنه وقبول الاحتكام لكتاب الله وسُنة رسوله.

إنه يُدرك أن وقف القتال وقبول الهُدنة وإعطاء فُرصة (للتحكيم)، من شأنه أن يحمل في طياته مُتغيرات ستصبُ في صلاح الأمة ومصالحها. وكيف لا؟ فعندما يعرف الناس تعاليم القرآن وسُنة رسوله، حول المُبايعة والطاعة والقصاص، ويوقف القتال بيننا، فإن من شأن الهدنة أن تُصلح أمر الأمة.

فهو يقول رضي الله عنه:

«فإنما فعلتُ ذلك ليتبين الجاهل ويثبت العالم، ولعل الله أن يُصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة»(١).

كان سيدنا علي رضي الله عنه واضحاً ومحدداً في توجهاته وأهدافه، ومما لا شك فيه أنه كان حازماً وحاسماً في تعليماته لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

فهو يقول: إنه لم يُرسل مبعوثه مُحكماً، وإنما مُفسراً وعالماً ومُترجماً لما جاء في القرآن الكريم وسُنة رسوله.

كان هذا محدداً في تعليمات سيدنا علي رضي الله عنه، لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه، إذا قال له: عندما تلتقي عمرو بن العاص رضي الله عنه، فقل له:

«إن علياً يقول لك: إن أفضل الناس عند الله عز وجل من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه وكرثه، من الباطل وإن حن إليه وزاده، يا عمرو، والله إنك لتعلم أين موضع الحق فلم تُجاهل؟

---

(١) نهج البلاغة، انترنت، خطب الإمام علي ج٢، ص٢٨٤.

لقد رد عمرو بن العاص رضي الله عنه بغضب شديد على رسالة سيدنا علي رضي الله عنه، إذ قال:

«متى كنتُ أقبل مشورة علي أو أنتهي إلى أمره، أو أعتدُ برأيه».

مرة أخرى يدخل أبو موسى الأشعري النقاش مع عمرو بن العاص رضي الله عنهما، من باب ردود الأفعال، وليس من باب ما بين دفتي القرآن كما حدد له سيدنا علي رضي الله عنه إذا رد قائلاً:

«وما يمنعك يابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد المُسلمين بعد نبيهم مشورته؟ فقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه، ويعملان برأيه»[(١)].

أدرك عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنه نجح في إخراج المفاوضات من (التحكيم)، إلى خارج ما بين دفتي القرآن، وأراد أن يُبعدها أكثر فقال:

«إن مثلي لا يُكلمُ مثلك»[(٢)].

إذا صحت الروايات السابقة (وهذا بعيد جداً لأن المفاوضات لا يمكن أن تستمر بعد هذا الإسفاف من عمرو بن العاص حين تجاوز منزلة علي رضي الله عنه وأبي موسى) فهي تمثل السلوك التفاوضي لعمرو بن العاص رضي الله عنه بعدم الجلوس والاحتكام لما بين دفتي القرآن حول المُبايعة، والقصاص والطاعة ومصلحة الأمة. فهو يعلم تماماً وكما قال له سيدنا علي رضي الله عنه أين موضع الحق؟

---

(١) لمزيد من المعلومات انظر: الطبري، أبو محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك. مصدر سبق ذكره ص١١٢.

(٢) المصدر السابق، ص١١٢.

لذلك سعى مُنذُ البداية لتوظيف عُنصر العلاقات، أي شخصنة الأمور بين شخصين لهما مكانتهما في الدولة الإسلامية، ومنزلتهما القبلية. وقربهما من الرسولﷺ.

بكل الوسائل حاول عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن لا يحتكم لأقوال الله عز وجل ولسنة رسولهﷺ، فيما يتعلق بأمير المؤمنين الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

سيدنا علي رضي الله عنه هو أمير المؤمنين ويجب مُبايعته وطاعته، ومن ثمّ طلب القصاص مُعاوية، والمعزول من قبل أمير المؤمنين، ومع ذلك فإن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أصر على عدم إدراج هذا البند على جدول الأعمال فإن فعل ذلك فإن ما بين دفتي القرآن ما يُلزمه بمُبايعة سيدنا علي رضي الله عنه وطاعته.

نحنُ نُدرك حساسية مثل هذا النقاش، وهو بالأساس ليس في صُلب هذا الكتاب، كما قُلنا أكثر من مرة، لكن مرة أخرى هُناك أسئلة لا بُدّ من الإجابة عليها من قبل العُلماء والفقهاء وأصحاب الاختصاص.

لقد تم الحديث في كل شيء بين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، باستثناء المُبايعة والطاعة ومن ثمّ القصاص ولكن ألم تكن فكرة رفع المصاحف، هي الاحتكام لما بين دفتي القرآن الكريم وسُنة رسولهﷺ حول قضايا المُبايعة والطاعة والقصاص والقتال بين المُسلمين؟ وكيف استطاع عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن لا يُدرجها على جدول أعمال المُفاوضات (التحكيم)؟ ولماذا يقبل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه على سعة علمه وتقواه بذلك؟ هذا مما يضع علامات استفهام كثيرة على مصداقية الروايات نفسها ناهيك أن في جيش علي من لا يريد الخير لعلي ولا للأمة أصلاً وهذا من عوامل إضعاف مواقف علي كما أسلفنا سابقاً.

٦. نتائج المفاوضات (التحكيم):

كان واضحاً استحالة الوصول إلى أرضية مُشتركة، أو إلى نتيجة يرضى بها الطرفان عبر اتفاق من خلال المُفاوضات (التحكيم).

بطبيعة الحال فإن موقف أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، كان يرتكز إلى وجوب مُبايعة سيدنا علي رضي الله عنه من قبل مُعاوية ومن معه، وبعد استقرار الأمور، يُقام القصاص في قتلة سيدنا عثمان.

موقف عمرو بن العاص رضي الله عنه، ارتكز إلى وجوب قيام سيدنا علي رضي الله عنه بأخذ الثأر أولاً، أو أن يقوم بتسليم القتلة، وبعدها يُبايعون لكن علينا أن نذكر هُنا أن إحدى رسائل مُعاوية إن صحت الرواية إلى سيدنا علي رضي الله عنه، نصت على أنه بعد الأخذ بالثأر أو تسليم القتلة، فإن على سيدنا علي رضي الله عنه الاعتزال عنه.

بمعنى آخر، يتضح لنا، أنه حتى لو أقيم الحد على قتلة سيدنا عثمان، فإن مُعاوية لم يكن ليُبايع سيدنا علي رضي الله عنه، وكان سيطلب منه الاعتزال وهذا كلام له مبرر لو صحت الرواية، إذ لو كان في قلبه يريد البيعة لبايع أصلاً دون مشقة وعناء وقتال. هذا على افتراض صحة الروايات.

لم يكن من الممكن التوصل إلى اتفاق عبر المُفاوضات، فكان على أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما أن يبحثا عن أفضل خيار خارج إمكانية التوصل إلى اتفاق عبر المفاوضات (BATNA)[1].

---

(١) للتذكير: (BATNA:Best Alternative to a Negatiated Agreement) أفضل خيار لعدم إمكانية التوصل إلى إتفاق من خلال المفاوضات.

كثرت الروايات حول نتيجة التحكيم فهُناك الرواية حول اتفاق أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما بوجوب عزل سيدنا علي رضي الله عنه ومُعاوية وهذا أمر مستهجن.

ولقد ورد في تاريخ الطبري أنه وبعد نقاش حول وجوب التركيز على مصلحة الدولة الإسلامية وإصلاحها، فإن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه اقترح:

«رأيي أن نخلع هذين الرجُلين، ونجعل الأمور شورى بين المُسلمين، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا. فقال له عمرو: فإن الرأي بما رأيت. فأقبلا على الناس وهم مجتمعون، فقال عمرو: قُل يا أبا موسى، فقال: إن رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يُصلح الله عز وجل به أمر هذه الأمة، فقال عمرو: صدق وبر، يا أبا موسى قُم وتكلم».

فتقدم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وقال: أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها، ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه، هو أن نخلع علياً ومُعاوية، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولوا منهم من أحبوا عليهم، وإني قد خلعتُ علياً ومُعاوية، فاستقبلوا أمركم، وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً».

بعدها أقبل عمرو بن العاص رضي الله عنه وقال للناس:

«إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما فعل، وأثبت صاحبي مُعاوية، فإنه ولي دمُ عُثمان رضي الله عنه والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه»[(١)].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، المجلد الثالث. مصدر سبق ذكره، ص ١١٢ـ ١١٣.

هذه الرواية لا تستند إلى منطق ولا يقبلها العقل السليم فمُعاوية لم يدع أنه أمير للمؤمنين ولم يجهر بالطلب أن يكون خليفة، فمن أي منصب يُخلع مُعاوية؟ إذا كان المقصود خلعه عن ولاية الشام، فهذا يعني قبوله بقرار عزله، ولكن كيف يمكن لذلك أن يشترط بخلع وإقالة أمير المؤمنين الذي عزله؟

القتال لم يكن حول الخلافة، كان على توقيت المُبايعة قبل أو بعد أخذ القصاص.

ومهما قلنا عن السلوك التفاوضي لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فلم يكن بهذا المستوى من الضعف وحتى البلاهة لتنطلي عليه هذه الخدعة.

لم يكن عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهما يُفاوضان ويُناقشان ويتحدثان على انفراد (أربعة عيون) كان يجلس معهم صحابة رسول الله ﷺ من الطرفين من أمثال (عبد الله ابن العباس، وعبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة، والأحنف بن قيس وعبد الله بن عمر) وغيرهم. وهذا جزء من الأسماء الّتي وردت في روايات التحكيم في تاريخ الطبري وغيره.

لا يمكننا اعتماد هذه الرواية أو البناء عليها، وسوف نترك أمر البحث التفصيلي بذلك للعلماء والفقهاء وأصحاب الاختصاص.

نتيجة المفاوضات (التحكيم) تمثلت باعتماد أفضل خيار لعدم إمكانية التوصل إلى اتفاق من خلال المفاوضات (BATNA)

وعلى ذمة الروايات فقد اتفقا على:

١. وقف الحرب بين الجيشين لمدة عام، يلتقي الطرفان بعد عام عند دومة الجندل.

٢. أن تبقى الأوضاع على ما هي عليه: أن يبقى سيدنا علي رضي اللّه عنه أميراً على ما تحت يده من الدولة الإسلامية. وأن يبقى مُعاوية والياً على ما تحت يده.

٣. أن يترك تحديد الخلافة إلى مجموعة من صحابة رسول اللّهﷺ، يكون فيهم سيدنا علي رضي اللّه عنه ولا يكون من بينهم مُعاوية وعمرو بن العاص رضي اللّه عنهما (معظم أفراد هذه المجموعة من صحابة رسول اللّهﷺ كانت قد بايعت سيدنا علياً رضي اللّه عنه أميراً للمؤمنين وخليفة لهم).

٤. عندما يتم البت بأمر الخليفة على الجميع مبايعته وإطاعته، سواء أقيم القصاص على قتلة سيدنا عُثمان رضي اللّه عنه أولاً أم تم لاحقاً»(١).

وهذا وإن كان أقرب الروايات إلى الصواب إلا أنه قد لا يتفق مع سياق أصل الخلاف بين علي ومُعاوية. وهذا من شأنه أن يدعى اتفاقاً على جواز خلع الخليفة دون وجه حق، مما يخالف واقع الصحابة واستحالة اتفاقهم على الخطأ. وإذا افترضنا صحة الأمر فمن الظاهر أن الحكم كان لصالح سيدنا علي رضي اللّه عنه، إلا أن حقيقة إبقاء الأوضاع على ما هي عليه بالنسبة لولاية مُعاوية، ومن ثمّ عدم تثبيت سيدنا علي رضي اللّه عنه كأمير للمؤمنين والقول بترك أمر الخليفة ليُحدد من قبل صحابة رسول اللّهﷺ، جاء ليس في صالح علي بالكامل.

---

(١) لمزيد من المعلومات عن نتائج التحكيم انظر: تاريخ الطبري، مصدر سبق ذكره، والسرجاني، د. راغب، (٢٠٠٦) التحكيم بين علي ومُعاوية رضي الله عنهما. قصة الفتنة. Islam story.com

يبدو جلياً أن جبهة سيدنا علي رضي الله عنه ونتيجة للانقسام وحروب الخوارج قد ضعفت، وفي الوقت نفسه كانت جبهة مُعاوية تزداد قوة، فلقد تمكن من الاستيلاء على مصر واليمن ونشر قواته في أطراف العراق وفوق كل ذلك يمكننا القول أن علياً بتمسكه بالشرعية وحرصه على حقن الدماء كان منتصراً في جميع المواقف، حتى حين ضعفت جبهته، مع عدم نسيان حقيقة المفسدين في معسكره الذين كانوا سبباً رئيسياً في حدوث الكوارث.

٧. موقف سيدنا علي رضي الله عنه من نتائج المفاوضات (التحكيم):

معظم الروايات تقول: إن سيدنا علياً رضي الله عنه رضي بهذه النتائج، لأنها أدت إلى وقف القتال، وإعطاء هدنة مدتها عام ويقوم خلالها صحابة رسول الله ﷺ بالإجماع على خليفة تتم مبايعته من قبل الجميع دون شروط مسبقة.

ولمعرفتنا الأكيدة بكيفية توظيف سيدنا علي رضي الله عنه لعناصره الاثني عشر في المفاوضات والتواصل نجد أن سيدنا علياً رضي الله عنه قد عاش واقع إبقاء الأوضاع على ما هي عليه دون حرب مع مُعاوية (BATNA).

العيش مع بقاء الأوضاع على ما هي عليه، يختلف عن الرضا عنها، أو القناعة بها. فقد تتم مقارنة هذا الخيار، بخيار البديل، أو التعايش مع ما يحظى برضاك التام. فأنت عادة تختار أقل الأمور كلفة. إذ قال:

«فإن الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى، وإنني نزلت من هذا الأمر منزلاً معجباً، اجتمع به

أقوام أعجبتهم أنفسهم، فإني أداوي منها قرحاً أخاف أن يكون علقاً. وليس رجلٌ ـ فاعلم ـ احرص على جماعة أمة مُحمدﷺ وآله وألفتها مني»[١].

هذا يتفق مع حقيقة وجود المفسدين في معسكر علي الذين أصبحت الظروف مثالية لهم في مرحلة إبقاء الأوضاع على ما هي عليه.

بعد قتال الخوارج واضطراب الأوضاع قال سيدنا علي رضي الله عنه:

«أيها الناس إنه لم يزل أمري معكم على ما أحب، حتى نهكتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت وهي لعدوكم أنهك».

وأضاف:

«لقد كُنت أمس أميراً، فأصبحتُ اليوم مأموراً، وكنت أمس ناهياً فأصبحت اليوم منهياً، وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهونه»[٢].

جميع ما قاله سيدنا علي رضي الله عنه يؤكد أنه اضطر إلى التعايش مع الواقع نظراً لخطورة بدائل ذلك أي استمرار حرب مُعاوية.

ويؤكد أن الحرب أنهكت جيشه ومن معه، ولذلك فإن من معه ألزموه بقبول نتائج المفاوضات (التحكيم) فهم من أمره بالقبول فامتثل لحكمة رآها.

لقد أدى تعايش سيدنا علي رضي الله عنه مع إبقاء الأوضاع على ما

---

(١) المصدر نفسه، ص٥٣٠ـ ٥٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٨١.

هي عليه، لتحديد أفضل بديل عن عدم إمكانية التوصل إلى اتفاق عبر المفاوضات (BATNA)، إلى استغلال أعداد كبيرة في صفوف جيش سيدنا علي رضي الله عنه لذلك والخروج عليه، فالخوارج لم تكن حركة انشقاق بل كانوا أناساً مُندسين على علي وخرجوا عليه لما أتيحت الظروف ومنهم قتلة عُثمان رضي الله عنه أصلاً وهم لم يريدوا صُلحاً ولا نصراً لعلي لأنه سيُعاقبهم بل أرادوا استمرار الأزمة وعملوا على ذلك. فخروجهم لم يكن بسبب سياسات علي ومهما فعل كانوا سيخرجون عليه آجلاً أم عاجلاً. ومجرد قتلهم علياً يكفي لإثبات سوء مناهجهم. فكانت حروب سيدنا علي رضي الله عنه معهم، وكان يردد قوله تعالى:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾[١].

كان عنصر الصبر والثبات، من أهم العناصر الّتي استند إليها سيدنا علي رضي الله عنه في حكمه على الأمور. لقد اختار دائماً الارتكاز لشرعية كتاب الله وسُنة رسوله. وكان كل عُنصر آخر من عناصر التواصل والمفاوضات عنده يرتبط مُباشرة بعُنصر الشرعية.

فالمصلحة عنده تتطلب وقف إراقة الدماء، لا سيما وأن من معه قد أشاروا عليه بقبول الاحتكام للقرآن الكريم وسُنة رسوله. بل أيضاً اختاروا من يُفاوض باسمهم (أبو موسى الأشعري رضي الله عنه).

لم يكن سيدنا علي رضي الله عنه ينظر إلى الخلافة كهدف بحد ذاتها، فلقد رفض عرض المُبايعة بعد مقتل سيدنا عُثمان رضي الله عنه أكثر من مرة وعندما قبل بها، وضع شروطاً، أهمها أن يكون إنفاق المال العام وفقاً لتعاليم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله.

لقد ضعفت الجبهة عند سيدنا علي رضي الله عنه بسرعة كبيرة

---

(١) سورة الروم، الآية: ٦٠.

وأصلها فساد المفسدين من داخل المعسكر فبعد فشل المفاوضات (التحكيم) جاءه عدد من الخوارج وقالوا له:

«لا حكم إلا لله».

فقال علي: «لا حكم إلا لله».

فقالوا له وهم خاطئون: «تُب من خطيئتك، وارجع عن قضيتك، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا».

فرد سيدنا علي رضي الله عنه :

«لقد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً، وشرطنا شروطاً، وأعطينا عهودنا ومواثيقنا (على وقف القتال) وقد قال الله عز وجل:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّه إِذا عاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّه عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّه يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ﴾[١].

فقالوا له مؤكدين خطأهم ومصرين عليه:

«ذلك ذنبٌ ينبغي أن تتوب منه».

فرد عليهم:

«ما هو ذنب، ولكنه عجز من الرأي، وضعف من الفعل وقد تقدمتُ إليكم فيما كان منه، ونهيتكم عنه».

فقالوا لسيدنا علي رضي الله عنه:

«لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز وجل قاتلناك، اطلب بذلك وجه الله ورضوانه».

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩١.

فقال لهم سيدنا علي رضي الله عنه :

«بؤساً لكم، ما أشقاكم، إن الشيطان قد استهواكم، فاتقوا الله عز وجل، إنه لا خير لكم في دنيا تقاتلون عليها»[١].

لقد قُدر لسيدنا علي رضي الله عنه أن يقتل على يد الخوارج، ويكون بذلك ثالث الخُلفاء الراشدين الذي يُقتل اغتيالاً. لقد قتل على يد عبد الرحمن بن ملجم وليس من دليل أكبر من ذلك على أنهم هم الذين أوقدوا نار الفتن الّتي حصلت بين المسلمين في موقعة الجمل، وهناك دلائل على أنهم كانوا بين الجيشين أصلاً ولم يستجيبوا لنداءات وقف قتل الصحابة الأخيار.

بعد وفاته رضي الله عنه، بايع الناس سيدنا الحسن بن علي وكان أن اتصل بمُعاوية بعد ستة أشهر من مُبايعته.

جاء مُعاوية إلى الكوفة وتمت مبايعته من الحسن والحسين رضي الله عنهما، وتبعهما الناس وبهذا قامت الدولة الأموية رسمياً، وأصبح مُعاوية أميراً للمؤمنين وخليفتهم. لقد قام سيدنا الحسن رضي الله عنه بتنفيذ ما أشار على سيدنا علي رضي الله عنه القيام به، حقن دماء المُسلمين وإنهاء الفتنة حتى لو كان ثمن ذلك اعتزال الخلافة والتنازل عنها، وهنا مسألة نود إعادة تأكيدها أن علياً كان منتصراً إذا قيست الأمور بمقياس سقف الشرعية الذي التزمه علي من أول الأمر إلى آخره.

في مراجعته للكتاب يقول الدكتور حكمت هلال: إن ما ورد في الكتاب من اقتباس لنتائج التحكيم من تاريخ الطبري لا يمكن قبوله بالفعل، والأصح أن يقال إنه لم يتم التوصل إلى اتفاق.

---

(١) الحوار ورد في تاريخ الطبري، مصدر سبق ذكره، ص١١٤.

وفيما يتعلق بما ورد حول البت بأمر الخليفة كنتيجة للتحكيم يقول الدكتور هلال: «الأصح أن يقال إن المفاوضات قد فشلت بسبب رفض مبعوث مُعاوية للحكم الشرعي فلا يمكن لسيدنا علي رضي الله عنه وأبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن يكونا قد وافقا على حل يطعن في صلاحية سيدنا علي رضي الله عنه للحكم».

ويُضيف الدكتور هلال بأن الاستنتاج بأن سيدنا علياً رضي الله عنه بما ورد من نتائج يعتبر مسألة خطيرة، إذ كان الأولى بعلي الموافقة قبل الاقتتال، ثمّ كيف يخالف الحكم الشرعي وهو منتصر في صفين؟ ومتى كان علي وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهما يتنازلان عن الحكم الشرعي؟ وماذا كان موقف جمهور الصحابة والعلماء من هذا التنازل عن الحكم الشرعي؟ إن التسليم بذلك دون بينة وبرهان يعني أن جمهور الصحابة قد خالف الحكم الشرعي والحق أن المفاوضات قد فشلت بسبب عدم مبايعة مُعاوية ووجود أهل الفتن في معسكر علي فكان لا بدّ لعلي من وقف القتال والتعايش مع الواقع والانشغال في حروب الخوارج مما أدى إلى خروج الأمر عن السيطرة وتضاخم الفتنة. فهذا ينسجم مع الواقع. وقد تجلى انتصار علي من المنظور الإسلامي حين قام الخوارج بقتله غدراً لا حرباً ولا مجابهة بعد أن أفحمهم في الحوار الشرعي.

عناصر التفاوض عند سيدنا علي رضي الله عنه:

لم تختلف عناصر التواصل والمُفاوضات والقيادة عند سيدنا علي رضي الله عنه . وللدلالة على ذلك نورد خطاباً له بعد مُبايعته أميراً للمؤمنين، وخطاباً آخر قبل موته.

أ ــ في أول خلافته:

خطب سيدنا علي رضي الله عنه وقال:

«إن الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشر، فخذوا نهج الخير تهتدوا، واصدفوا عن سمت الشر تقصدوا الفرائض، أدوها إلى الله تؤدكم إلى الجنة، إن الله حرم حراماً غير مجهول، وأحل حلالاً غير مدخول، وفضل حُرمة المُسلم على الحُرم كُلها، وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المُسلمين في معاقدها، فالمُسلم من سلم المُسلمون من لسانه ويده إلا بالحق. ولا يحل أذى المُسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم وهو الموت، فإن الناس أمامكم، وإن الساعة تحدوكم من خلفكم، تخففوا تلحقوا، فإنما ينظر بأولكم آخركم، اتقوا الله في عباده وبلاده فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فاعرضوا عنه»[١].

ب ـ قبل موته:

عندما كان سيدنا علي رضي الله عنه على فراش الموت قال مُخاطباً الناس:

«أيها الناس كل امرئ لاقٍ ما يفرُ منه فراره، والأجل مساق النفس والهرب منه موافاته، كم أطردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلا إخفاءه، هيهات، علمٌ مخزون. أما وصيتي: فالله لا تشركوا به شيئاً ومُحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذمٌ ما لم تشردوا، حمل كل امرئ منكم مجهوده وخفف عن الجهلة، ربٌّ رحيم، ودينٌ قويم. وإمامٌ عليم، أنا بالأمس صاحبكم، وأنا اليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم، غفر الله لي ولكم».

وأضاف:

«وإنما كُنت جاراً جاوركم بدني أياماً، وستعقبون مني جثة خلاء، ساكنة بعد حراك، وصامتة بعد نطق، ليعظكم هُدوي، وخفوت أطرافي،

---

(١) الرضي، الشريف، نهج البلاغة، مصدر سبق ذكره، ص٣٠٠.

وسكون أطرافي غداً ترون أيامي ويكشف لكم عن سرائري. وتعرفونني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي»[١]. إذا صحت الروايات، فهذا نصر حققه علي حين التزم بالشرعية والتمسك بأحكام القرآن حين قوته وحين ضعفه وحين اقتراب منيته.

في بدايته ونهايته ارتكز سيدنا علي رضي الله عنه إلى عناصر:

أ ـ **الشرعية**: قال للناس عند مُبايعته بعدم الشرك بالله وأن لا يضيعوا سنة رسوله. وأوصاهم وهو يحتضر بإقامة هذين العمودين وإبقاء هذين المصباحين.

ب ـ **الالتزام**: باعتماد كل ما جاء بين دفتي القرآن الكريم، وسنة الرسول ﷺ. الالتزام: كان نُقطة الارتكاز عند سيدنا علي رضي الله عنه فمنه الطريق إلى الخلاص والهناء في الدنيا والجنة في الآخرة.

ت ـ **الخيارات**: هناك خيار الخير وهُناك خيار الشر. هُناك الحلال وهُناك الحرام. وهُناك أيضاً القرار والخيار للإنسان.

ث ـ **البدائل**: عُنصر البدائل للشرعية والالتزام واضح ومُحدد، فالبدائل ستكون الخراب والدمار والفتنة والكارثة.

ج ـ **العلاقات**: يجب أن تكون على أسس الحق فلقد طلب ممن بايع وأوصى من جاؤوا ليودعوه، أن يتقوا الله في العباد وأن لا يقوموا بإيذاء الناس بأي شكل من الأشكال: «المُسلم من سلم المُسلمون من لسانه ويده».

ح ـ **الإتصال**: «إن الله فضل حرمة المُسلم على الحرم كُلها، بادروا

(١) المصدر السابق، ص٢٦٤ـ ٢٦٥ .

أمر العامة، ولا سيما أحدكم وهو الموت».

يجب أن يتم علاج أمر الناس بالإصلاح والابتعاد عن الفساد، فإذا انقضى عمل الدنيا، يجب التركيز على العمل من أجل الآخرة، وهنا التوازن في قواعد الاتصال، بين الناس ومن أجل حقوقهم فأمر الناس يأتي أولاً، ثمّ العلاقة مع الله عز وجل.

خ ـ **المصلحة**: مصلحة الإنسان تكمن في تحديد خياراته ومعرفة ما ينتظره من بدائل، فأساس المصلحة يكمن باعتماد الشرعية الّتي تمكن البشر من اعتماد الخير والابتعاد عن الشر. العمل بالحلال والامتناع عن الحرام.

د ـ **المُتغيرات**: يطلب سيدنا علي رضي الله عنه أخذ العظة من وضعه. فهو يقول: ستكون جثتي ساكنة بعد حراك. وصامتة بعد نُطق كل شيء يتغير. وهو القائل رضي الله عنه:

«خلقوا أولاد بغير أخلاقكم فهم خُلقوا لزمان غير زمانكم».

ذ ـ **العلم والمعرفة**: يُحدد سيدنا علي رضي الله عنه صفة الإمام بالعلم إذ يقول: «إمامٌ عليم» يقول: (رب رحيم)، (ودين قويم)، و(إمامٌ عليم).

عُنصر العلم والمعرفة من أسس القيادة وهي ركيزة أساسية للقائد، أو المُفاوض على حدٍّ سواء، فهي القاعدة الّتي يتخذ على أساسها القرار.

ر ـ **القيادة والمسؤولية**: يقول سيدنا علي رضي الله عنه: «وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المُسلمين في معاقدها». أي جعل الحقوق مُرتبطة بالإخلاص والوفاء. وما القيادة والمسؤولية إلا إتقان التوازن في ترابط الحقوق والواجبات.

ويقول رضي الله عنه: «اتقوا الله في عباده وبلاده فإنكم مسؤولون

حتى عن البقاع والبهائم»[١].

لا يستطيع القائد والمسؤول أن يتنصل من مسؤوليته لا عن البشر ولا عن الحجر أو حتى البهائم.

فعُنصر القيادة والمسؤولية من أساسيات التواصل والمفاوضات بين الناس بعضهم ببعض وبين الوحدات السياسية.

ز ـ **الصبر والثبات**: قال سيدنا علي رضي اللّه عنه: «غداً ترون أيامي ويكشف لكم عن سرائري وتعرفونني بعد خلو مكاني. وقيام غيري مقامي».

«غداً إذا ما صبرتم، فإنكم سوف تعرفون مكانتي ومقامي وسيرتي وأسراري فلن أكون بينكم، وسيكون غيري مكاني» ويقول:

«كم أطردت الأيامُ أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى اللّه إلا إخفاءه، هيهات، علمٌ مخزون»[٢].

لا بدّ من الصبر والثبات على كل أمر، فكم من أيام حياتنا نقضيه في محاولة معرفة أمور قد لا نعرفها أبداً، وعلينا الصبر والثبات وحُسن التقدير.

س ـ **العدل**: «المُسلم من سلم المُسلمون من لسانه ويده». وأضاف سيدنا علي رضي اللّه عنه: «إلا بالحق، ولا يحلُ أذى المُسلم إلا بما يجب»[٣].

العدل ركن رئيسي للعلاقات بين الناس بين الحاكم والمحكومين، فلا تستقيم الأمور إلا بالعدل وإجازة الأذى تقترن بالحق والعدل.

---

(١) نهج البلاغة، انترنت، ص٦٨.

(٢) نهج البلاغة، انترنت، ص٦٨.

(٣) نهج البلاغة، انترنت، ص٨١.

الخاتمة

نرجو أن نكون وفقنا في تحقيق الهدف الأساسي من هذا الكتاب والذي تمثل في إظهار عناصر التواصل والمفاوضات الاثني عشر عند سيدنا علي رضي الله عنه كمثال من أمثلة الصحابة الذين تتلمذوا على مدرسة الرسول ﷺ باعتبارها سبقت العناصر السبعة عند الغربيين.

لقد قمنا بمقارنة عناصر الإمام علي مع العناصر السبعة للمدارس الغربية، وبعد ذلك طبقنا هذه العناصر على كيفية تعامل سيدنا علي رضي الله عنه في إدارته للأزمات، والمفاوضات والحد من الضرر والتواصل مع الناس.

في الحقيقة لم يكن سيدنا علي رضي الله عنه وغيره من الصحابة متقدماً على المدارس الغربية في مجال المفاوضات والتواصل فقط، فقبل ٩٠٠ عام من قيام جان بودان (Jran Bodin) المولود في فرنسا عام ١٥٣٠ والمتوفى فيها سنة ١٥٩٦ ميلادية، بكتابة كتبه (الجمهورية) والتي حدد فيها مفهوم السيادة وحددها على أنها تنظيم علاقة الناس ببعضهم البعض، وتحديد علاقة الناس بالدولة والدولة بالدول الأخرى وكانت هذه المسائل من البديهيات لدى الصحابة وعلي مثال عليهم، إلى هذه المسائل وطبقها ونجح فيها أيما نجاح في أيام قوته وأيام ضعفه على السواء باعتبارها أحكاماً شرعية.

هذا التحديد الذي جعل من (بودان) كما يقولون في مدارس السياسة في الغرب صاحباً لنظرية السيادة. كان سيدنا علي رضي الله عنه قد أدرك مفهوم السيادة الّتي حددها الشرع قبل توماس مور، وميكافيللي، وبودان، وهوبز ولوك، وروسو، وفولتير، ومونتيسكيو، وانجليز، وبالتأكيد قبل روجر فيشر، كان سيدنا علي رضي الله عنه قد فهم مفاهيم الواقعية السياسية، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحريات الفردية والجماعية، والعدل بناءً على فهمه للإسلام.

وكذلك الحال بالنسبة للعناصر الاثني عشر، للتواصل والمفاوضات بين الناس.

كان سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قد أدرك مفهوم السيادة باعتباره من الأحكام الشرعية بقوله: «لا بدّ من أمير برٍّ أم فاجر».

أفلاطون كان السباق في وضع أسس المدينة الفاضلة ذات الطابع غير الواقعي الرافضة للنظام الديمقراطي، لكن سيدنا علياً رضي الله عنه كان قد أسس للواقعية السياسية وتحديداً أصل الدولة ونشأتها قبل الكثيرين.

وفي القرون الوسطى استطاع نيقولا ميكافيللي أن يضع أسس الواقعية السياسية في كتابه (الأمير)، متجاوزاً بذلك المدن الفاضلة (ويوتوبيا) توماس مور.

بعد ذلك تبلورت نظريات العقد الاجتماعي عند مفكري القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر. وقبل أن يتحدث (ميكافيللي) عن الواقعية السياسية، وقبل أن يتحدث توماس هوبز عن الحكم المطلق، أو الشرعية الإلهية للحكام، وقبل أن يبدأ بودان ولوك وفولتير وروسو ومونتيسكيو في الكتابة عن الحريات والعقود الاجتماعية، كان سيدنا علي رضي الله عنه

قد كرس مفهوم السيادة حين رد على الخوارج الذين قالوا: (ما حاجتنا للخلفاء، لدينا القرآن ولدينا السنة) بقوله:

«كلام حق يُراد به باطل لا بدّ من أمير برٍّ أم فاجر»(١).

لقد حدد سيدنا علي رضي الله عنه مفهوم السياسة قبل جان بودان، ورفض البدائية في المجتمعات السياسية، وانتقل إلى مرحلة النظام، قبل أن يتحدث جان لوك عن الانتقال من مرحلة البدائية إلى مرحلة تطور المجتمعات المدنية، ورفض الحكم المطلق الذي نادى به توماس هوبز، إذ قال رضي الله عنه:

«من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها عقولها».

إن سيدنا أمير المؤمنين علياً يُعلن رفضه للفوضى «لا بدّ من أمير برّ أم فاجر» ويعلن رفضه للحكم الاستبدادي، ويؤكد على الحقوق الفردية إذ يقول: «لا يُعاب المرء بتأخير حقه، إنما يُعاب من أخذ ما ليس له».

لقد رفض سيدنا علي رضي الله عنه النظام السياسي الأوتوقراطي (الوراثة) إذ قال: «واعجباه أتكون الخلافة بالصحابة أو القرابة»؟.

اعتبر سيدنا علي رضي الله عنه تحديد الحقوق والواجبات بين الناس والحاكم من أسس الشرعية، ولم يشترط ذلك بحكم مطلق أو ديكتاتوري. إنما اشترط أن تكون أحكام القرآن الكريم وسُنة رسوله ﷺ أساساً للعلاقات بين الناس والدولة وحدد ذلك بناءً على فهم الأدلة الشرعية ومنها قول رسول الله ﷺ:

---

(١) نهج البلاغة، انترنت، خطب الإمام علي، ج٢، ص١٠١. الأصح بالنص الأخير: «كلمة حق يراد باطل، نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله، وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر».

«لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق».

أي أن المسلم لا يطيع أياً كان إذا طلب منه معصية الخالق، بل إن على جميع الناس التقيد بالأحكام الشرعية المتمثلة بالقرآن والسُّنة.

الدولة عند سيدنا علي رضي الله عنه حاجة واقعية لكل الناس والتساوي على أساس (الشرعية) هو نُقطة للارتكاز بين جميع الناس.

الأعمال الصالحة هي الصفة المُشتركة لما يتوجب أن يقوم به الحاكم والمحكوم. فالحاكم عند سيدنا علي رضي الله عنه لا يأتي بالوارثة بل يأتي بمُبايعة الناس وخيارهم الحر. وتكون الطاعة واجبة له ما التزم بأحكام الشرعية (القرآن الكريم وسُنة رسوله)، وبالتالي فإن الحاكم عند سيدنا علي رضي الله عنه ليس صاحباً للسلطة، وإنما قائماً على مظاهرها.

المواطنة عند سيدنا علي رضي الله عنه تقوم على التسليم، واليقين والتصديق والإقرار والأداء والناتج يجب أن تكون الأعمال الصالحة لخدمة الدولة ومكوناتها.

لقد فهم سيدنا علي رضي الله عنه من الإسلام العدل كأساس للعلاقة بين الناس والدولة وبين الناس بعضهم ببعض والعلاقة بين الدولة والدول الأخرى، إذ قال رضي الله عنه:

«استعمل العدل، واحذر العسف والحيف، فإن العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو للسيف». أي عدم استخدام الشدة بغير حق (العسف). والابتعاد عن التفرق والتشتت (الجلاء). وعدم الميل عن العدل إلى الظلم (الحيف).

وحذر سيدنا علي رضي الله عنه كل من يُقرر الاستبداد في الحكم بقوله:

«يوم المظلوم على الظالم، أشدُّ من يوم الظالم على المظلوم».

الدولة عند المُفكرين الغربيين تُعتبر عقداً اجتماعياً لمجموعة من الناس ضمن رُقعة مُحددة من الأرض. أما عند سيدنا علي رضي الله عنه فالشرعية (القرآن الكريم وسُنة رسوله) تُعتبر الأساس لمُثل عليا تشمل كل الإنسانية بشكل عام، وعقداً يشمل مجموعة من الناس ضمن حدود دولتهم بشكل خاص. أي لا تناقض بين مبادئ الشرعية كمثل عُليا للإنسانية كافة، وللمجموعات من الناس الّتي تعيش ضمن حدود مُحددة تُسمى الدولة.

إن الله سبحانه وتعالى خلق الناس أحراراً، وأرادهم أن يعيشوا أحراراً وليسوا عبيداً، أرادهم عباداً لله وليسوا عبيداً للبشر.

فالناس جميعاً عباد الله وليسوا عبيداً لأي من البشر، وعبادة الله هي أساس علاقة الناس ببعضهم البعض، فلا كلمة تعلو على كلمة الله.

في هذه الخاتمة أو البداية أود أن أبيّن حاجاتنا للبحث في السلوك التفاوضي عند العرب خاصة وعند المسلمين عامة، وإن لم نتمكن علمياً من إسناد اصطلاح سلوك تفاوضي عربي أو إسلامي نظراً لوجود ٥٧ دولة إسلامية. فقد يكون علينا أن نبدأ بتحديد السلوك التفاوضي لكل دولة منها على حدة، ثمّ نحدد بعد ذلك القواسم المشتركة استناداً للعناصر الاثني عشر عند سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي أدرك كغيره من الصحابة أن القرآن الكريم وسنة رسولهﷺ يعتبران ميثاقاً للمثل العليا للناس كافة، أما الدولة فهي العقد الاجتماعي لمجموعة من الناس ضمن حدود جغرافية محددة. فما كان بديهياً عند الصحابة ومنهم علي استغرقت الأمم الأخرى قروناً لمعرفة أجزاء منقوصة منه.

لاحظنا عندما وقعت الفتنة وتفاقمت الأزمة بمقتل سيدنا عُثمان

رضي الله عنه ومبايعة سيدنا علي رضي الله عنه ومعركة الجمل ومعركة صفين كيف سلك سيدنا علي رضي الله عنه طريق الشرعية والمصالح في إدارة الأزمات، وكيف كان السلوك التفاوضي لمُعاوية مستنداً إلى المواقف وإلى معادلة اللعبة الصفرية (Zero sum game).

وقد بيّن علي عملياً أن ديننا القويم (كتاب الله وسنة رسوله)، يوفر لنا كل ما نحتاجه في دنيانا وفي آخرتنا.

وكما حددنا فإنه لا ينقصنا شيء من عناصر الحكم الرشيد والتواصل والمفاوضات وتحديد المصالح وصناعة الأرضية المشتركة في حل الخلافات، فلقد سبقنا المدارس الغربية في كل ذلك.

آمل أن يكون هذا الكتاب البداية لإعادة النظر والاحتكام للعلم والمعرفة والصبر والثبات والمتغيرات والقيادة والمسؤولية وفوق هذا جميعه العدالة، إضافة إلى عناصر المصلحة، الالتزام، الشرعية، الخيارات، البدائل، العلاقات والاتصال.

إن الحديث عن بناء الدولة المدنية لا يعني الابتعاد عن المثل العليا لديننا الإسلامي الحنيف، بل على العكس تماماً فإن هذه المثل يجب أن تشكل نقطة الارتكاز للحكم الرشيد الذي يجب أن يقوم على أساس الحاكم القائم على مظاهر السلطة وليس صاحبها، الحكم الذي يقوم على خيار الناس (عبر صناديق الاقتراع) والإيمان بحتمية تداول السلطة والمكاشفة والمحاسبة والمساءلة لكافة المسؤولين دون استثناء مهما كانت مناصبهم، باعتبارهم جميعاً عباد الله يجب عليهم اتباع أمره وحكمه بدءاً من الأمير وانتهاءً بالمواطن العادي.

عندما قُتل سيدنا عُثمان رضي الله عنه لم يحدث فراغ ديني (إسلامي)، لأن الإسلام كان قد اكتمل قبل وفاة الرسول محمد ﷺ حيث قال في خطبة الوداع: «اليوم أكملت لكم دينكم».

الفراغ الذي حدث كان سياسياً وليس دينياً، فالذي قتل هو أمير المؤمنين وليس الدين الحنيف، فالدين الإسلامي كان مكتملاً عند وفاة الرسول محمدﷺ، ولا زال إلى اليوم وسيكون في كل الأيام القادمة، ديناً مكتملاً شائعاً ليس فقط في الدول الإسلامية بل في كل قارات الأرض.

وكما حددنا فإنه لا ينقصنا شيء من عناصر الحكم الرشيد والتواصل والمفاوضات وتحديد المصالح وصناعة الأرضية المشتركة في حل الخلافات، فلقد سبقنا المدارس الغربية في كل ذلك.

آمل أن يكون هذا الكتاب البداية لإعادة النظر والاحتكام للعلم والمعرفة والصبر والثبات والمتغيرات والقيادة والمسؤولية وفوق هذا جميعه العدالة، إضافة إلى عناصر المصلحة، الالتزام، الشرعية، الخيارات، البدائل، العلاقات والاتصال انطلاقاً من مرجعية الأحكام الشرعية.

والله ولي التوفيق